# إقـــرار

**أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:**

الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والسياسية للشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية (٤٢٢هـ - ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م - ١٠٩٧م)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

**DECLARATION**

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

| | |
|---|---|
| Student's name: | اسم الطالب: حازم عبد سليم الحلاق |
| Signature: | التوقيع: |
| Date: | التاريخ: ١٣-١٢-٢٠١٤ |

الجامعة الإسلامية غزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار

# الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والسياسية للمشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

(334-490هـ / 945-1097م)

إعداد الباحث

## حازم أحمد سليم الحلاق

إشراف الأستاذ الدكتور

## رياض مصطفى شاهين

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية الآداب قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية

1436 هـ - 2014 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ..... ج س غ/35/

التاريخ Date ..... 2014/12/13م

# نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **حازم أحمد سليم الحلاق** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

## الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والسياسية للمشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية (334-490هـ / 945 - 1097م)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 21 صفر 1436هـ، الموافق 2014/12/13م الساعة الواحدة ظهراً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

| | | |
|---|---|---|
| أ. د. رياض مصطفى شاهين | مشرفاً ورئيساً | ..... |
| د. غسان محمود وشاح | مناقشاً داخلياً | ..... |
| د. يوسف إبراهيم الزاملي | مناقشاً خارجيًا | ..... |

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم التاريخ**.

**واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.**

والله ولي التوفيق،،،

**مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا**

**أ.د. فؤاد علي العاجز**

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

- **إلى أبي رحمه الله،،،**
- **إلى أمي شفاها الله،،،**
- **إلى زوجي الحبيبة وأولادي أحمد ويوسف وهيا ولما حفظهم الله،،،**
- **إلى إخوتي جميعاً وفقهم الله،،،**
- **إلى إخواني ومن حولي نصرهم الله،،،**
- **إلى جميع أهلي من أبناء عائلتي هداهم الله،،،**
- **إلى أهلنا المظلومين في غزة فرج كربَهم الله،،،**
- **إليهم جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع تعبيراً مني عن عرفاني وامتناني لهم جميعاً.**

**حازم أحمد سليم الحلاق**

# الشكر والتقدير

**إلى كل من كان له فضلٌ علي في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر أُستاذي الفاضل الاستاذ الدكتور رياض مصطفى شاهين الذي أَشرف على هذه الرسالة فمنحني من بحر علمه وسعة معرفته ما سهل ويسر لي الطريق لإخراج هذا العمل، فله مني كل الاحترام والتقدير.**

**كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل أساتذتي في قسم التاريخ في الجامعة الإسلامية، والشكر موصول أيضاً إلى الاستاذ نهاد بدرية استاذ اللغة العربية في الجامعة الإسلامية على تفضله بقراءة هذه الرسالة وتنقيحها لُغوياً ونحوياً، وأسأل الله العلي العظيم أن ينفع بهذا العمل كل طالبٍ وباحثٍ يطلب علماً، وأن يؤتي هذا العمل المتواضع ثماره المرجوة.**

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | 1 – 4 |
| الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية والحياة العلمية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية | 5 – 50 |
| المبحث الأول: التركيبة السكانية والاجتماعية لسكان المشرق الإسلامي | 5 |
| العرب | 5 |
| الأتراك | 10 |
| الفرس والديلم | 13 |
| التركمان | 14 |
| عناصر أخرى | 14 |
| المبحث الثاني: أحوال المدن والقرى قبيل الحروب الصليبية | 17 |
| المدن | 17 |
| القرى | 29 |
| البدو | 32 |
| المبحث الثالث: الحياة العلمية لسكان المشرق الإسلامي | 35 |
| أماكن التعليم | 35 |
| المساجد | 36 |
| المدارس | 38 |
| دور العلم والمكتبات | 40 |
| الكتاتيب | 42 |

| | |
|---|---|
| أشهر العلماء وأهم العلوم في ذلك الوقت | 43 |
| **الفصل الثاني: الأوضاع الدينية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية** | **51 – 90** |
| **المبحث الأول: المسلمون في المشرق الاسلامي، المسلمون السنة "المذاهب الاربعة"** | **51** |
| الأحناف | 51 |
| المالكية | 52 |
| الشافعية | 54 |
| الحنابلة | 56 |
| الشيعة " بعض الفرق الشيعية " | 57 |
| العبيديون " الفاطميون " | 57 |
| القرامطة | 59 |
| الحشاشون | 62 |
| **المبحث الثاني: أهل الذمة في المشرق الإسلامي** | **64** |
| المسيحيون " النصارى " | 65 |
| اليهود | 70 |
| **المبحث الثالث: الصراع بين المذاهب والأديان** | **78** |
| الخلافات والتعصب بين المذاهب السنية | 78 |
| الصراعات بين السنة والشيعة | 82 |
| الصراع بين المسلمين وأهل الذمة في داخل المجتمع الاسلامي | 87 |

| | |
|---|---|
| **الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية** | **91- 121** |
| **المبحث الأول: الزراعة** | **91** |
| **الزراعة في الشام** | **91** |
| **الزراعة في مصر** | **95** |
| **الزراعة في العراق** | **96** |
| **طرق السقاية في بلاد المشرق الإسلامي** | **98** |
| **المبحث الثاني: الصناعة والتجارة** | **100** |
| **الصناعة والتجارة في الشام** | **100** |
| **الصناعة والتجارة في مصر** | **102** |
| **الصناعة والتجارة في العراق** | **108** |
| **المبحث الثالث: العوامل التي أثرت في إهدار الموارد المادية والبشرية لبلاد المشرق الإسلامي** | **112** |
| **الكوارث الطبيعية** | **112** |
| **ظلم الحكام والولاة** | **116** |
| **الصراعات الداخلية بين الحكام** | **119** |
| **غارات البدو على المناطق الحضرية** | **119** |
| **الحروب مع الدولة البيزنطية** | **120** |
| **الفصل الرابع: الأوضاع السياسية في بلاد المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية** | **122- 151** |
| **المبحث الأول: الأوضاع السياسية في العراق** | **122** |

| | |
|---|---|
| الخلافة العباسية | 122 |
| دولة بني بويه | 124 |
| الدولة السلجوقية | 128 |
| الدويلات والممالك التي قامت في العراق | 130 |
| **المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الشام** | 135 |
| الصراع مع الامبراطورية البيزنطية | 135 |
| سيطرة القرامطة على الشام | 139 |
| السيطرة العبيدية على الشام | 140 |
| سيطرة الدولة السلجوقية على الشام وتفككها إلى دويلات | 141 |
| **المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في مصر** | 144 |
| الصراع بين الدولة العبيدية والخلافة العباسية | 144 |
| الدولة العبيدية وصراعاتها الداخلية | 145 |
| الثورات والفتن في مصر زمن الدولة العبيدية | 148 |
| **الخاتمة** | 154-152 |
| **قائمة المصادر والمراجع** | 182 – 155 |

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة:

إن الانتصارات الصليبية التي حققتها الحملة الصليبية الأولى في المشرق الإسلامي وما أعقبها من احتلال لعدد من المدن الإسلامية واحتلالهم لمدينة القدس كان نتاجاً لضعف الأمة وتفككها في كثير من الجوانب منها الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والاقتصادية، لقد دب الضعف في أرجاء المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية وبدت عليه علامات التفكك في جميع الجوانب السابقة. لذلك سوف نسلط الضوء على الفترة التي سبقت الحملة الصليبية الأولى الواقعة ما بين (٣٣٤هـ –٤٩٠هـ / ٩٤٥م – ١٠٩٧م ) لمعرفة حال الأمة الإسلامية قبيل الحروب الصليبية.

حيث كانت الصراعات السياسية والحروب العسكرية بين دول المشرق الإسلامي والتي أنتجت دويلات متعددة ومفككة بحيث أصبح من السهل على الحملة الصليبية الأولى أن تتعامل معها في ظل غياب الدولة المركزية، كما كان الوضع الديني في المنطقة يموج في بحر من الطائفية والاختلافات المذهبية والفرق الإسلامية، وتعدد الطوائف والنحل الأخرى، فكان هذا العامل من أهم العوامل التي أججت الصراعات الداخلية بين هذه الدويلات كما كان لها الدور الأبرز في تأجيج الصراعات بين أبناء البلد الواحد والمدينة الواحدة والحي الواحد مما أنتج تفككاً وشرخاً اجتماعياً يصعب ترميمه.

ولم يكن الوضع الاجتماعي بأحسن حالاً من الوضع السياسي والديني فقد كان المشرق الإسلامي عبارة عن خليط من الأجناس والأعراق المختلفة مثل الترك والعرب والتركمان والمغاربة فكان هذا النسيج غير المتجانس لهذه الأجناس قد أثر تأثيراً سلبياً على العلاقة فيما بينها مما سيؤثر بالضرورة على تماسك المجتمع ووحدته، كما كان لهذه الأجناس والأعراق عادات وثقافات اجتماعية مختلفة، وإن كان الإسلام يجمعهم في بوتقة واحدة إلا أن ثقافتهم وعاداتهم مختلفة تحتاج إلى فترة زمنية كي يتم توحيدها أو التقريب فيما بينها.

لقد كان عماد الحياة الاقتصادية في تلك الحقبة من التاريخ، الزراعة والتجارة والصناعة اليدوية، وكانت جميعها تتأثر بالتجاذبات والصراعات السياسية فنراها تزدهر مرة وتنتكس أخرى،

كما كان للكوارث الطبيعية مثل الأوبئة والقحط والزلازل تأثيرها على الحالة الاقتصادية في المشرق الإسلامي.

## أهمية الدراسة

**تنبع أهمية الدراسة من حيث:**

١- ندرة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تعالج هذا الموضوع

٢- التعرف على الأسباب العميقة والمركبة لنجاح الحملة الصليبية الأولى وقيام الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي فنجاح هذه الحملة لم يكن وليد الانتصارات العسكرية التي حققتها هذه الحملة كما يظن البعض بل كانت أعمق وأعقد من ذلك بكثير.

٣- إعطاء صورة واضحة عن حياة هذه الأمة في هذه الحقبة المهمة من التاريخ الإسلامي وعن الأسباب التي أثرت في ضعفها بعد أن كانت قوية متماسكة

٤- التعرف على الصراعات السياسية والطائفية التي أضعفت المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية.

٥- التعرف على الدور السلبي للشيعة في المنطقة وحجم تأثيره في مجريات الأحداث.

٦- تسليط الضوء على أحوال الناس اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً في فترة مهمة من فترات تاريخنا الإسلامي.

## الدراسات السابقة

حسب اطلاع الباحث على مواقع البحث المتخصصة في الشبكة العنكبوتية (الانترنت) وفهارس المكتبات المختلفة المحلية، والعربية، لم يجد الباحث دراسة وافية عن هذا الموضوع تغطي الإطار الزمني والمكاني للدراسة بشكل كامل. حيث تركزت معظم الدراسات السابقة على دراسة هذه الجوانب بأشكال متفرقة.

١- الهلف، اميره ابراهيم احمد: الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين العبيدية والأيوبية: دراسة تاريخيه مقارنه، رسالة دكتوراه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٢- الكرد، عودة سعيد عودة: فلسطين في عصر الدويلات الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، ٢٠٠٧م.

٣- حيدر، محمد علي: الاوضاع الاقتصادية في العراق والمشرق (٣٣٠-٤٥٠هـ)، رسالة دكتوراه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.

٤- الخالدي، خالد يونس: الحرب الأهلية بين السنة والشيعة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، ص٢٠٥-٢٣٠، يونيو٢٠١٣م.

## المنهج:

اتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، حيث قام الباحث بجمع المعلومات والروايات التاريخية من المصادر والمراجع وتحليلها بشكل موضوعي بما يخدم موضوع الدراسة ٠

## الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء إعداده للدراسة:

١- تناثر المعلومات الخاصة بموضوع الرسالة في بطون المصادر والمراجع التي لم تتحدث عن هذا الموضوع بشكل مباشر.

٢- الحرب الصهيونية الشرسة على قطاعنا الحبيب، والتي عرفت باسم " العصف المأكول "، وما رافقها من قتلٍ وخرابٍ وتهجير، وما سبقها من جولات تصعيد استنزفت وقتاً طويلاً من عمر هذه الرسالة.

## تقسيمات الدراسة:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، كان الفصل الأول بعنوان الأوضاع الاجتماعية والحياة العلمية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، واشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول تناول التركيبة السكانية والاجتماعية لسكان المشرق الإسلامي، حيث تطرق إلى الطوائف والأجناس التي سكن هذه المنطقة، وأما المبحث الثاني فتحدث عن أحوال المدن والقرى قبيل الحروب الصليبية، استعرض هذا المبحث أهم المدن والقرى التي كانت موجودة قبيل الغزو الصليبي، وفي المبحث الثالث تحدث عن الحياة العلمية لسكان المشرق الإسلامي، تطرق إلى الحياة العلمية لسكان المشرق الإسلامي مستعرضاً لأهم العلماء وأماكن التعليم والمستوى الثقافي والعلمي لسكان المشرق الإسلامي في تلك الحقبة.

أما الفصل الثاني للدراسة فانفرد بالحديث عن الأوضاع الدينية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، وقسم إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول يتحدث عن المسلمين في المشرق الاسلامي، حيث تناولته بصورة مقتضبة أحوال المذاهب السنية وأماكن انتشارها، كما سلط الضوء على بعض الفرق الشيعية التي استطاعت أن تكون كياناً في بلاد المشرق الإسلامي، أما المبحث الثاني فتحدث عن أهل الذمة وعن أحوالهم وتعدادهم وأماكن وجودهم، ونفوذهم السياسي ومكانتهم الاجتماعية، وفي المبحث الثالث عرضنا صورة من صور الصراع بين المذاهب والأديان، والتي عصفت بعالمنا الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وأوضحت الدراسة في فصلها الثالث الأوضاع الاقتصادية في المشرق الإسلامي، حيث اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول تحدث عن أحوال الزراعة في الشام ومصر والعراق، كما تحدث المبحث الثاني عن الصناعة والتجارة فيهما أيضاً، أما المبحث الثالث فتحدث عن العوامل التي أثرت في إهدار الموارد المادية والبشرية لبلاد المشرق الإسلامي، مثل الكوارث الطبيعية والصراعات الداخلية بين الحكام وظلم الحكام والولاة والحروب مع الدولة البيزنطية، وكلها أثر تأثير سلبياً على نمو هذه المنطقة وازدهارها.

كما عرضت الدراسة في فصلها الرابع الأوضاع السياسية في بلاد المشرق الإسلامي، فانقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث عُرض في المبحث الأول أوضاع العراق السياسية، فتم استعراض جانباً مهماً من جوانب الخلافة العباسية ومدى ضعفها وسيطرة الدويلات الأخرى عليها مثل دولة بني بويه والدولة السلجوقية، كما استعرضت الدراسة جوانب أخرى لدويلات أخرى أقل شأناً، مثل الدولة الحمدانية والعقيلية وغيرها، أما المبحث الثاني فقد استعرض جانب مهماً للأوضاع السياسية في الشام، حيث أبرزت حالات الصراع الدائر رحاها على أرض الشام فيما بين دويلاته التي تفككت وتمزقت كل ممزق، وأيضاً أظهرت جولات الصدام التي دارت بين هذه الدويلات المتعاقبة وبين الإمبراطورية البيزنطية، وما صحبها من دمار وخراب.

## ❖ الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية والحياة العلمية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

- **المبحث الأول: التركيبة السكانية والاجتماعية لسكان المشرق الإسلامي**
  - ✓ العرب
  - ✓ الأتراك
  - ✓ الفرس والديلم
  - ✓ التركمان
  - ✓ عناصر أخرى
- **المبحث الثاني: أحوال المدن والقرى قبيل الحروب الصليبية**
  - ✓ المدن
  - ✓ القرى
  - ✓ البدو
- **المبحث الثالث: الحياة العلمية لسكان المشرق الإسلامي**
  - ✓ أماكن التعليم
    - ١ – المساجد
    - ٢ – المدارس
    - ٣ – دور العلم والمكتبات
    - ٤ – الكتاتيب
  - ✓ أشهر العلماء وأهم العلوم في ذلك الوقت

## المبحث الأول: التركيبة السكانية والاجتماعية لسكان المشرق الإسلامي

### العرب:

لن نبتعد كثيراً في الخوض في الأصول العربية لأهل المشرق الإسلامي، بل سنكتفي فقط بإثبات هذا الوجود العربي في هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي لها ببضع مئات من السنين، حتى لا نتشعب كثيراً في هذا الجانب، ونبتعد عن أصل الموضوع.

**عرب العراق:** يعود الوجود العربي في بلاد العراق إلى ما قبل الفتح الإسلامي، فقد سكنها العديد من القبائل العربية[١]، فبعد خراب سد مأرب تفرقت القبائل العربية، ونزلت بعضها بلاد العراق[٢]، من هذه القبائل طيء وكلب وتميم وتنوخ ولخم ومعد وقضاعة وجعف وبني لحيان من جرهم[٣]، وكانوا ينزلون ما بين الحيرة والفرات إلى ناحية الأنبار وسموا عرب الضاحية[٤]، وازداد هذا الوجود بعد الفتح الاسلامي لبلاد العراق، فقد بنى فيها المسلمون العديد من المدن، التي جمعت بين لبناتها عدداً من القبائل العربية، فبنى المسلمون مدينة الكوفة، وهي أول مدينة بناها المسلمون في العراق سنة (١٤هـ – ٦٣٥م)، فنزل بها قوم من قيس وطيء والأزد وعبس وبجيلة وكندة وهمدان وتميم وبكر، كما سكن بها عدد من كبار الصحابة، كما بنى المسلمون مدينة البصرة سنة (١٧هـ – ٦٣٨م)[٥]، وأول ساكنيها كانوا من العرب[٦]. كما بنى المسلمون في عهد الخليفة العباسي أبي

---

[١]– الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير: (المتوفى:٣١٠هـ – ٩٢٢م)، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت. ج١، ص٣٦٠؛ ٣٩٢؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم: (المتوفى:٦٣٠هـ – ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ. ج١، ص٢٦١؛ أبنهايم، ماكس فرايهير فون؛ أرش برونيلش؛ فرنر كاسكل، البدو، تحقيق: ماجد شبر، الوراق للنشر. ج١، ص١٠٤؛ ١٠٥.

[٢]– دعبل، بن علي الخزاعي: (المتوفى: ٢٤٦هـ – ٨٦٠م)، وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، تحقيق: نزار أباظة، دار البشائر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م. ج١، ص٢٨؛ الناطور، شحاته: عودات، أحمد: بيضون، جميل: مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية، دار الأمل للنشر، عمان، ١٩٨٩م.ص٤٨.

[٣]– الطبري: تاريخ، ج١، ص٣٦٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٦١؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: (المتوفى: ٨٠٨هـ – ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، ط٥، دار النشر، بيروت، ١٩٨٤م. ج٢، ص٣٠٩.

[٤]– ابن خلدون: تاريخ، ج٢، ص٣٠٩.

[٥]– اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب: (المتوفى: ٢٩٢هـ – ٩٠٤م)، البلدان، مدينة ليدن المحروسة، مطبعة بريل، ١٨٩٠م. ص٦، ٩٢ – ٩٩.

[٦]– ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الملطي: (المتوفى: ٦٨٥هـ – ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٢، دار الرائد، لبنان، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م. ص١٧٤.

جعفر المنصور بغداد سنة (١٤١هـ – ٧٥٨م)، وسكنها عدد من سائر قبائل العرب من قريش والأنصار وربيعة ومضر ويمن[١].

**عرب الشام:** حال الشام كحال العراق، كان الوجود العربي فيها يعود في أصوله إلى ما قبل الفتح الاسلامي للشام[٢]، بعد أن دُمر سد مأرب، وتفرقت القبائل العربية في الحجاز والعراق والشام، فنزلت قضاعة وجفنة الشام[٣]، وأل جفنة من الغساسنة[٤]، والغساسنة هم ملوك الشام قبل الاسلام، وهم إحدى قبائل الأزد[٥]، توزعت القبائل العربية في مدن الشام، فنزل ملوك أل غسان دمشق[*]، كما نزلها أل جفنة، وأل قيس، وكان الغالب على أهل دمشق أنهم عرب من أصول يمنية، وكذلك الحال مع معظم المدن الشامية، فحمص يرجع أصل معظم قاطنيها العرب من طيء وكندة وحمير وكلب وهمدان وغيرهم من بطون اليمن، واللاذقية أهلها من يمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب وغيرهم، ومدينة طرطوس أهلها قوم من كندة، أما حماة فأهلها قوم من يمن، والأغلب عليهم بهراء وتنوخ، أما غوطة دمشق أهلها غسان وبطون من قيس، وبها قوم من ربيعة، وبصرى، وأهلها قوم من قيس من بني مرة، وبانياس أهلها قوم من قيس، أكثرهم بنو مرة، وبها نفر من أهل اليمن، أما مدن فلسطين ولبنان فمعظم أهل مدنها أخلاط من الناس من عرب وعجم، فالرملة ونابلس والقدس وعكا وبيسان وقيسارية وصور وطرابلس وبيروت وصيدا وجبيل وبعلبك، سكانها أخلاط من الناس، من عرب وعجم، أما غزة وعسقلان وبيت جبريل فأهلها من لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة[٦].

---

[١]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤.

[٢]– دسيو، رنيه: العرب في سوريا قبل الاسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م. ص٢.

[٣]– دعبل: وصايا الملوك، ج١، ص٢٨.

[٤]– الألوسي، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي: (المتوفى: ١٢٧٠هـ – ١٨٥٣م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج٢٢، ص١٣٣.

[٥]– أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي: (المتوفى: ٧٣٢هـ – ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، مصر. ج١، ص١٠١.

[*]– دمشق هي من أعظم مدن الشام في الجاهلية وفي الإسلام، فتحها المسلمون سنة (١٤هـ – ٦٣٥م)، في عهد عمر بن الخطاب ولا يوجد في الشام مدينة مثلها في كثرة أنهارها وعمارتها. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٣٧.

[٦]– المصدر السابق: ج١، ص١١٠ – ١١٧.

وما أن جاء الفتح الاسلامي حتى توزع العرب في جميع الأقطار العربية[١]، كان جيش الفتح الاسلامي يشكل الكتلة الأساسية للسكان العرب الجدد، وهذه القوات الجديدة تتألف بمعظمها من أبناء القبائل العربية، وبدورهم قاموا بجلب الجزء الأكبر من أبناء قبائلهم شيئاً فشيئاً إلى المنطقة[٢].

استقرت أوضاع القبائل العربية في بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ومع نهاية القرن الثالث الهجري بدأنا نشهد أول ظهور لهذه القبائل على الساحة السياسية من حيث سيطرتهم على بعض المدن الشامية واستطاعوا أن يشكلوا إمارات خاصة بهم كما سوف نرى[٣]، فقد أستطاع بنو حمدان أن يؤسسوا إمارة لهم في الموصل سنة (٢٩٢هـ - ٩٠٤م)[٤]، واستمرت هذه الإمارة حتى سنة (٣٨٠هـ - ٩٩٠م)[٥]، كما أسسوا إمارة لهم في حلب وحمص في سنة (٣٣٣هـ - ٩٤٤م)[٦] حيث انقرضت هذه الدولة بموت أبو الفضائل سعيد الدولة[٧]، والذي مات في سنة (٣٩٢هـ - ١٠٠١م)[٨]، وبنو حمدان من قبيلة بني تغلب[٩]، كما أقام بنو عقيل إمارةً لهم سنة

---

[١]- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: (المتوفى: ٨٢١هـ - ١٤١٨م)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الكتب اللبنانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.ج١، ص١٩؛ بدران، العلامة عبد القادر: (المتوفى ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، ط٢، ج١، دار النشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م. ج١، ص٢٨٩.

[٢]- أبنهايم: البدو، ج٢، ص٢٤.

[٣]- شاهين، رياض مصطفى أحمد: الملك المعظم عيسى سياسته الداخلية والخارجية، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. ص٦.

[٤]- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: (المتوفى: ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م. ج٢٦، ص٩٢.

[٥]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٤٣، ٤٤٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥.

[٦]- ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٣١.

[٧]- ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي: (المتوفى: ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٢م. ج١، ص٢١٨.

[٨]- ابن العديم، المولى الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي: (المتوفى: ٦٦٠هـ - ١٢٦١م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. ج١، ص١٠٩؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي: (المتوفى: ٧٣٢هـ - ١٣٣١م)، اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق: محمد كمال وفالح البكور، ج١، دار القلب العربي، ١٩٨٩م. ج١، ص٣٣.

[٩]- ياقوت، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي: (المتوفى: ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م)، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م. ج٣، ص٩٢؛ القلقشندي، أحمد بن عبد الله: (المتوفى: ٨٢١هـ - ١٤١٨م)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م. ج١، ٣٩٢؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١١٢.

(٣٨٦هـ – ٩٩٦م)، وامتدت هذه الدولة حتى سنة (٤٨٩هـ – ١٠٩٦م)[١]، واستطاع صالح بن مرداس تأسيس إمارته في مدينة الرحبة سنة (٣٩٩هـ – ١٠٠٨م) وامتدت سيطرته على شمال بلاد الشام، وانقرضت الدولة المرداسية في سنة (٤٧٢هـ – ١٠٧٩م)[٢]، كما قامت في الشام إمارات عربية هي أقل شأناً، ومن هذه الإمارات، إمارة بني منقذ في شيزر[*] (٤٧٤هـ – ١٠٨١م)[٣]، وبنوا الجراح من قبيلة طيء خرجوا عن طاعة الحاكم بأمر الله العبيدي[*٢] وسيطروا على مدينة الرملة وأجزاء من الشام وأقاموا بها إمارةً لهم ثم عادوا إلى طاعت الحاكم مرة أخرى وذلك سنة (٤٠٣هـ – ١٠١٢م)[٤]، وعندما سيطر العبيديون على الشام سنة (٣٦٠هـ – ٩٧٠م)، حتى سنة (٤٦٨هـ – ١٠٧٥م)[٥]، واستقرت جماعات من المغاربة في فلسطين، وتحديداً في الرملة وطبرية والمدن المجاورة لها[٦]، والمغاربة هم خليط من القبائل البربرية المتعربة[٧]، استطاعت القبائل العربية أن تسجل حضورها على الساحة السياسية في بلاد الشام من خلال تأسيسها لتلك الإمارات العربية.

**عرب مصر**: بدأت طلائع القبائل العربية تتسرب إلى الديار المصرية عقب خراب سد مأرب، واستمر توافد القبائل العربية على مصر، فبعض بطون خزاعة وهم فرع من الأزد، خرجوا في

---

[١]– ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٤٥، ج٤، ٣٤٨؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، بيروت، دار النفائس، ط٣، ٢٠٠٩م. ص٥٩، ص٦٠؛ شاهين: المعظم عيسى، ص٦.

[٢]– ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر: (المتوفى: ٧٤٩هـ – ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. ج١، ص٣١٤.

[*]– شيزر هي مدينة بالقرب من المعرة وحماة في وسطها نهر الأردن كما يحدها جبل لبنان وتعد من كور حمص وهي مدينة قديمة. ياقوت، بن عبد الله الحموي أبو عبد الله: (المتوفى: ٦٢٦هـ – ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت. ج٣، ص٣٨٣.

[٣]– ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد: (المتوفى:٦٦٠هـ – ١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر. ج١، ص١٤٥؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٦١، ٦٢.

[*٢]– أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي حاكم مصر وقد وتولى الحاكم في شعبان (٣٨٣هـ – ٩٩٣م) وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عدداً كثيراً، وكانت سيرته من أعجب السير يخترع كل وقت أحكاماً يحمل الناس على العمل بها. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٢، ٢٩٣.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١١٧.

[٥]– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي: (المتوفى: ٧٧٤هـ – ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج٩، ١١، ص٨٨، ٢٦٦، ٢٦٧.

[٦]– الدواداري، أبو بكر عبدالله ايبك: (المتوفى: ٧٣٦هـ – ١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: بيرند راتكه، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٨٢ م٠ ج٦، ص١٧١.

[٧]– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد: (المتوفى: ٨٤٥هـ – ١٤٤١م)، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عبدين، ط١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م. ج١، ص٤٥.

الجاهلية إلى مصر والشام، وقبيل الفتح الاسلامي دخلت بعض القبائل العربية الديار المصرية ومن هذه القبائل، غسان وجذام وعاملة، وكانوا نصارى، فنزل فريق منهم شمال سيناء، تفرق عرب غسان وجذام وعاملة في مصر، فنزل فريق منهم أرض الجفار في شمالي سيناء، وأقطعهم حاكم مصر الروماني ولاية تنيس " صان الحجر "، ولم يكن الوجود العربي في مصر مقصوراً فقط في سيناء بل إن القبائل العربية توغلت في أرض مصر حتى وصلت إلى صعيدها، كما أن هجرة العرب إلى مصر كانت منذ أقدم العصور، في الجاهلية البعيدة، غير أن هذه الموجات النازحة، كانت في تلك العهود أشبه ما تكون بالجاليات، لأنها عاشت حينئذ في كنف حكومات غير عربية، هذه الهجرات المتلاحقة، كانت تمثل المرحلة الإعدادية في تعريب مصر، لأن اللغات أو اللهجات التي حملوها معهم إلى مصر، على اختلافها، تعد شقائق للغة العربية التي نعرفها اليوم، ولأن الأسس الحضارية، التي عبروا عنها ومارسوها، كانت أسساً عربية انبثقت من بيئات شبه الجزيرة العربية[١].

وعندما بدأ الفتح الإسلامي لمصر، دخلت الجيوش الاسلامية وانتشرت في مدنها، كما تحدثت بعض المصادر التاريخية عن أعداد هذه الجيوش، فجيش عمرو بن العاص[*] بلغ قرابة أربعة ألاف، ثم أتبعه الزبير بن العوام[*٢] بمدد بلغ تعداده اثني عشر ألفاً، ثم بنى عمرو بن العاص في سنة (٢١هـ – ٦٤١م) مدينة الفسطاط، مكان مدينة كانت تعرف بابليون، وأخذ العرب يفدون على الفسطاط، حتى كان بها في خلافة معاوية أربعون ألفاً، أما في الإسكندرية فقد كانت حاميتها إلى سنة (٤٣هـ – ٦٦٣م) تبلغ اثني عشر ألفاً من المجاهدين، وكتب قائدهم إلى والي مصر يشكو قلة العدد، وزاد عددهم في أيام خلافة معاوية حتى بلغ ٢٧ ألفاً، على أن هذه الآلاف المعدودة التي سجلت في عداد جيوش الفتح الأول، لا تعطينا، – فيما نعتقد – صورة كاملة لعدد الجماعات العربية التي نزلت مصر في هذه الفترة، ومن الممكن أن نفترض أن المصادر التاريخية

---

[١]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٢٤، ٢٥.

[*]– عمرو بن العاص بن وائل السهمي أسلم عام الحديبية وولي إمارة مصر مرتين وهو الذي فتحها مات بمصر سنة (٤٣هـ – ٦٦٣م). العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: (المتوفى: ٨٥٢هـ – ١٤٤٨م)، تقريب التهذيب، تحقيق : محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦م. ج١، ص٤٢٣.

[*٢]– الزبير بن العوام الأسدي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية وابن أخي خديجة وأول من سل سيفا في سبيل الله استشهد يوم الجمل في سنة (٣٦هـ – ٦٥٦م). الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: (المتوفى: ٧٤٨هـ – ١٣٤٧م)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علو، جدة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م. ج١، ص٤٠٢.

ربما أغفلت ذكر جماعات عربية استوطنت مصر في أيام الفتح غير هؤلاء الجنود الذين ورد ذكرهم، ولكن مما يفيد الباحث أن يجد في هذه المصادر إشارات قد تعينه على عمومها في هذا المجال، فمنها قيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[*] بنقل قبائل بلىّ التي كانت مقيمة بالشام إلى مصر فتوزعوا في مدنها[١]، وجذام أول من سكن مصر من العرب حين جاءوا مع الفتح الإسلامي[٢]، كما نزل الفسطاط جماعة من قريش وغفار وثقيف ودوس وعبس[٣].

في سنة (٣٥٨هـ – ٩٦٨م) سيطر العبيديون على مصر، وكان للفاطميين أثر لا ينكر في هجرة جموع كبيرة من قبائل البربر المتعربة إلى مصر، وهذه القبائل كانت تحمل أنساباً عربية، وتنقسم في أنسابها إلى الشعبتين العربيتين الأساسيتين، فبعضهم ينتسب إلى القيسية، مثل قبائل لواتة وبعضهم ينتسب إلى السبئية مثل قبائل هوارة، فمن المعلوم أن العبيديين قد اعتمدوا في تأسيس دولتهم في المغرب على هذه القبائل، وكان في جيشهم فرق منهم، وكان من الطبيعي أن تنتقل جموع منهم إلى مصر بانتقال العبيديين إليها. ولهذا يعد العصر الفاطمي مرحلة مهمة في تاريخ الهجرات المغربية إلى مصر، ففي هذا العصر انتقلت موجات كبيرة من المغرب، واستقرت في الجانب الغربي لمصر، في غربي الدلتا، والبحيرة والفيوم، والواحات وسائر الجهات الغربية من صعيد مصر. وربما اتجهت بعض قبائل المغرب شرقا، كما فعلت " لواتة " فتجاوزت شرقاً وعبرت منقطع الرمل، ثم نزلت في الجيزة وبلاد البهنسا التي تحد الفيوم من جهة الشرق[٤].

يتضح مما سبق أن الهجرة التي حدثت لعرب اليمن إلى العراق والشام ومصر قد صبغت هذا البلدان بصبغة عربية، وقد تعزز هذا الوجود العربي لهذه البلدان بعد الفتح الإسلامي كما أسلفنا.

**الأتراك:**

الترك من بني ترك بن كومر بن يافث، وقيل: من بني طيراش بن يافث، ونسبهم ابن سعد إلى ترك بن عامور بن سويل بن سويد بن يافث، ويدخل في جنس الترك القفجاق، وهم الخفشاج،

---

[*]– هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ولي الخلافة يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة (١٣هـ – ٦٣٤م) وقتل يوم ٢٧ من ذي الحجة سنة (٢٣هـ – ٦٤٣م). ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي: (المتوفى: ٣٢٨هـ – ٧٤٨م)، العقد الفريد، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. ج٤، ص٢٥٥.

[١]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٢٤، ٢٥، ٢٦.

[٢]– القلقشندي: قلائد الجمان، ج١، ص٥٧.

[٣]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٢٨.

[٤]– المصدر السابق: ج١، ص٤٥.

والطغر، وهم التتر. ويقال التتار، ويدخل فيهم أيضاً الخرلخية، والخزر، وهم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة[*]، والهياطلة، وهم الصغد، والغور والعلان، ويقال: اللان، والشركس، والأزكش، والروس، فكلهم من جنس الترك[١]، " كما يقصد بالأتراك كل الأخلاط التي جُلبت إلى البلاد العربية من الترك والديلم والطرسوسيين والفراغنة والصقالبة والشركس ومن لف لفهم "[٢].

وإذا أردنا الحديث عن بلاد الترك فإنها تبدأ من ما وراء نهر سيحون[٣]، وجميع بلاد الأتراك تكون خلف النهر وفي أقصى بلاد فرغانة والشاش والطران وهم أمم لا يحصى لهم عدد لكثرتهم[٤]، وبلادهم تمتد حتى بلاد التبت[*٢][٥].

وبهذا يكون الترك مقسمين إلى عدة قبائل وأجناس وأمم مختلفة في أصولها فمنهم الأتراك والديلم والتركمان[٦].

بعد أن استقر الأمر لحكام المسلمين وأمرائهم استطابوا خدمات الرقيق إناثاً وذكوراً، وشجعوا استجلابه بكل الوسائل والطرق الشرعية وغير الشرعية، ولم يقتصر هذا الأمر على الخلفاء والسلاطين، بل شغف به قادة الجيش والأمراء والأغنياء والفقهاء، حتى صار الرق سمة رقي ورفعة

---

[*]– السلاجقة، نسبة إلى سلجوق، تركماني من قبائل الغز، انحدر قومه الرحل من سهول كرغيز في تركستان، واستقروا في منطقة بخارى، واعتنقوا المذهب السني. ابن عبد الواحد، إبراهيم بن علي بن أحمد ابن عبد المنعم نجم الدين الطرسوسي: (المتوفى: ٧٥٨هـ – ١٣٥٦م)، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط٢، ج١، ص٧٤؛ الصلابي، علي محمد: دولة السلاجقة، ط١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م. ص١٩.

[١]– القلقشندي: قلائد الجمان، ج١، ص٢٨.

[٢]– ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن الأتابكي: (المتوفى: ٨٧٤هـ – ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر. ج١، ص٣٦.

[٣]– ياقوت: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت. ج٢، ٣، ص١٦٨، ٢٩٤؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٠٢؛ القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء أبو محمد: (المتوفى٧٧٥هـ – ١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مكتبة مير محمد كتب خانه، كراتشي، ج٢، ص١٣٦؛ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد العيني: (المتوفى: ٨٥٥هـ – ١٤٥١م)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج ٢، ص٤٤.

[٤]– الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني: (المتوفى: ٥٦٠هـ – ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج١، ص٥١٧.

[*٢]– التبت بلد واسع وعظيم، وهو بجوار الصين، وأهلها أصحاب حكمة، وهم عبدة أصنام. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح: (المتوفى: ٢٩٢هـ – ٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج١، ص١٧٩، ١٨٣.

[٥]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٠٩؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص١١.

[٦]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٣٦.

ونبل، فاتسعت مصادره باتساع تجارته، واستخدموا العبيد والإماء في خدمات الأرض، والفلاحة والإسطبلات والبيوت، وفي الأعمال الترفيهية (غناء ورقص) حيث برز هذا الاتجاه في عهد الخليفة المعتصم العباسي[*]، وكانت أمه تركية، حيث اعتنى باقتناء أطفال الترك واستخدامهم في حرسه وجنوده، اتقاء لخطر العرب الساخطين، والفرس الناقمين، وكان يجلبهم من أقاليم ما وراء النهر، من سمرقند وفرغانة والسند، وأشروسنة والشاش والقوقاز، فبلغ ما اقتناه منهم بضعة عشر ألفاً حكم بهم البلاد، ثم ما لبث هذا الجيش أن صار وبالاً على العباسيين أنفسهم، فاستبدوا بالدولة، بعد أن أسند إليهم أعلى المناصب، وكان هذا أوّل تسلل للعنصر التركي إلى الحكم[١]، وبهذا سيطر الأتراك على مقاليد الحكم في الخلافة العباسية، وعلى الخلفاء من بني العباس فكانوا يولون الخلفاء ويعزلونهم أحياناً ويقتلونهم أحياناً أخرى[٢]، وبهذا أصبح الأتراك جزءاً من نسيج البلاد العربية فزاد عددهم وشاركوا في نشاطات الحياة المختلفة[٣].

كما سيطر الأتراك على الشام في عهد الخليفة المعتصم، وسيطروا على مصر، وكانت بداية هذه السيطرة في عهد أحمد بن طولون[*٢]، ونتج عن هذه السيطرة العديد من المواجهات بين الأتراك والعرب، ونتج عنها أيضاً إنهاء السيطرة العربية على ميادين الحكم[٤].

إن بداية وجود العنصر التركي في بلاد المشرق الاسلامي بدأت باستجلاب الأتراك كأرقاء وإماء لخدمة أسيادهم العرب[٥]، وبعد فترة من الزمن ازداد عدد الأتراك في العراق والشام ومصر،

---

[*]– المعتصم بالله، هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد وأمه ماردة، وهو الثامن من الخلفاء العباسيين، وهو أول من أضاف إلى لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء فقيل المعتصم بالله، بويع يوم وفاة أخيه المأمون بمدينة طرسوس في ٨ رجب سنة (٢١٨هـ – ٨٣٣م). النويري: نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٧٤؛ القلقشندي، أحمد بن عبد الله: (المتوفى: ٨٢١هـ – ١٤١٨م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م. ج١، ص٢٣، ٢١٧، ٢١٨.

[١]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧، ٧٨.

[٢]– اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٩٢، ٤٩٤.

[٣]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧، ٧٨؛ عثمان، محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، إشراف: أحمد مشاري العدواني، دار المعارف، الكويت، ١٩٧٨م. ص٦٥.

[*٢]– هو أحمد بن طولون الأمير أبو العباس التركي أمير مصر ولى مصر بعد عزل أرخوز بن أولوغ طرخان. ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١.

[٤]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٣٢، ٣٣، ٣٧؛ الكرد، عودة سعيد عودة: فلسطين في عصر الدويلات الاسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠٠٧م، ص٨٢؛ علي، وفاء محمد: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية. ص٣٢ – ٣٥.

[٥]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧.

وأصبحوا قوة لا يستهان بها، كما ازداد نفوذهم وأصبحوا يتحكمون في مقاليد الحكم[١]، وهذا الوجود التركي في المنطقة العربية لم يكن تأثيره منصباً على الحكم فقط، بل تعدى ذلك ليشمل التركيبة السكانية للمنطقة العربية، فقد أصبحت تحوي بين جنباتها أجناساً وعناصر سكانية أخرى غير العنصر العربي[٢].

**الفرس والديلم:**

تعززت سيطرة الأتراك على بعض البلاد العربية بعد سيطرة بني بويه على الخلافة العباسية سنة (٣٣٤هـ – ٩٤٥م)[٣]، وبني بويه من الفرس، وانما نسبوا إلى الديلم لطول مقامهم ببلادهم[٤]، والديلم من الأتراك[٥]، وبني بويه من الشيعة[*] الرافضة[*٢][٦]، وبلاد الديلم تقع بجوار بلاد الترك، ومنها قزوين وأبهر وزنجان والببر والطيلسان والديلم وآمل وسارية ومامطير وطميسة[٧].

وهذه السيطرة على مقاليد الحكم في العراق من قبل بني بويه نتج عنها بالضرورة استقدام هذا العنصر التركي إلى هذا القطر العربي وانخراطهم في هذا المجتمع العربي وهذا بالضرورة أوجد شريحة جديدة من السكان ذات أطباع وثقافات مختلفة.

---

[١]– اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٩٢، ٤٩٤.

[٢]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧، ٧٨؛ عثمان، محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، إشراف: أحمد مشاري العدواني، دار المعارف، الكويت، ١٩٧٨م. ص٦٥.

[٣]– ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: (المتوفى: ٥٩٧هـ – ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ،. ج١٤، ص٤٢؛ علي: الخلافة العباسية، ص٣٦، ٣٧.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٣.

[٥] – ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٣٦.

[*]– الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه، وقالوا إنه الإمام بعد رسول الله، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده. الجرجاني، علي بن محمد بن علي: (المتوفى: ٨١٦هـ – ١٤١٣م)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ. ج١، ص١٧١؛ نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد: دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م. ج٢، ص١٦٥.

[*٢]– الرافضة هم أجهل الطوائف وأكذبها وأبعدها عن معرفة المنقول والمعقول، وهم يجعلون التقية من أصول دينهم، ويكذبون على أهل البيت كذباً لا يحصيه الا الله، حتى يرووا عن جعفر الصادق أنه قال التقية ديني ودين آبائي، و(التقية) هي شعار النفاق، فان حقيقتها عندهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم الحراني أبو العباس: (المتوفى: ٧٢٨هـ – ١٣٢٧م)، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط٢، مكتبة ابن تيمية. ج١٣، ص٢٦٣.

[٦]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٣٤.

[٧]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٥٥.

**التركمان:**

يعد التركمان من الأتراك[١]، أما لفظ تركمان فيطلق على أولئك المنشغلين بالترحال[٢]، ويعد السلاجقة من القبائل التركمانية، وهم من أول الأتراك الذين دانوا بالإسلام، وكانوا على قدر كبير من الشجاعة والفروسية[٣].

وبعد أن انتهت دولة بي بويه على أيدي السلاجقة في سنة (٤٤٧هـ – ١٠٥٥م)، سيطر السلاجقة على العراق[٤]، كما امتدت سيطرتهم لتصل بلاد الشام سنة (٤٧٠هـ – ١٠٧٧م)[٥]، وتوافدت أعداد كبيرة منهم إلى بلاد العراق والشام، وكان اسماء أمرائهم كوكتاش وبوقا وقزل ويغمر وناصفلي[٦]، حيث أسس السلاجقة دولة تركية كبرى ظهرت في القرن الخامس للهجرة الحادي عشر الميلادي، لتشمل خراسان وما وراء النهر وآسيا الصغرى[٧] وإيران والعراق وبلاد الشام[٨].

**عناصر أخرى:**

**الأقباط:**

يرجع نسب الأقباط إلى قبط بن مصر بن بيصر بن نوح عليه السلام[٩]، فسميت مصر مصراً نسبةً إلى

---

[١]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٣٦.

[٢]– الشوكاني، محمد بن علي: (المتوفى: ١٢٥٠هـ – ١٨٣٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت. ج٢، ص٥٦؛ الحويري، محمود محمد: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، دار المعارف، جامعة أسيوط، ١٩٧٩م. ص٢٧.

[٣]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٤٨؛ علي، محمد كرد: خطط الشام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م. ج١، ص٢٣٥.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤٢؛ الصلابي: دولة السلاجقة، ص٤٧.

[٥]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤٢.

[٦] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٢؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٩٥.

[٧]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٤٣؛ الصلابي، علي محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط١، دار التوزيع والنشر الاسلامية، بور سعيد، ٢٠٠١م. ص٢٨.

[٨]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤٢؛ الصلابي: الدولة العثمانية، ص٢٨.

[٩]– المصري، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي: (المتوفى: ٢٥٧هـ – ٨٧٠م)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م. ج١، ص٦١؛ المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على: (المتوفى: ٣٤٦هـ – ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ٤ج، القاهرة، ١٩٤٨م. ج١، ١٥٨؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٥٧؛، المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي: (المتوفى: ١١١١هـ – ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج١، ص١٨٩.

مصر بن بيصر بن نوح [١]، وهو أول من سكنها [٢]، كما سمي الأقباط أقباطاً نسبةً إلى قبط بن مصر بن بيصر بن نوح[٣].

فمصر سكانها أخلاط من الناس من قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وأرمن وحبشان وغير ذلك من الأصناف والأجناس، إلا أن معظم سكانها من القبط، وكانوا قديما عباد أصنام إلى أن ظهر دين النصرانية بمصر فتنصروا، وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون، في أيام عمر بن الخطاب، فأسلم بعضهم وبقي البعض على دين النصرانية، وغالب مذهبهم يعاقبه(*)[٤].

ورغم تعدد أجناس الناس الذين سكنوا مصر بعد الفتح الإسلامي من عرب وأتراك الا أن الغالب على أصول سكانها هم الأقباط إلى تلك الفترة والتي امتدت من الفتح الإسلامي وحتى القرن السابع الهجري[٥].

**المغاربة:** يطلق هذا الاسم على سكان بلاد البربر، أو أفريقيا الصغرى الشاملة بلاد طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش[٦]، وسكان بلاد المغرب هم في معظمهم من البربر، وهم كالعرب في سكنى الصحارى، ولهم لسان غير العربي، ولهم قبائل كثيرة، منها كثامة وصنهاجة وزناتة والمصامدة وهنتانة وبرغواطة[٧].

---

[١]– النويري: نهاية الأرب، ج٢، ص٣٠٦؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: (المتوفى: ١٢٠٥هـ – ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. ج١٤، ص١٢٦.

[٢]– المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٥٥.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج٢، ص٣٠٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٤، ص١٢٦.

(*)– اليعاقبة هم طائفة من النصارى من الذين يقولون أن المسيح عيسى بن مريم هو الله (تعالى الله عما يقولون). السلمي، الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الشافعي: (المتوفى: ٦٦٠هـ – ١٢٦١م)، تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م. ج٣، ص١٦١؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: (المتوفى: ٦٧١هـ – ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة. ج١٦، ص١٠٩؛ عاشور، محمد الطاهر: (المتوفى: ١٢٨٤هـ – ١٨٦٧م)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م. ج٢٥، ص٢٤٩.

[٤]– ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٤٠، ١٤١.

[٥]– ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٤٠، ١٤١.

[٦]– البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي: (المتوفى: ٩٩٩هـ – ١٥٩٠م)، قواعد الفقه، ط١، دار النشر الصدف ببلشرز، كراتشي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م. ج١، ص٤٩٧.

[٧]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٦٢.

بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بدأت عملية التعريب الثقافي له، إلى جانب التعريب السلالي لسكانه، استطاع العبيديون من اقامة دعوتهم في بلاد المغرب سنة (٢٩٧هـ – ٩٠٩)[١]، وفي سنة (٣٥٨هـ – ٩٦٨م) سيطر العبيديون على مصر، وكان للفاطميين أثر لا ينكر في هجرة جموع كبيرة من قبائل البربر المتعربة إلى مصر، وعرفوا باسم المغاربة[٢]، وعندما سيطر العبيديون على الشام سنة (٣٦٠هـ – ٩٧٠م)، واستمرت سيطرتهم عليها حتى سنة (٤٦٨هـ – ١٠٧٥م)[٣]، وبهذا دخل المغاربة البربر ضمن النسيج الاجتماعي لسكان المشرق الإسلامي، وأصبحوا جزءاً من مكونه الحضاري والاجتماعي والثقافي.

ويتضح لنا مما سبق أن هذه المنطقة تميزت بوجود عناصر متعددة ومختلفة الأجناس والأعراق، فكانت عبارة عن خليط من كل أمة وكل لسان، فقد جمعت بين حدودها ومدنها وقراها وباديتها عرباً وأتراكاً وتركماناً وأقباطاً وأقواماً من أصول متعددة يصعب حصرها، وجميعهم انصهروا في بوتقة الإسلام[٤].

هذه التركيبة الفسيفسائية لسكان المشرق الإسلامي، والتي ضمت العديد من الأجناس والأقوام، التي ما كان لها أن تجتمع في هذه البلاد العربية لولا وجود الإسلام، فهو المعالج الحضاري الأقوى، الذي صهر هذه الأجناس ذات الطبائع والعادات واللغات المختلفة فيما بينها، تجمعت كلها في مكان واحد وفي وقت واحد، مشكلةً مجتمعاً متعايشاً فيما بينه رغم بعض الصراعات التي كانت تنتج أحياناً، إلا أنها أثبتت أنها يمكنها التعايش، بل ويمكنها ان تشكل حضارة ودولاً ذات تأثير فاعل في المنطقة على فترات طويلة من الزمن، والسر في نجاح هذا الأمر يرجع إلى المحضن الأم، القادر على أن يجمع بينهم، ألا وهو الإسلام. مستلهمين ذلك من قول الله عز وجل في كتابه العزيز: وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[٥].

---

[١]– ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٥٠–٤٦٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٤٥٢؛ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي: (المتوفى: ٨٤٥هـ – ١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، وزارة الأوقاف، مصر، ١٩٩٦م. ج١، ص٤٣.

[٢]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٤٥.

[٣]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ١١، ص٨٨، ٢٦٦، ٢٦٧.

[٤]– براور، يوشع: الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينية، ترجمة: عبد الحافظ البنا، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٧٣م. ص٦٩.

[٥]– قرأن كريم: الأنفال، أية ٦٣.

## المبحث الثاني: أحوال المدن والقرى قبيل الحروب الصليبية

### المدن:

" تعد المدينة[*] شيئاً أساسياً في حياة الإنسان، فالإنسان مدني بطبيعته أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة وبهذا يكون الاجتماع الإنساني ضرورياً للاستمرار والتعايش "[١].

كما تعد المدينة مهمة جداً في حياة الناس، فهي تعادل الأمة كما يقول الفيروز أبادي[٢]، ويقول القزويني عند حصول الهيئة الاجتماعية أي لو اجتمع البشر في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا في الخيام والخرقات لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب كما ترى في القرى التي لا سور لها لم يأمنوا صولة ذي بأس، فأكرمهم الله تعالى باتخاذ السور والخندق والفصل فحدثت المدن والأمصار والقرى والديار[٣].

تعود أهمية التحصين للمدينة إلى حماية وجودها وتنمية عمرانها وانطلاقا من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة اعتبر السور من المعايير الحضارية التي يميز المدن، واعتبر الإسلام، بناء الأسوار والأبراج والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الإسلام ومن هنا صنّفها الفقهاء تصنيفاً يضعها في عداد " البناء الواجب " ولا سيما إذا كانت الحاجة ملحة لاستخدامها في الدفاع عن حرمات المسلمين، وتوفير الأمن للسكان[٤].

ومن هذا المنطلق سوف نوضح في هذا البحث أحوال أهم المدن الإسلامية قبيل تعرضها للغزو الصليبي، وسنسلط الضوء على هذه المدن لمعرفة أحوالها وعدد سكانها وتحصيناتها قبيل تعرضها لهذا الغزو، لنعلم لماذا وكيف سقطت هذه المدن في أيدي الحملات الصليبية؟ أكان من ضعف تحصيناتها أم من أمور أخرى؟ كما سنبصر معاً أحوال المدن ذات الثقل السياسي

---

[*]– المدن جمع مدينة وسميت مدينة لان أهلها يقيمون بها ومنه مدن بالمكان أقام به. العكبري، أبو البقاء: (المتوفى: ٦١٦هـ – ١٢١٩م)، ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا / إبراهيم الأبياري / عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت. ج٣، ص١٩٧؛ الموسوي، مصطفى عباس: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٢م. ص١٥.

[١]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص٤١.

[٢]– عثمان: المدينة الإسلامية، ص ١٦، ١٧.

[٣]– القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: (المتوفى: ٦٨٢هـ – ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت. ج١، ص١، ٢؛ عثمان: المدينة الإسلامية، ص ١٦، ١٧.

[٤]– عثمان: المدينة الإسلامية، ص١٢١، ١٢٢.

والعسكري والاجتماعي كبغداد والقاهرة[*] ودمشق كونها أدت دوراً أساسياً في هذا الصراع، ومن هذه المدن:

**أنطاكية:** وهي بعد دمشق، حيث تعد من أفضل بلاد الشام، عليها سور من صخر يحيط بها، وهناك جبل مشرف عليها فيه مزارع ومراع وأشجار، ويقال إن محيط السور للراكب يومان، والمياه متوفرة فيها، وبها ضياع وقرى ونواح خصبة جداً[١]، كما أن موقع المدينة حصين جداً[٢]، وهذا الوصف لهذه المدينة التي تعرضت للغزو الصليبي يعطينا صورة واضحة عن تلك المدينة بأنها كانت ذات أسوار ومنعة، وكما أن المدينة بها من المياه والزروع والأراضي الخصبة ما يجعلها تصمد في وجه أي حصار فترة لا بأس بها إن توفرت الإرادة للدفاع عنها.

تحركت جيوش العراق والشام لنجدت المدينة لكنها لم تفلح وتمت هزيمتها لاختلافهم وتفرق كلمتهم رغم اجتماعهم[٣]، ومع كل هذا سقطت المدينة في يد الصليبيين في بداية الهجمة الصليبية سنة (٤٩١هـ – ١٠٩٧م)[٤]. ونستنتج من سرعة سقوط المدن حالة الضعف التي وصلت إليها بلاد المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية.

**الرها:** مدينة الرها تتصل بمدينة حران، وهي مدينة متوسطة من حيث المساحة، أكثر أهلها نصارى ذات عيون كثيرة، تجري منها الأنهار وأن لها سوراً من حجر يحيط بأشجار وأراضي واسعة وبساتين[٥]، والرها مدينة حصينة[٦]، وتجري في المدينة عينان تسمى إحداهما العين الطويلة

---

[*]– القاهرة، أهم مدن مصر، بناها جوهر الصقلي، غلام المعز العبيدي، شرقي النيل وفي جنوبيها على ميل من مدينة الفسطاط التي اختطها عمرو بن العاص. المغربي، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد: (المتوفى: ٦٨٥هـ – ١٢٨٦م)، الجغرافيا. مكتبة الجامع الكبير. ج١، ٢٨.

[١]– الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي: (المتوفى: ٣٤٦هـ – ٩٥٧م)، المسالك والممالك. ج١، ص١٣.

[٢]– بنيامين، الرابي بن يونه التطيلي النباري الأندلسي: ( المتوفى: ٥٦٩هـ – ١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة وتعليق: عزرا حداد، تقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٩. ص٢٣٠.

[٣]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٩٣؛ ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص١٠.

[٤]– ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١١٧؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: (المتوفى: ٧٤٨هـ – ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ. ج١٩، ص٣١٦.

[٥]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٢٦.

[٦]– ابن القلانسي، تاريخ دمشق: (المتوفى : ٥٥٥هـ – ١١٦٠م)، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط١، دمشق، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. ج١، ص١٠٣.

والأخرى العين المدورة[١]، ولهذه المدينة مكانة لدى الصليبيين لما فيها من كنائس ومقتنيات[٢]، وهذا يعطينا تصوراً واضحاً عن مقدمات سقوط المدينة في أيدي الصليبيين، فحينما نعلم ان معظم أهلها نصارى وأن لها مكانة في نفوسهم لا نستغرب عندما نعلم أن هذه المدينة الحصينة تم تسليمها من قبل أهلها الذين هم في معظمهم نصارى إلى الفرنجة الغزاة[٣].

**يافا:** مدينة على ساحل البحر، كانت عامرة، عليها سور مُحكم البناء، ولها قلعة مرتفعة[٤]، نظراً لأهمية المدينة وقوتها فقد تم محاصرتها من قبل الفرنجة براً وبحراً في ٩ رمضان سنة (٤٩٣هـ الموافق ١٨ يوليو ١١٠٠م)[٥]، رغم هذه التحصينات سقطت المدينة في يد الفرنجة[٦]، حيث هجرها أهلها حين سماعهم باقتراب القوات الصليبية من مدينة أرسوف[٧]، رغم تحصينات المدينة فقد سقطت المدينة لعدم توفر إرادة القتال عند أهلها، ويبدو أن حالة الضعف التي أصابتهم إنما كانت نتاج لحالة الضعف والوهن التي أصابت دويلات وممالك المسلمين في تلك الحقبة.

**حيفا:** أما حيفا فقد وصفها ناصر خسرو حين زارها في منتصف القرن الخامس الهجري بأنها قرية مشيدة على البحر وبها نخيل وأشجار كثيرة وبها مصنع للسفن البحرية[٨]، لم تكن حيفا مهيأة لصد أي عدوان عليها، فهي في ذلك الوقت أقرب إلى القرية منها إلى المدينة، ولا يوجد أي معلم من معالم الصمود يدل على أنها سوف تكون عصية على الغزاة.

وعلى الرغم من هذا الضعف الواضح في تجهيزات وتحصينات حيفا إلا أنها قاومت إلى أن استولى عليها الغزاة الفرنجة بالقوة[٩].

---

[١]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٢٦.

[٢]– المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٤٥.

[٣]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٣.

[٤]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٠٧.

[٥]– الصوري، وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ٢ج، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣ م. ص ٤٦٣.

[٦]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٠٧.

[٧]– الصوري، تاريخ، ح ١، ص ٤٣٣.

[٨]– خسرو، ناصر: (المتوفى: ٤٤٤هـ – ١٠٥٢م)، سفرنامه، تحقيق: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.ج١، ص٥٣.

[٩]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٣.

**قيسارية:** قيسارية بينها وبين عكا سبعة فراسخ[*]، وهي مدينة جميلة بها ماء جار ونخيل وأشجار النارنج والترنج[*٢]، ولها سور حصين له باب حديدي وبها عيون ماء جارية ومسجدها الجامع جميل، ويرى المصلون البحر ويتمتعون به وهم جلوس في ساحته[١]، تعد قيسارية من المدن الساحلية الحصينة، وهذا السور الحصين يعطيها قدرة على الصمود والمواجهة، إلا أن هذه التحصينات لم تغني عنها شيئا، فقد سيطر الفرنجة على مدينة قيسارية بالقوة وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها[٢].

**الرملة:** أما الرملة فتبعد عن قيسارية ثمانية فراسخ وهي مدينة كبيرة بها سور حصين من الحجر والجص مرتفع ومتين وعليه أبواب من حديد ومن المدينة إلى شاطئ البحر ثلاثة فراسخ والماء هناك من المطر ولذا فقد بني في كل منزل حوض لتجميع مياه المطر فيبقى ذخيرة دائمة، وفي وسط مسجد الجمعة أحواض تمتلئ بالماء فيأخذ منه من يشاء، ومساحة الجامع ثلاثمائة قدم في مائتين[٣]، وتعد الرملة أعظم مدن فلسطين[٤]، ولو نظرنا بتمعن إلى ما أشار إليه الرحالة ناصر خسرو من وصف لهذه المدينة لعلمنا مدى استعدادها للصمود والمواجهة في وجه أي اعتداء خارجي، فقد كان لها سور وأبواب من حديد وبها عيون وأحواض ماء توفر احتياجات السكان من الماء كما كان بها أشجار وزروع فأراضيها خصبة، كما كانت الرملة مدينة كبيرة نسبياً كما أشار ناصر خسرو وهناك اشارة على كبر عدد سكان المدينة ألا وهو جامعها حيث أن مساحته كبيرة تشير إلى كثرة مرتاديه. ومع ذلك فقد سقطت المدينة في يد الغزاة الصليبيين، ولم تغنِ عنها تحصيناتها وعظمها شيئاً[٥].

**القدس:** بيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجدٌ أكبر منه، وهي تلي الرملة في المساحة[٦]، وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس القدس، كما لا يوجد بها

---

[*]– الفرسخ ثلاث أميال. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: (المتوفى: ١٧٥هـ – ٧٩١م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. ج٤، ص٣٣٢.

[*٢]– النارنج والترنج هما الليمون والبرتقال. براور: الاستيطان الصليبي، ص٤٣٤.

[١]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٥٤.

[٢]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٣.

[٣]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٥٤.

[٤]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٢٣.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٨٥.

[٦]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٢٣.

ماء غير الأمطار وبعض العيون، ولا تتسع للزروع، رغم أنها من أخصب بلدان فلسطين، والمدينة محاطة بسور حصين من الحجر والجص، وعليها بوابات حديدية، وليس بقربها أشجار قط، فإنها على رأس صخر، وهي مدينة كبيرة كان بها في ذلك الوقت عشرون ألف رجل، وبها أسواق جميلة وأبنية عالية وكل أرضها مبلطة بالحجارة، وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات وجعلوها مسطحة بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار، وفي المدينة صناع كثيرون لكل جماعة منهم سوق خاصة والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي، وهي ذات مكانة عند أصحاب الديانات الثلاثة، فإن لهم بها كنائس ومقدسات يحجون إليها[١].

ولو تتبعنا هذا الوصف الدقيق لحال القدس قبيل الغزو الصليبي بفترة ليست ببعيده لوجدنا التالي:

١- القدس مدينة مقدسة لمعظم الديانات السماوية وهذا يضعها أهم هدف من أهداف الحملة الصليبية.

٢- المدينة محصنة بسور حصين من الحجر والجص، وعليها بوابات حديدية، كما أن المدينة مشيدةً على قمة جبل وهذا يجعلها أقدر على الدفاع والمواجهة، وفي الوقت نفسه فإن هناك عوامل تمنعها من الصمود لفترات طويلةً، فالمدينة ليس بها ماء غير الأمطار وبعض العيون، كما أنها لا تتسع لأن يكون بها بساتين وأشجار، هذان العاملان كفيلان وحدهما أن تنهار أمامهما أقوى التحصينات، والحل هو عدم التحصن بها لفترات طويلة والدخول في مواجهات حاسمة وسريعة.

٣- مدينة القدس مدينة كبيرة نسبياً فقد كان بها في ذلك الوقت أي قبل الحروب الصليبية بفترة قريبة حوالي عشرين ألف نسمة وهذا عدد كبير نسبياً لمدن تلك الفترة، كان من الأجدى لو تم استخدام هذه الأعداد في الدفاع عن المدينة.

ومع هذا فقد سقطت المدينة أمام الهجمة الصليبية الأولى، فقد كانت الهجمة أشد وأعنف من أن تصمد المدينة في وجهها[٢]، فيما يبدو أن بيت المقدس كان هدفهم الأكبر الذي استماتوا للحصول عليه.

**عكا:** عكا مدينة واسعة الأرجاء، كثيرة الضياع، ولها مرسىً على البحر، وهي احصن مدينة من مدن ساحل الشام[٣].

---

[١]- خسرو: سفرنامه، ج١، ص٢٣، ٥٥، ٥٦، ٧٤.

[٢]- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٠٤.

[٣]- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٩١، ٩٢.

وتعدُ أسوار عكا من أمنع الأسوار وأمتنها[١]، لم يستطع الصليبيون السيطرة على مدينة عكا في المرحلة الاولى للغزو الصليبي[٢]، نظراً لحصانة المدينة ومناعة أسوارها وكونها مدينة ساحلية يسهل إمدادها من البحر في حال حوصرت براً، واستمرت المدينة في الصمود حتى سنة (٤٩٧هـ – ١١٠٣م) حيث سقطت في يد الفرنجة[٣]، بعد صمود ومقامة طويلة، وارتكب الفرنجة في المدينة وأهلها أعمالاً شنيعة[٤].

**عسقلان:** أما عسقلان فهي مدينة حسنة ذات سورين، وبها أسواق وليس لها من خارجها بساتين وليس بها شيء من الشجر[٥]، وكان عدد سكان مدينة عسقلان حين غزاها الفرنجة زهاء عشرة آلاف نفس[٦]، وقد فشل الصليبيون في السيطرة على عسقلان في المرحلة الأولى للغزو الصليبي[٧]، يبدو أن من الأسباب التي ساعدت عسقلان على الصمود مناعة أسوارها. وقربها من الديار المصرية، كما أنها مدينة ساحلية كعكا يسهل إمدادها من البحر في حال حوصرت براً[٨]، استمرت عسقلان في الصمود حتى سقطت في يد الفرنجة سنة (٥٤٨هـ – ١١٥٣م)، وهذا الصمود يرجع لمدى اهتمام الدولة العبيدية بها، فقد كانت الدولة العبيدية على ما بها من ضعف تمد المدينة سنوياً بالمال والرجال والذخائر كي تتمكن من الصمود[٩].

---

[١]– البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم: (المتوفى : ١٣٣٥هـ – ١٩١٦م)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م. ج١، ص٤٢٤.

[٢]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٦، ١٩، ٧٢؛ السرجاني، راغب: قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، ط٢، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م. ص١٦٢؛ الأغا، حسام حلمي يوسف: الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية غزة، ٢٠٠٧م. ص٤٧.

[٣]– القلقشندي: مآثر الإنافة، ج٢، ص١٦.

[٤]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٩٧.

[٥]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٧.

[٦]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٨١.

[٧]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٩٢؛ الأغا: الأوضاع الاجتماعية، ص٤٨؛ السرجاني: قصة الحروب، ص١٦٢.

[٨]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٣٩.

[٩]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٩٢؛ الأغا: الأوضاع الاجتماعية، ص٤٨.

**غزة:** على الرغم من كونها مدينة صغيرة إلا أن لها مكانة خاصة كونها أخر مدينة من مدن الشام من تجاه مصر[١]، كما أن بها قبر هاشم ابن عبد مناف، وبها مولد محمد بن إدريس الشافعي، وكانت طريق أهل الحجاز إلى الشام يمر عبرها، وتعد من أخصب بلاد الشام[٢]، رغم أنها مدينة صغير، لكنها مهمة للفرنج كونها حلقة الوصل بين الشام ومصر، إلا أن الفرنجة في هجمتهم الأولى على مدن الشام الساحلية لم يستطيعوا احتلالها، رغم أنهم جدوا للسيطرة عليها لما لها من أهمية استراتيجية، فقد ضربوا عليها حصاراً استمر أربعة أشهر، وانتهى هذا الحصار دون أن يتمكنوا من السيطرة على المدينة[٣]، يبدو أن عزيمة الصمود والمواجه متجذرة في نفوس أهل غزة، رغم ما يحيط بهم من تخاذل وانهزام.

**بيروت:** ومدينة بيروت أيضاً مدينة على ساحل البحر، عليها سور حجارة كبيرة واسعة، ولها بمقربة منها جبل ولها غابة أشجار صنوبر مما يلي جنوبها تتصل إلى جبل لبنان، وشرب أهلها من الآبار[٤]، وتعد بيروت من أحصن مدن الساحل وأنزهها وأطيبها[٥]، لم يستطع الصليبيون احتلالها في المرحلة الأولى للغزو الصليبي[٦]، كونها مدينة حصينة ومدينة ساحلية أيضاً، لكنها سقطت بعد أن قاومت الغزاة الصليبيين وقاتلتهم قتالاً لم يشهدوا مثله، وكان سقوطها في يوم (الجمعة ٢١ شوال سنة ٥٠٣هـ الموافق ١٣ مايو سنة ١١١٠م)[٧].

**صيدا:** تقع على شاطئ البحر أيضاً، يزرع بها قصب السكر بوفرة، وبها قلعة حجرية محكمة ولها ثلاث بوابات، وفيها مسجد جمعة وفيها حدائق وأشجار[٨]، لقد كانت مدينة صيدا مدينة حصينة تستعصي على الغزاة[٩]، مما جعلها تصمد أمام الهجمات الأولى للصليبيين[١٠]، ولكنها ما لبثت حتى استسلمت المدينة للغزاة الصليبيين وسقطت هي الأخرى كسابقاتها بين براثن الغزاة الصليبيين

---

[١]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٦

[٢]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٢٣.

[٣]– ابن خلدون: تاريخ، ج٥، ص٢٤.

[٤]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٧١.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٥١.

[٦]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٧٩؛ السرجاني: قصة الحروب، ص١٦٢.

[٧]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٧٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٥.

[٨]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٩.

[٩]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨٤.

[١٠]– القلقشندي: مآثر الإنافة، ج٢، ص١٦؛ السرجاني: قصة الحروب، ص١٦٢.

في سنة (٥٠٤هـ – ١١١٠م)[١]، يبدو أن حالة الضعف والوهن واليأس كانت بادية على عقول وقلوب حكام المسلمين في تلك الحقبة، مما ترتب عليه هذا السقوط المدوي لتلك المدن الحصينة.

**طرابلس:** مدينة طرابلس مدينة عظيمة عليها سور من حجر منيع، ولها شوارع وأحياء وضياع جليلة، وبها من شجر الزيتون والكروم[*] وقصب السكر وأنواع الفواكه وضروب الغلات الشيء الكثير، والوارد والصادر إليها من البضائع كثير، والبحر يحيط بها من ثلاثة أوجه[٢]، كما يصفها الرحالة ناصر خسرو بأنها مشيدة بحيث إن ثلاثة من جوانبها مطلة على البحر، أما الجانب المطل على اليابس فبه خندق عظيم عليه باب حديدي محكم، وفي الجانب الشرقي من المدينة قلعة من الحجر المصقول عليها شرفات ومقاتلات من الحجر نفسه، وعلى قمتها عرادات لوقايتها من الروم، فهم يخافون أن يغير هؤلاء عليها بالسفن، ويقال إن بها عشرين ألف رجل، ومساحة المدينة ألف ذراع مربع، وحول المدينة المزارع والبساتين وكثير من قصب السكر وأشجار النارنج والترنج والموز والتمر، وشوارعها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين[٣]، وهذا الوصف الذي وصفة الرحالة ناصر خسرو يوضح أن المدينة قوية من حيث تحصيناتها واستعداداتها وجهوزيتها المستمرة لمواجهة أي عدوان عليها، كما يوضح لنا أن المدينة غنية اقتصادياً، لقد استطاعت طرابلس صد الهجمات الأولى للغزو الصليبي عليها حيث كان يحكمها حاكم قوى يدعى فخر الملك ابن عمار استطاع أن يحي روح الجهاد والمقامة في نفوس أهلها، ولكنها في النهاية سقطت في أيدي الصليبيين بعد عدة ضربات تلقتها المدينة وحصار استمر من أول شعبان حتى ١١ ذو الحجة من سنة (٥٠٢هـ – ١١٠٩م)[٤]، أي أنها صمدت ما يقارب أربعة أشهر، لقد قاومت المدينة واستبسلت في الدفاع لكنها كانت فيما يبدو في محيط يعج بالمتخاذلين والمنهزمين من حكام المسلمين.

---

[١]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٣٠٢؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج٢، ص١٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٦.

[*]– الكَرْم: شجر العنب لا يسمى به غيره، والجمع كُروم. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي: (المتوفى: ٣٢١هـ – ٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج٢، ص٧٩٨؛ ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني: (المتوفى: ٢٥١هـ – ٨٦٥م)، الأموال لابن زنجويه، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ط١، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م. ج١، ص٢٣٥.

[٢]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٧٢.

[٣]– سفرنامه: ج١، ص٤٧.

[٤]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٨٧، ٩٨.

**صور:** مدينة صور هي مدينة ساحلية أيضاً وقد بنيت على صخرة امتدت في الماء بحيث إن الجزء الواقع على اليابسة من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع والباقي في ماء البحر، والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سدت فجواته بالقار[*]، حتى لا يدخل الماء من خلاله، وقد قدرت المدينة بألف ذراع مربع، وبها وأسواقها جميلة كثيرة الخيرات، وتعرف مدينة صور بين مدن ساحل الشام بالثراء، ومعظم سكانها شيعة وصور مشيدة على مرتفع وتأتيها المياه من الجبل[١]، هذه الحالة التي عليها مدينة صور يجعلها من أقوى مدن الساحل بعد عكا، كون البحر يحيط بها من معظم جوانبها، وايضاً تحصيناتها العسكرية المتمثلة بقلعتها التي يبدو أنها قوية، كما أن هناك عاملاً مهماً يكسب المدينة خاصية مهمة ألا وهو أنها مدينة تمتاز بالثراء وهذا عنصر قوة لهذه المدينة. وقد وصفها أبو الحسن المغربي في كتابه بأن صور لا تتأثر بحصار لقوتها ومنعتها[٢].

لقد استطاعت صور صد الهجمات الأولى للغزو الصليبي عليها[٣]، فقد كان الأسطول المصري مرابطاً عند سواحل صور[٤]، حيث صمدت المدينة في وجه الحصار الذي فرضه الصليبيون عليها في سنة (٥٠٤هـ – ١١١١م) بعد فدية دفعوها تقدر بسبعة ألاف دينار[٥]، استطاعت المدينة أن تصمد أمام هجمات الفرنجة لكنها في نهاية الأمر سقطت في أيديهم في ٢٣ جمادى الأول سنة (٥١٨هـ – الموافق ٨ يوليو ١١٢٤م) بعد طول مقاومة وقتال[٦].

**دمشق:** مدينة دمشق من أعظم بلاد الشام فمناخها معتدل وموقعها استراتيجي حاكم، ومياهها كثيرة متوفرة، وهي بلاد خصبة وغنية، وأبنيتها عالية، وتعد من أكثر البلاد جنداً، ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة، وبها ضياع كالمدن مثل المزة وداريا وبرزة وحرسته وكوكبا وبلاس وكفر سوسة وبيت الأهواء، وبدمشق المسجد الجامع الذي ليس على الأرض في مثل جماله[٧]، كما كان لها

---

[*]– القار وهو شيء أسود تطلى به الإبل والسفن ليمنع الماء أن يدخل، وهو الزفت. ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص١٢٤.

[١]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٥٠.

[٢]– الجغرافيا، ج١، ص٤٠.

[٣]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٨٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ٤٨، ٤٩.

[٤]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص١٠٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٢٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٥٢.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٢٢؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج٢، ص١٦.

[٦]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢٧.

[٧]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ٣٦٦، ٣٦٧.

قلعة للدفاع عنها[١]، وبهذا تكون دمشق قوة كبيرة ومؤثرة في المنطقة العربية لكثرة جندها وغنى إمارتها وحصانة مدينتها، هبت دمشق لنجد أنطاكية في بداية الهجمة الصليبية الأولى لكن الخلاف الذي نشب بينها وبين شركائها في هذه المعركة من دويلات المشرق الإسلامي حال دون نجاح مسعاها في طرد الغزاة[٢]، ومع ذلك وقفت دمشق موقف المراقب السلبي للهجمة الشرسة للغزاة الصليبيين لتخاذل حكامها[٣].

**حلب:** لهذه المدينة سور عظيم ارتفاعه ٢٥ ذراعاً، وبها قلعة عظيمة مشيدة كلها من الصخر، وهي مدينة عامرة أبنيتها متلاصقة، وفيها تُحصل المكوس عما يمر بها من بلاد الشام والروم وديار بكر[*] ومصر والعراق، ويذهب إليها التجار من جميع هذه البلاد[٤]، كما أن شرب أهل حلب من نهر قويق الذي يخترق المدينة[٥]، وهذه إشارة واضحة على أن المدينة كبيرة ومحصنة بسور عظيم وقلعة قوية، كما أن هناك إشارة على أن التجارة في حلب مزدهرة نظراً لموقعها الجغرافي المتحكم بطرق التجارة، وهذا يوفر لها عائداً مالياً كبيراً مما يجعلها إمارة غنية وقوية ومهمة، ولقد نهضت حلب لنجدة أنطاكيا في بداية الهجمة الصليبية ولكنها لم تفلح في نجدتها، لتخاذل حكامها واختلافهم[٦].

**حمص:** هي مدينة حسنة على مستو من الأرض، وهي عامرة بالناس، والمسافرون يقصدونها بالأمتعة والبضائع وأسواقها قائمة وأهلها في رغدٍ من العيش، وشرب أهلها من ماء يأتيهم في قناة من قرية بقرب جوسية ونهر الأرنط المسمى المقلوب، ولهم عليه قرى متصلة وبساتين وأشجار وأنهار كثيرة، ومنها تجلب الفواكه إلى المدينة وثراها طيب للزراعات واقتناء الغلات[٧]، وحمص

---

[١]– ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي: (المتوفى: ٥٧١هـ – ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م. ج ١٧، ص٣٠٤.

[٢]– ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص١٠.

[٣]– قاسم، عبدو قاسم: ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م. ص١٠٦

[*]– ديار بكر هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن عدنان وتقع غرب نهر دجلة من ناحية الجبل المطل على نصيبين ومن مدنها آمد وميافارقين وكيفا. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٤.

[٤]– خسرو: سفرنامة، ج١، ص٤٤، ٤٥.

[٥]– المقدسي، محمد بن أحمد: (المتوفى: ٣٩٠هـ – ٩٩٩م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م. ج١، ص١٤٣.

[٦]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٧؛ ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص١٠.

[٧]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٧٤.

ليس بالشام بلد اكبر منها، وفيه قلعة متعالية عن البلد ترى من خارج المدينة[١]، وهي قلعة حصينة ومنيعة وعصية على الغزاة[٢]، وقلعتها على تل عالٍ، والمدينة مسورة بسور يحيط بها[٣]، لقد حازت حمص جميع مقومات القوة التي تأهلها للصمود في وجه أي هجوم خارجي. هبت حمص لنجدت أنطاكية في بداية الغزو الصليبي لكن هذه النجدة لم يكتب لها النجاح حيث فشلت في إحراز أي نصر[٤].

**بغداد:** بغداد هي مدينة عظيمة كثيرة الأهل والخيرات والثمرات، تجبى إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم فهي مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها، وبها دار الخلافة العباسية، وعليها سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كشبه الهلال، وله أبواب[٥]، وبغداد مبنية على نهرين دجلة والفرات[٦]، وهي مدينة عظيمة وكبيرة يأتيها التجار من كل مكان، فهي عامرة بالأسواق والأشجار والزروع[٧].

**الموصل:** المدينة العظيمة المشهورة التي هي إحدى قواعد بلاد الإسلام، رفيعة البناء ووسيعة المساحة محط رحال المسافرين، وهي على طرف دجلة من الجانب الغربي، ولها سور وخندق عميق، وحواليها بساتين[٨]، وهي مدينة حصينة تحاذي الجبل[٩]، تزعمت الموصل قيادة التحالف الذي هب لنجدة أنطاكية لكن سرعان ما تفكك هذا التحالف أمام اختلاف أصحابه في وقت كانت الأمة في أمس الحاجة لهذه الوحدة[١٠].

---

[١]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٤٣؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم: (المتوفى: بعد ٨٦٦هـ – ١٤٦١م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: لافي برو فنصال، ط٢، دار الجيل، بيروت / لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. ج١، ص١٩٨.

[٢]– ابن جبير، أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي: (المتوفى: ٦١٤هـ – ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، تحقيق – تقديم: محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري، بيروت / القاهرة. ج١، ص١٨٢.

[٣]– ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٢.

[٤]– ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص١٠.

[٥]– القزويني: آثار البلاد، ج١، ص١٢٦.

[٦]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٣، ٣٤.

[٧]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٣، ٣٤؛ الموسوي: العوامل التاريخية، ص٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٣.

[٨]– القزويني: آثار البلاد، ج١، ص١٨٨.

[٩]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٥٩.

[١٠]– ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص١٠.

**القاهرة:** هي مدينة بناها جوهر الفاطمي[*] لما فتح مصر وقهر من فيها، وهي مدينة كبيرة حسنة، بها جامع بهي، وقصر السلطان في وسطها، محصنة بأبواب، محددة على جادة الشام ولا يمكن لأحد دخول الفسطاط إلا منها، لأنها بين الجبل والنهر[١]، وأما أبواب القاهرة وأسوارها فإن القائد جوهرا حين اختطها جعل لها أربعة أبواب[٢]، وتكشف الدراسة الحديثة لأسوار القاهرة الباقية التي ترجع إلى سنوات (٤٨٠ – ٤٨٥هـ = ١٠٨٧ – ١٠٩٢م) عن تطور عمارة أسوار المدن وتحصينها سواء من ناحية تزويد السور بخطين للدفاع في وقت واحد بعمل خط دفاعي داخل السور بالإضافة إلى الخط الدفاعي أعلاه ودراسة حركة الاتصال بين الجند والقادة ومراعاة إجراءات التزويد والإمداد بصفة مستمرة للجند عن طريق عناصر الاتصال المختلفة هذا إلى جانب البراعة في استخدام الحجر في بناء الأسوار[٣]، وللقاهرة خمسة أبواب باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب الزويلة وباب الخليج وليس للمدينة قلعة ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعاً من القلعة، وكل قصر حصن[٤]، ومعظم العمارات تتألف من خمس أو ست طبقات[٥]، ويجلب ماء الشرب من النيل ينقله السقاؤون على الجمال والآبار القريبة، ومدينة مصر مشيدة على ربوة خشية فيضان الماء عليها وهذه الربوة كانت مغطاة في وقت ما بأحجار كبيرة جداً، وتبدو مصر كأنها جبل حين ينظر إليها من بعيد كما ذكر ناصر خسرو أن بمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة وبيوت من سبع طبقات، كما أن مدنها لتزدحم بأعداد سكانها فقد بلغ تعداد سكان إحدى مدن مصر وهي مدينة تنيس خمسين ألف، أما القاهرة فقد بلغ عدد المصلين يوم الجمعة في إحدى المساجد زهاء العشرة ألاف، وقد كان بالقاهرة ثمانية مساجد تقام بها الجمعة، أما عن تعداد جيوش مصر فقد بلغت مئتين وخمسة آلاف مقاتل، وكانت الدولة على درجة من الغنى حيث كانت تدفع

---

[*]– القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت كافور الإخشيدي وسير معه العساكر فاستولى على مصر، ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة وسير عسكره إلى دمشق وغزاها فملكها. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١، ص٣٧٥، ٣٧٦.

[١]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٨٢.

[٢]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩٧.

[٣]– عثمان: المدينة الإسلامية، ص١٢٨.

[٤]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٩٠.

[٥]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٩٠؛ سلطان، عبد المنعم عبد الحميد: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، ١٩٩٩م. ص٦١.

لكل هؤلاء مرتابتهم حسب رتبهم العسكرية[١]، فيما يبدو أنه لم يكن في بلاد الإسلام مدينة أكبر ولا أكثر عدداً ولا أغنى من القاهرة مع كل هذه المقدرات التي كانت تمتلكها مصر ولكن لم تنهض في بداية الهجمة الصليبية لنجدة أَنطاكيا[٢]، ولكن القاهرة استدركت هذا الأمر ودخلت غمار المواجهة بإرسالها العديد من الحملات لنجدة بعض المدن الشامية التي كانت تطمع في السيطرة عليها كمدينة الرملة وعسقلان وصور[٣].

مما سبق يتضح أن تحصين المدن الإسلامية كان معياراً حضارياً أساسياً في تكوينها المادي لما يوفّر من أمن لساكنيها، وكانت الأسوار والقلاع وما تشتمل عليه من أبراج من أهم وسائل التحصين المتّبعة وأضيفت إليها المحارس والمناظر وأبراج المراقبة في الحصون في المدن التي حتّمت طبيعة موضعها وجود هذه التكوينات الحربية[٤]. لهذا فقد روعي في تخطيط المدينة الإسلامية وجود التحصينات والأسوار والقلاع[٥].

بصورة مقتضبة استعرضنا أحوال معظم المدن التي دخلت في مواجهة مباشرة وغير مباشرة مع الحملة الصليبية الأولى، وسلطنا الأضواء على مدى جهوزية هذه المدن في مواجهة هذه الهجمة الصليبية الشرسة.

**القرى:**

مثلت القرية وحدة سكانية في الريف[٦]، وجاء الاهتمام بالقرية من اهتمام الدولة الإسلامية بالزراعة لما كانت توفره من دخل لها[٧]، فقد كان دخل الزراعة أحد إيرادات بيت المال[٨].

اشتهرت فلسطين بخصوبة تربتها، فجاء على لسان البابا أوربان الثاني " أنقذوا تلك الأرض من ذلك الجنس المرعب.

---

[١]– سفرنامه، ج١، ص٧٨، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٧٩.

[٢]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٧.

[٣]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٨١، ١٠٣.

[٤]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص١٢٧، ٣٧٧؛ عثمان: المدينة الإسلامية، ص١٤٧.

[٥]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص١٢٧، ٣٧٧؛ الأغا: الأوضاع الاجتماعية، ص١٨٢.

[٦]– الطبري: تاريخ، ج٢، ص٥١٢؛ الأغا: الأوضاع الاجتماعية، ص١٩٦.

[٧]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١٤؛ عبد الباقي، أحمد: معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١م. ص١٠٥.

[٨]– السيواسي: كمال الدين محمد بن عبد الواحد، (المتوفى: ٦٨١هـ – ١٢٨٢م)، شرح فتح القدير، ط٢، دار الفكر، بيروت. ج٦، ص٤٠؛ عبد الباقي: معالم الحضارة، ص١٠٥.

واحكموا بأنفسكم هذه الأرض التي تفيض باللبن والعسل"[١]، وهذه أحد دوافع الحروب الصليبية حيث كان العامل المادي من أهم دوافع الحملة الصليبية، وهذا يتضح من كلام البابا أوربان[٢]، وسوف نسلط الضوء على كثرة القرى التي كانت تزخر بها أرض الشام عموماً وأرض فلسطين على وجه الخصوص، حيث كانت هذه الأرض عامرةً بالخيرات مما جعل شراهة الغزاة الصليبيين تزداد للسيطرة على بلاد السمن والعسل.

**قرى فلسطين:** تعد الشام أرض خصبة وخصوصاً أرض فلسطين، فقرى فلسطين حسبما يذكر المقدسي أن منها ما قد نما حتى أصبح يتفوق في عمرانه على أكثر مدن الجزيرة الفراتية، ولكن تلك القرى النامية ظلت تقع في مرحلة وسط بين المدينة والقرية[٣]، إن فلسطين بأقسامها الجغرافية المختلفة السهول والجبال والأودية والأغوار كانت تتنوع فيها القري كما تنوعت فيها أنواع المزروعات[٤]، ولقد زار فلسطين العديد من الرحالة الذين وصفوا قرى فلسطين وزروعها وخيراتها، ومنهم المقدسي حين زار مدينة الرملة وذكر أن قراها نفيسة كثيرة الفواكه، كالتين والنخيل كما أن فيها مختلف الزروع والأشجار[٥]، كما زار فلسطين الرحالة ناصر خسرو فذكر قرى فلسطين ومنها قرى الرملة التي كانت عامرة بمختلف الأشجار، وقرى القدس التي كانت مشجرة بأشجار الزيتون والتين والعديد من الأشجار التي كانت تنبت بغير ماء، وعندما زار ناصر خسرو الخليل مرتحلاً إليها من القدس، ذكر أن ما بين القدس والخليل " قرى كثيرة وزرع وحدائق وشجر بري لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسماق، وعلى فرسخين من بيت المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة تسمى الفراديس لجمال موقعها "، ولكثرة خصوبة أرض الشام يقال أنه لا يحدث بها قحط[٦]، إن هذه الخيرات التي كانت تفيض بها أرض الشام وتحديداً أرض فلسطين سال له لعاب الغزاة الصليبين، لما فيها من خيرات كثيرة.

---

[١]– رواية روبير الراهب عن مجمع كليرمونت، ترجمة قاسم عبده قاسم، نصوص ووثائق، ص٧٩. نقلاً عن الأغا: الأوضاع الاجتماعية، ص٨٨، ١٩٥.

[٢]– الكاتب، عبد الحميد: القدس التاريخ الاسلامي الغزوا الصليبي الهجمة الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٨. ص٧٥.

[٣]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٤٢؛ الأغا: الأوضاع الاجتماعية، ١٩٥.

[٤]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٤٢؛ أبو شلوف، نسيم زريق جمعة: الاوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية غزة، ٢٠٠٩م. ص٦٧.

[٥]– أحسن التقاسيم، ج١، ص١٥١، ١٥٢.

[٦]– سفرنامه، ج١، ص٥٥، ٥٦، ٧٠.

**قرى دمشق:** لقد كان في هذا الاقليم قرى أجل وأكبر من مدن الجزيرة الفراتية مثل داريا وبيت لهيا وكفر سلام[١]، ولقد ذكر المؤرخ ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق العديد من القرى التي تمثل الدليل الأكبر على أن دمشق وما حولها كانت عامرةً بالقرى والأشجار، ومن هذه القرى نذكر على سبيل المثال لا الحصر: قرية حرستا والمزة وحوارين والرحبة والسليمانية وعنس وخولان والقوينصة وعذراء والطيرة وقطنا وطرميس والغسولة وبيت أبيات والسطح ونوى وميدعا والجابية وبيت البلاط وبيت نايم ودقانية وبيت سواء وصهيا وداريا[٢]، كما أن ياقوت في كتابة ذكر أيضاً العديد من قرى دمشق ومنها: حردان ودير هند وراوية والرحبة وسام وسطرا وسقبا والشبعاء وطرميس وفذايا وقرحتاء وقطنا وقوفا وكفر سوسية ومشغرى والمصيصة والميطور والمنيحة ويلدان ودقانية وحلفبلتا والحرجلة وبيت أرانس وإزبد وأرزونا[٣].

**قرى حلب:** لم تكن حلب بأقل من دمشق خصوبتةً ولا تقل عنها في تعداد القرى التي كانت حلب عامرةً بها حيث كان بها العديد من القرى والتي كان منها: طنان والجبول وجب الكلب وأورم وتل أعران والفهيدية ومعراثا الأثارب وباب بزاعا وتادف وصمع الفوقا وتل ساب[٤]، وبراق وبردى ونون وبغيديد وتبل وتنب وجبرين قور سطايا وحران وكفر حلب وحوارين وحيلان ورويان وسرجة والشيحة ومريمين ومعراثا والملوحة ونون ونصيبين[*] ويبرين ويحمول[٥].

---

[١]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٤٣.

[٢]– انظر تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص٣٣١، ج٦، ص٣٦٨، ج١١، ٤٠، ج١٢، ص٢٠٨، ج١٣، ص١٤٨، ٣١٦، ج١٤، ص١١، ج١٥، ١٤٨، ج١٨، ص١٤٧، ج٢٠، ص٢٢٧، ج٢٤، ص٢٦٣، ج٢٩، ص٧٥، ج٣٧، ص٥٣، ج٤١، ص٤٦٩، ج٤٧، ص٢٥، ج٤٩، ص٣٦٨، ج٥٠، ٥٣، ج٥٦، ٢٧٤، ج٥٨، ص٤٦، ج٦٠، ص٣١٦، ج٦٤، ص٣٦٩، ج٦٦، ص٤٩، ١١٨.

[٣]– انظر معجم البلدان، ج١، ص١٥١، ص١٦٨، ٤٧٧، ٥١٩، ج٢، ص٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٩٠، ٤٣١، ٤٥٨، ٥٤٣، ج٣، ص٢١، ٣٣، ١٧٣، ٢٢٠، ٢٢٦، ٣٢١، ج٤، ص٣٢، ٢٠٤، ٢٤١، ٣٢٠، ٣٧٤، ٣٨٦، ٤١٣، ٤٦٩، ج٥، ص١٣٤، ١٤٥، ٢١٧، ٢٤٤، ٤٤١.

[٤]– ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٧٣، ٥٢٣، ٥٦٣، ج٥، ص٢٣٠٢، ج٦، ص٢٧٨١، ٢٩٢٦، ٢٩٣٤، ج٧، ص٣٣٦٧، ٣٣٦٨، ج٨، ص٣٨٣٣، ج٩، ص٣٩٠٣، ج١٠، ص٤٤٧٦؛

[*]– مدينة نصيبين مدينة من مدن أرض الجزيرة وأرض الجزيرة هي المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات وتقع نصيبين بالقرب من مدينة الموصل، وهي مدين عظيمة وكثيرة الخيرات وبها قلعة حصينة. الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٠.

[٥]– ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٦٦، ٣٧٩، ٤٥٢، ٤٧٠، ج٢، ص١٤، ٤٧، ١٠١، ٢٣٦، ٢٩٠، ٣١٥، ٣٣٢، ج٣، ص١٠٥، ٢٠٧، ٣٧٩، ج٥، ص١١٩، ١٥٤، ١٩٥، ٢٧٥، ٢٨٩، ٤٢٧، ٤٣٢.

اكتفينا هنا فقط باستعراض نماذج من أرض الشام بما يخص كثرة القرى للدلالة على غنى هذه الأرض، وكثرة زرعها وخيراتها، فهي كما كان يظن البابا أوربان الثاني بأنها أرض اللبن والعسل كما أسلفنا. كما أن القرى لم تكن محصنة كما كانت المدن، فهي عبارة عن بيوت متناثرة وحقول متباعدة يسهل السيطرة عليها من قبل الغزاة[١]، وهذا سيسهل عملية السيطرة عليها من قبل الصليبيين في هجماتهم عليها كما سيتبين لاحقاً.

**البدو:**

البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ويتخذون بيوتاً من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة بقصد الاستظلال وقد يأوون إلى الغيران والكهوف[٢]، كما عرف البدو بكثرة الترحال للبحث عن الكلأ والمرعى[٣].

بادية الشام مسرح الأحداث التي سبقت الحروب الصليبية[٤]، كما كانت أيضاً مسرح الأحداث الدامية لحقبة الحروب الصليبية، حيث كان للبدو دوراً مهماً في محاربة الصليبيين[٥]، حيث كان وجود البدو في هذه البادية منذ أقدم العصور ضارباً جذوره في أعمق سنين التاريخ قدماً[٦]، وتعود أصول بدو الشام إلى قبائل فزارة ولخم وجذام وبلى وقبائل مختلطة من اليمن وربيعة ومضر، وأكثرها يمن[٧].

يعد البدو جزءاً أصيلاً من التركيبة السكانية للبلاد العربية، ومن الخطأ التصور أن البدو كانوا بعيدين عن التأثير في مجريات الأحداث عبر المراحل التي عاشوها وعاصروها، فلقد كان لهم على الدوام حضورٌ ودورٌ مهمٌ في مجريات الأحداث في المنطقة العربية، وكان للبدو دورٌ بارزٌ في الأحداث التي سبقت الحروب الصليبية، كما لاقت القبائل العربية مقاومة شديدة وعنتًا شديدًا من الحكومات التي حكمت العراق والحكومات التي حكمت بلاد الشام، فقد وقفت تلك الحكومات منذ

---

[١]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص٤٣، ١٢٥؛ عثمان: المدينة الإسلامية، ص١٧.

[٢]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص١٢١.

[٣]– المصدر السابق: ج١، ص١٢٠ – ١٢٩؛ زيادة، نقولا: عربيات حضارة ولغة، لندن، ط١، ١٩٩٤م. ص١٨٨.

[٤]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٤٢.

[٥]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٣٦؛ علي، جواد: (المتوفى: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، **١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م**. ج٢، ص٢٠٠.

[٦]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص١٢٢.

[٧]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص١٠.

الدهر الأول لها بالمرصاد، وأبت أن تسمح لها بالتوغل في داخل أراضيها التي تحكمها حكماً فعلياً، ذلك لأنها كانت تهاب الأعراب وتخشى من البدو، إذ لم يكن من السهل على البدو تغيير سننهم واقتباس سنن الحضر، ثم إنهم كانوا يغيرون على الحضر وعلى الحدود لأخذ ما يجدونه أمامهم[١]، لقد شغب البدو في كثير من مراحل التاريخ فكانوا يقطعون الطريق وينشرون الرعب في نفوس المسافرين[٢]، وقد ترك غزو الأعراب للحدود أثرًا سيئًا راعبًا في نفوس الحكام جعلهم لا يتسامحون في دخول البدو إلى أرض الحضارة، ما دامت للحكام قوة[٣]، وقد عمدت معظم الحكومات إلى التحالف مع بعض القبائل البدوية لحراسة هذه المنطقة كي يمنعوا القادمين الجدد من البوادي الأخرى من الدنو من الأراضي التي تخضع لسلطتها، كما كانوا يشتركون مع القوات النظامية للحكومات في غزو أرض العدو[٤].

هذا دليل واضح على أن البدو لم يكونوا على هامش الأحداث التي كانت تحيط بهم من تحولات وتغيرات، فقد كانوا يؤثرون فيها ويتأثرون بها، حيث كانت لهم مواقفهم المتباينة والمتغيرة بتغير سياسة الدول التي تحكم المناطق التي كانوا يقيمون فيها، فتارة يشغبون وتارة يكونون عوناً للولاة والحكام الذين يقيمون في مناطق نفوذهم.

كما كان لهم حضورهم أيضاً في الحقبة التي شهدت أقوى صراع حضاري بين الشرق المسلم والغرب الصليبي، ولقد عرف هذا الصراع باسم الحروب الصليبية، فكان لهم حضورهم الإيجابي أحياناً والسلبي أحياناً أخرى، وهذا الاختلاف في المواقف ناتج عن دور القبائل في الصراع الذي دار في الحروب الصليبية، فقد كانت قبيلة ثعلبة الكبرى بفرعيها الرئيسَين بنو ضرغام وبَني زريق والتي كانت تقيم على حدود مصر تتعاون مع الفرنج الأمر الذي جلب عليهم السخط والغضب من جانب إخوانهم المسلمين، وكان أقاربهم من بني طيء والتي كانت تعرف باسم قبيلة جارم قضاعة يملكون مراعي كثيرة على حواف الصحراء بين غزة وبين بلدة حبرون وإلى الجنوب من غزة حول الداروم (دير البلح)، وعشية الحملة الصليبية الأولى كان أفراد قبيلة بني ربيعة هم سادة رام الله التي

---

[١]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٦٤، ٤٦٥؛ علي: المفصل، ج٢، ص٢٠٠.

[٢]– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: (المتوفى: ٩١١هـ – ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م. ج١، ص٤١٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص٨٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٥، ٤٦٤، ٤٦٥.

[٣]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٦٤، ٤٦٥

[٤]– المقريزي: البيان والإعراب، ج١، ص٣٦؛ علي: المفصل، ج٢، ص٢٠٠.

كانت عاصمة للقطر، واعترف الحكام العبيديون في مصر بسيادة هذه القبيلة، وفيما بعد وجدت هذه القبيلة على الحدود الشرقية للمملكة اللاتينية، حيث لم تكن المملكة اللاتينية تسمح بتجول البدو في داخل أراضيها ولم يدم الأمر طويلاً حيث أدرك الصليبيون بسرعة مدى الخدمات التي يمكن أن يقدمها لهم هؤلاء البدو، ومع هذا فإن عدداً قليلاً جداً من القبائل البدوية قد عاش داخل حدود المملكة اللاتينية، وكانت هذه القبائل تدفع الضرائب لملك بيت المقدس، بيد أن هذا الوضع المتعلق بدفع الضرائب لم ينطبق على القبائل البدوية المتحالفة مع الصليبيين[١]. كما أنه لم يستطع الصليبيين الغزاة إخضاع البدو بسهولة فقد اضطروا إلى تشكيل العديد من الحملات لإخضاعهم وكسر شوكتهم، وتأمين الطرق منهم، ولم يتمكن الصليبيون بالحد من مقاومة شيوخ العرب إلا بعقد الاتفاقيات معهم تارة والضرب بيد من حديد تارة أخرى، عن طريق إرسال الحملات العسكرية لإخضاعهم والحد من مقاومتهم حتى أجبروا أخيرًا على الخضوع والاستسلام، حيث بسط الصليبيون سيطرتهم على كل القبائل البدوية التي عبرت حدود المملكة الصليبية[٢].

لم يكن من السهل على المملكة اللاتينية في بيت المقدس وما حولها إخضاع البدو لسلطانهم حيث لم يكونوا على خبرة كافية بكيفية التعامل مع هذا العنصر المتمرد القابع هناك في عمق الصحراء والمتحصن بها وبلظى حرها دائم الحركة كثير الترحال، ولكن وبعد فترة من الزمن استطاعت المملكة من إخضاع بعض القبائل البدوية لسلطانها، والبعض الأخر عاش في حدود المملكة وكان يدفع الضرائب والاتاوات حاله كحال معظم السكان العرب في المدن المحتلة من الغزاة الصليبيين.

---

[١]- براور: الاستيطان الصليبي، ص٧٠، ٧١.

[٢]-Albert, d, Aix, op. cit., PP. 503, 516. فنك، تأسيس، ص٦٨؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ١٠٨-١١٠. نقلاً عن الأغا: الأوضاع الاجتماعية، ص٢٠٧.

## المبحث الثالث: الحياة العلمية لسكان المشرق الإسلامي

### أماكن التعليم:

تنوعت أماكن التعليم في الإسلام منذ فجره، فلا يخلو موضع التدريس من ثلاثة أقسام، إما أن يكون بيتا أو مدرسة أو مسجداً، فكان المسجد منارة العلم الأولى، وهو أفضل مواضع التدريس، لسببين أحدهما أن السلف رضوان الله عليهم لم يكن لهم مدارس، والسبب الثاني أن المساجد موضع مجتمع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت أو المدرسة فإنه محجور على الناس إلا من أبيح له من طلبة العلم[١]، وفي القرن الرابع الهجري تغيرت طريقة التعليم فكانت سبباً في إيجاد نوع جديد من المؤسسات العلمية فكانت هناك حاجة ملحة لإنشاء المدارس ولعل أكبرَ الأسباب في ذلك أن المسجد لم يعد يصلح لتلك المناظرات وحلقات الجدل وما يتخللها من صراخ وعدم الالتزام بآداب المسجد[٢].

أما دور العلم، فكانت على أوجه عدة فمنها المكتبات التي كانت تنشأ بجوار بعض المساجد[٣]، ومنها دور كانت مخصصة للعلماء كالتي كانت بجوار المسجد الأزهر، ابتاعها لهم الملك العزيز بالله الفاطمي[*]، والتي كانت تتسع لسبعةٍ وثلاثين عالماً[٤]، كما كانت مجالس العلم تعقد في القصور، وفي بيوت العلماء[٥].

---

[١]– ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير: (المتوفى : ٧٣٧هـ – ١٣٣٦م)، المدخل، دار الفكر، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م. ج١، ص٨٥.

[٢]– متز، أدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت. ج١، ص٣٣٦.

[٣]– متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣٣٠.

[*]– العزيز بالله أبو المنصور نزار ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي حاكم مصر وبلاد المغرب تولى الحكم بمصر يوم الخميس ربيع الآخر ٣٦٥هـ–٩٧٥م بعد وفاة أبيه. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: (المتوفى : ٦٨١هـ – ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، تحقيق : احسان عباس، دار الثقافة، لبنان. ج٥، ص٣٧١.

[٤]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٤.

[٥]– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، (المتوفى: ٨٤٥هـ – ١٤٤١م)، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م. ج٣، ص٨١؛ عط الله، خضر أحمد: الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة. ص١٧، ٢٢، ١٢٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٢٢.

أما الكتاتيب فهي أماكن تعلم الصبيان، وعرف نظام الكتاتيب في البلاد الإسلامية قبل الفتح الإسلامي[١]، لقد كان من المكروه تعليم الصبيان في المسجد حفاظاً على نظافته وطهارته[٢] فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " جنبوا مساجدكم الصبيان والمجانين"[٣].

## المساجد:

يعد المسجد منذ عهد الرسول علية الصلاة وأفضل السلام أهم مؤسسة تعليمية وتربوية في الاسلام، ظلت تؤدي دورها عبر القرون[٤]، فلم يكن المسجد داراً للعبادة فحسب بل كان مدرسة لتعليم الصبيان للقراءة والكتابة، وكان مقراً للإفتاء ومجلساً للقضاء ومقراً للضيافة، ومنزلاً للأسارى، ومصحاً للجرحى[٥].

استمر المسجد في أداء دورة التربوي والتعليمي في العصر العباسي، ولم تنقطع حركته الدائمة في تأدية هذا الدور المهم في تاريخ هذه الأمة[٦].

---

[١]– هبة الله، محمد بن نما بن علي بن حمدون الحلي: (المتوفى: لا يوجد)، كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: صالح درادكة، محمد عبد القادر خريسات، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان – الأردن، ١٩٨٤م. ج١، ص٨٧؛ الكرد: فلسطين في عصر الدويلات، ص١٥٠.

[٢]– القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: (المتوفى: ٦٧١هـ – ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة. ج١٢، ص٢٧٠؛ الكرد: فلسطين في عصر الدويلات، ص١٥٠.

[٣]– ابن همام، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني: (المتوفى: ٢١١هـ – ٨٢٦م)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ. ج١، ص٤٤٢؛ الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (المتوفى: ٩٧٥هـ – ١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ج٧، ص٢٧٣.

[٤]– الحارثي، عبد الله بن علي بن خضران: الرحلة في طلب العلم عند بعض المربين المسلمين في العصر العباسي، وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ. ص٤٩.

[٥]– التميمي، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر الحنبلي: (المتوفى : ١٢٢٥هـ – ١٨١٠م)، الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، ط١، الناشر دار العاصمة. ج٨، ص٤٥٤؛ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: (المتوفى: ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م. ج٨، ص٣٢٧.

[٦]– الحارثي: الرحلة في طلب العلم، ص٥٠.

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم، على التعلم في المسجد حيث قال في الحديث الصحيح "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[١].

فكان أشهر مركز للتعليم في ربوع المملكة الإسلامية[٢]، كما كان جامع البصرة والكوفة من أرض العراق، عامرين بالدروس لغاية القرن الرابع الهجري، فكثرت الحلقات الدراسية، وبرز العلماء الأعلام في مختلف الفنون، وتتابعت الدروس بالمساجد في مختلف الأصقاع والأنحاء الإسلامية[٣].

أما في مصر فقد بنى العبيديون "الفاطميون" أول مسجد لهم في عاصمتهم القاهرة، وأسموه الجامع الأزهر وقد تم بناؤه في سنة (٣٦١هـ – ٩٧١م)[٤]، والذي بناه جوهر الصقلي، ثم جدده الحاكم بأمر الله، وأوقف عليه أوقافاً[٥]، فكان بمثابة جامعة العبيديين الكبرى، الذي توالت به الدروس وحلقات العلم[٦]، ولم يكن الجامع الأزهر منارة العلم الوحيدة في القاهرة، بل كان هناك مسجد عمرو بن العاص، ومسجد ابن طولون، ومساجد أخر عديدة[٧].

---

[١]– السعدي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي: (المتوفى: ٦٤٣هـ – ١٢٤٥م)، فضائل الأعمال، دار الغد العربي، القاهرة. ج١، ص١١٨؛ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد: (المتوفى: ٦٥٦هـ – ١٢٥٨م)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ. ج٢، ص٢٢٥؛ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين: (المتوفى: ٦٧٦هـ – ١٢٧٧م)، التبيان في آداب حملة القرآن، ط١، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. ج١، ص٥١؛ الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس: (المتوفى: ٧٢٨هـ – ١٣٢٧م)، الاستقامة، تحقيق : محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ. ج١، ص٣٩٦؛ القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري: (المتوفى: ٧٢٨هـ – ١٣٢٧م)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. ج١، ص٨.

[٢]– متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٣٢؛ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، عدد الأجزاء: ٧٩ جزءا، ج٢، ص٥٠٥.

[٣] – مجلة البحوث الإسلامية، ح٢، ص، ٥٠٣، ٥٠٩.

[٤]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٠.

[٥] – السيوطي، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين: (المتوفى: ٩١١هـ – ١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م. ج١، ص٤١٣.

[٦]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٤؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص١١٠.

[٧]– ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٤، ٢٦٦. عط الله: الحياة الفكرية، ص٢٢، ٢٣، ١٣٠.

وهناك في الشام كان الجامع الاموي الذي كان مدرسةً جامعةً للعلماء في مختلف العلوم والفنون، ومركزاً للقضاء الشرعي والتوجيه المعنوي والوعظ والإرشاد على مدار التاريخ الإسلامي[١]، وكذلك كان المسجد الأقصى ثالث المساجد في الاسلام[٢].

كما كانت حلقات العلم والمجالس العلمية تعقد في المساجد المختلفة، ويتصدر للتدريس في تلك الحلقات أبرز العلماء في ذلك العصر[٣].

وهكذا ندرك ما أسداه المسجد في مختلف أنحاء العالم الإسلامي للثقافة والحضارة والتوجيه والتكوين من معروف، كما ندرك لماذا كان المسلمون لا يحلون بأي ناحية من النواحي، ولا بقطر من الأقطار، إلا ويبادرون بتأسيس المساجد[٤].

لذلك يعد المسجد هو المحضن التربوي الأول في الإسلام، فهو المحضن الذي تربي فيه الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم التابعون وما زال المسجد يقوم بهذا الدور إلى يومنا هذا، فقد وضع لبنته الأول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فأصبح بذلك منارة الإسلام العظيم، ومدرسته الأولى، فلم يكن المسجد في الإسلام مكاناً للعبادة فحسب، وإنما كان أهم مكون حضاري من مكونات حضارة هذه الأمة.

**المدارس:** تنوعت الأماكن التي يتلقى فيها طلاب العلم مختلف العلوم الشرعية والدنيوية ولم يعد المسجد وحده صاحب الريادة في هذا المجال، بل بدأنا نشهد ولادة أول مدرسة في الاسلام على يد الوزير السلجوقي نظام الملك[*]، والذي أسس هذه المدرسة في بغداد سنة (٤٥٩هـ – ١٠٦٦م)

---

[١]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٩١.

[٢]– الشافعي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم: (المتوفى: ٣٥٤هـ – ٩٦٥م)، كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق : حلمي كامل أسعد عبد الهادي، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض / السعودية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. ج٤، ص٣٢٩.

[٣]– النيسابوري، محمود بن أبى الحسن بن الحسين أبو القاسم نجم الدين: (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ – ١١٥٥م)، إيجاز البيان عن معاني القرآن المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ١٤١٥ هـ. ج١، ص١٥.

[٤]– مجلة البحوث الإسلامية، ح٢، ص٥٠٩.

[*]– الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، ولم يسمح الدهر بمثله في سيرته وكرمه وعدله، تولى الوزارة للسلطانين آلب ارسلان، وملكشاه، وبقي في الوزارة حدود أربعين سنة، وقتل في سنة (٤٨٥هـ-١٠٩٢م). الأصبهاني، أبو عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفي أبو الفرج محمد بن نفيس الدين: (المتوفى: ٥٩٧هـ – ١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل خراسان وهراه، تحقيق: محمد عدنان آل طعمة، ط١، مرآة التراث، طهران / إيران، ١٩٩٩م. ج٢، ص٦٠.

وسماها بالمدرسة النظامية[١]، وبنى حولها أسواقاً، وابتاع ضياعاً وخانات وحمامات وجعل عوائدها للمدرسة[٢]، لم تكن المدرسة النظامية الوحيدة في بغداد، فقد بنى السلطان ملكشاه[*]، مدرسة أبي حنيفة[٣]، كما بنى تاج الملك أبو الغنائم[*٢]، المدرسة التاجية بباب أبرز في بغداد، سنة (٤٨٠هـ – ١٠٨٧م)، فكانت تضاهي المدرسة النظامية[٤].

لقد كان لبغداد عاصمة العباسيين السبق على نظرائها من المدن الكبرى والعواصم الأخرى، في كونها أول من بنيت عليها وافتتحت فيها مدرسة نظامية في مفهومها الحقيقي، فسبقت بذلك دمشق حاضرة بني أمية، والقاهرة عاصمة العبيديين، وقرطبة[*٣] درة الأندلس ودار ملكها.

وقد شهد ذلك العصر ظاهرة حميدة وهي اهتمام الخلفاء والسلاطين والوزراء ببناء المدارس والأربطة، وتخصيص الأوقاف لعلماء تلك المدارس وطلابها، وبدأ التنافس بين الأمراء والحكام والوزراء على بناء المدارس، والاهتمام بها، والحرص على جلب خيار العلماء إليها، وتشجيع طلاب العلم بها على التحصيل[٥].

في أواخر القرن الخمس الميلادي أنشئ ما أصبح يعرف بالمدارس، ويبدو أنها لم تنشأ إلا لحاجة ملحة لها – ففيما يبدو – حيث الاحتياج لهذه المؤسسة لم يكن وليد فكرة خطرت ببال

---

[١] – ابن الأزرق: (المتوفى: ٨٩٦هـ – ١٤٩٠م)، بدائع السلك، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط١، ج١. ص٤١٣؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٠٠؛ دهيش، عبد اللطيف عبد الله: الكتاتيب في الحرمين الشرفين وما حولهما، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٨٦م. ص٩.

[٢]– المالكي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي: (المتوفى : ٥٢٠هـ – ١١٢٦م)، سراج الملوك، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٢٨٩هـ – ١٨٧٢م. ج١، ص٢٤٨؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: (المتوفى: ٥٩٧هـ – ١٢٠٠م)، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص ١٠٢.

[*]– جلال الدين أبو الفتح ملكشاه ابن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق تقاق التركي، ملك بعد أبيه وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن وملك الروم والخزر. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤٢.

[٣]– المصدر السابق: ج١٢، ص١٤٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص٣٠٩.

[*٢]– تاج الملك أبو الغنائم تولى الوزارة بعد قتل نظام الملك، ولاه الوزارة ملكشاه، ثمّ إنّ أتباع نظام الملك وثبوا عليه في المحرم وقتلوه، وله سبعٌ وأربعون سنة. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: (المتوفى: ٧٤٨هـ – ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. ج٣٣، ص١٨٩.

[٤]– ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي: (المتوفى: ٨٧٤هـ – ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر. ج٥، ص١٢٥.

[*٣]– قرطبة، وهي من الأندلس في وسطها، وهي أعظم مدن الأندلس. الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص١٧.

[٥]– النيسابوري: إيجاز البيان، ج١، ص١٦.

أحدهم فحسب، بل كانت وليدة احتياج مجتمع وحقبة زمنية ازداد به العلم والعلماء وطلبة العلم، فكان لزاماً على الدولة أن توجد بديلاً عن المسجد الذي لم يعد يناسب هذه المرحلة كما أسلفنا.

**دور العلم والمكتبات:** تعددت دور العلم فكانت متنوعة، فمنها دور العلماء وقصور الخلفاء والوزراء ودور مخصصة للعلم وتشمل دور لإقامة العلماء ودور لتدريس طلاب العلم كما وتشمل المكتبات[١].

لقد كانت قصور الخلفاء العبيديين" الفاطميين" ووزرائهم مركزاً للحياة الفكرية في مصر ومنتدى للعلماء وكان الخلفاء العبيديون و وزراؤهم سباقين إلى اتخاذ مجالس المناظرات، فقد خصصوا أماكن في قصورهم لمثل تلك المناظرات، بل وحضروا المناظرات بأنفسهم واشترك بعضهم فيها، وكانت هذه الندوات حافزاً على البحث العلمي وعاملاً في التقدم والازدهار الذي حدث في أيام المعز والعزيز والحاكم، حيث كانت مساهماتهم في الحركة الفكرية ذات أثر واضح في هذا المجال، كما كان بلاط العبيديين يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم تشجيع الخلفاء العبيديين لهم من جهات متعددة من العالم وشملهم جميعاً عناية الخلفاء العبيديين بهم[٢]،

لم يكتفِ الخلفاء العبيديون بأن جعلوا قصورهم مركزاً للحياة الفكرية والعلمية ومكاناً لملتقى العلماء، بل خصصوا داراً لهذا الأمر وسموها دار العلم التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة (٤٠٠هـ – ١٠٠٩م)[٣]، فكانت مجمعاً علمياً للقراء والفقهاء والنحاة واللغويين والأطباء والمنجمين، كما وحملت إليها الكتب من خزائن القصور العبيدية، فكان في هذه الدار من الكتب والخطوط

---

[١]– متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٣٠، ٣٣١.

[٢]– المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٨١؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص١٢٢.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص١١٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: (المتوفى: ٧٤٨هـ – ١٩٢٨م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م. ج٣، ص٧٤؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، (المتوفى: ٧٦٨هـ – ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م. ج٢، ص٤٥٢؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٢٢؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي: (المتوفى: ١٠٨٩هـ – ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ. ج٣، ص١٥٨؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص١٢٨؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٣١.

المنسوبة ما لم ير مثله، كما وجعلوا لها قواماً وخداماً، وأجريت بها الأرزاق[١]، كما كانت هناك دارٌ للعلماء بجوار المسجد الأزهر خصصها العزيز بالله الفاطمي تحوي سبعةً وثلاثين عالماً كما أسلفنا. كما اهتم العبيديون باقتناء الكتب وأنشئوا لها دوراً عرفت باسم خزانة الحكمة وكانت جزءاً من دار العلم[٢]، كما كانت مكتبات القصور العبيدية تزخر بعدد كبير جداً من الكتب بلغت كما وصفها المقريزي " ألف وستمائة ألف كتاب "، كما يذكر المقريزي أنها كانت من عجائب الدنيا لما كانت تحويه من نفائس الكتب فكانت بذلك أعظم مكتبات الدنيا[٣].

أما في بغداد عاصمة الخلافة العباسية فقد أنشئ بها دارٌ للعلم سنة (٣٨٣هـ – ٩٩٣م)، أنشأها الوزير أبو نصر سابور[*]، بالكرخ ونقل إليها العديد من الكتب[٤]، فكان بها عشرة آلاف مجلد[٥]، بقيت هذه الدار سبعين سنة إلى أن أحرقت عند قدوم طغرلبك[*٢]، إلى بغداد سنة (٤٥٠هـ – ١٠٥٨م)[٦]. وقد اهتم الخلفاء العباسيون باقتناء الكتب وإنشاء المكتبات في قصورهم، حالهم كحال الخلفاء العبيديين ولكن العباسيين هم أصحاب السبق في هذا المجال كونهم سبقوا العبيديين في إنشاء هذه المكتبات في قصور الخلفاء

---

[١]– النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص١١٢؛ العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد: (المتوفى: ٨٥٢هـ – ١٤٤٨م)، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة /مصر، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. ج١، ص٧٢، ٢٤٧.

[٢]– ياقوت: معجم الأدباء، ج٤، ص٣٧١؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٣٠.

[٣]– المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٠.

[*]– أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي، ولد سنة (٣٣٦هـ – ٩٤٧م) ومات سنة (٤١٦هـ – ١٠٢٥م). ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢، ص٣٥٤، ٣٥٦.

[٤]– ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٤؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص١٠٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص٤١٢؛ متز: الحضارة الاسلامية، ص٣٢٩.

[٥]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٧٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٥٠.

[*٢]– طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ركن الدين أبو طالب أول ملوك السلجوقية، مات سنة (٤٥٥هـ – ١٠٦٣م)، عن عمر سبعون سنة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٦٣، ٦٧.

[٦]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٧٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٤.

فقد كان للخليفة المأمون العباسي مكتبتهٌ أنشأت في فترة حكمه[١].

إن صفحات التاريخ لتدل على اهتمام المسلمين حكومة وشعباً بالمكتبات التي أسست في مختلف العهود التاريخية الإسلامية، والتاريخ يشهد أن أعظم المكتبات في الإسلام ثلاث مكتبات، أولاها: مكتبات الخلافة العباسية في بغداد، فكان بها من الكتب ما لا يحصى عدده ولا تقوم نفائسه، وبقيت كذلك حتى دهم التتار بغداد، وثانيها: مكتبات بني أمية في الأندلس وكانت من أجل المكتبات، وثالثها: مكتبات الخلفاء العبيديين "الفاطميين" بمصر فكانت من أعظم الخزائن وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة في جميع العلوم، ولم تزل على ذلك حتى زوال دولتهم[٢].

يستنتج مما سبق أن هذه المكتبات التي كانت موجودة بين جنبات القصور وفي بيوت الوزراء والعلماء بالإضافة إلى تلك التي كانت تقام للعلماء وطلاب العلم ولعامة الناس لهو دليل واضح على عظم حضارة هذه الأُمة ومدى اهتمامها بالعلم والعلماء.

**الكتاتيب:** الكُتَاب[*]، ربما يتناهى إلى أسماعنا أن هذا الاسم ما هو إلا طريقة بدائية جداً للتعليم وهو من الطرق التي لم تعد تصلح لهذا العصر، ربما هذا صحيح لكنها كانت مكوناً أساسياً من مكونات مراحل التعليم في قرون الإسلام الأولى فكانت بمثابة المرحلة الأولى لتعليم الصبيان[٣]، كما عرف العرب نظام الكتاب قبل الفتح الإسلامي للبلاد العربية[٤]، ويقال إن أول من جمع الأولاد في الإسلام في الكتاتيب هو عمر بن الخطاب[٥]، فكان الصبيان يتعلمون في الكتاب حفظ القرآن

---

[١]– ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج: (المتوفى: ٣٨٥هـ – ٩٩٥م)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م. ج١، ص١٤، ١٧٤؛ ابن حيان: علي بن محمد بن العباس التوحيدي: (المتوفى: ٤١٤هـ – ١٠٢٣م)، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ط٤، دار صادر، بيروت / لبنان، ١٤١٩هـ – ٩٩٩م. ج١، ص٤١؛ الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد: (المتوفى: ٧٦٤هـ – ١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٠م. ج١، ص٤٦٦؛ البغدادي، إسماعيل باشا: (المتوفى: ١٣٣٩هـ – ١٩٢٠م)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م. ج٦، ص٩.

[٢]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٥٣٧؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص١٦١.

[*]– الكُتَاب، مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن والجمع كتاتيب. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة. ج٢، ص٧٧٥.

[٣]– ابن الحاج: المدخل، ج٢، ص٣١٤، ٣١٥؛ شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب: (المتوفى: ١٣٤٦هـ – ١٩٢٧م)، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ط٣، ج١، دار المشرق، بيروت. ج١، ص٢.

[٤]– هبة الله: المناقب المزيدية، ج١، ص٨٧؛ دهيش: الكتاتيب، ص١١.

[٥]– الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: (المتوفى: ٢٣٥هـ – ٨٤٩م)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ. ج٤، ص٣٤١؛ دهيش: الكتاتيب، ص١٥.

وكتابته[١]، كما ويتعلمون الأحاديث الشريفة ومسائل فقهية ومبادئ العلوم الشرعية كالوضوء والصلاة[٢]، ويتم ذلك بطريقة التلقين[٣] ويتعلم الصبيان مبادئ الخط والنحو[٤]، وبعضاً من القصص والحساب[٥]، وكان الصبيان في الكتاب يستخدمون الألواح للكتابة والمذاكرة[٦]، لقد كانت الكتاتيب في بداية القرون الإسلامية موجودة في المساجد[٧]، ولكن بعض العلماء كان يفتي بضرورة منع الصبيان من التعلم في المساجد[٨]، لأسباب تتعلق بالحفاظ على نظافته وطهارته كما أسلفنا. كما انتشرت الكتاتيب في جميع الأقطار الإسلامية واستمر العمل به حتى منتصف القرن العشرين[٩].

رغم بدائية هذه الطريقة في التعليم إلا أنها فيما يبدو كانت فاعلة ومثمرة في تلك الحقب المتعاقبة، والدليل على ذلك هو استمرار العمل بها حتى منتصف القرن العشرين، كما أنها تعتبر هي المرحلة التمهيدية لطلبة العلم قبل أن يخوضوا غمار الإبحار في بحار العلم.

فلو نظرنا نظرة شاملة على جميع المؤسسات التعليمية الموجودة في القرنين الرابع والخامس الهجري لوجدنا أن هناك سباقاً محموداً بين الدول في انتهاج سياسة مفادها الاهتمام بالعلم من خلال إنشاء تلك المدارس والمكتبات العامة والخاصة والمساجد التي كانت عبارة عن جامعات ومدارس، والنتيجة كان هناك سباقٌ وتنافس بين الدول والممالك في هذا المجال أدى إلى نهضة علمية في شتى المجالات.

---

[١]- الكتاني، الشيخ عبد الحي: (المتوفى: ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادراية، دار الكتاب العربي، بيروت. ج٢، ص٢٩٣- ٢٩٧.

[٢]- ابن الحاج: المدخل، ج٢، ص٣١٦؛ الكرد: فلسطين في عصر الدويلات، ص١٥١؛ دهيش: الكتاتيب، ص٩، ١٦.

[٣]- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله: (المتوفى: ٧٧٩هـ - ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.ج١، ص١٠٨.

[٤]- ابن الحاج: المدخل، ج٢، ص٣١٧؛ الكرد: فلسطين في عصر الدويلات، ص١٥١؛

[٥]- ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص٥٣٩؛ الكرد: فلسطين في عصر الدويلات، ص١٥١؛ دهيش: الكتاتيب، ص٩، ١٦.

[٦]- الشاشي، سيف الدين أبي بكر محمد بن أحمد القفال: (المتوفى: ٥٠٧هـ - ١١١٣م)، حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق : ياسين أحمد إبراهيم درادكة، ط١، مؤسسة الرسالة، دار الأرقم، بيروت - عمان، ١٩٨٠م. ج١، ص١٥٨.

[٧]- ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٠٨؛ التميمي: الفواكه العذاب، ج٨، ص٥٤٤؛ دهيش: الكتاتيب، ص١٢.

[٨]- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري: (المتوفى: ٦٧٦هـ - ١٢٧٧م)، صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ. ج٥، ص٥٥؛، ابن مفلح، الإمام أبي عبد الله محمد المقدسي: (المتوفى: ٧٦٣هـ - ١٣٦١م)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. ج٣، ص٣٧٦.

[٩]- دهيش: الكتاتيب، ص١٦.

## أشهر العلماء وأهم العلوم السائدة:

لقد تبوء العلماء مكانة عالية في الإسلام حيث كان لهم مكانة كبيرة في نفوس الناس كون أن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كرما العلم وأهله وذلك في قوله تعالى " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ "[١]، وأيضاً جاء في سيرة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التي تكرم العلم والعلماء وعنه قال " فَضْلُ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِي على أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السماوات وَالْأَرَضِينَ حتى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ الناس الْخَيْرَ "[٢].

لقد أنيط بالعلماء مهام جليلة وعظيمة فهم ورثة الأنبياء[٣]، فمنها تبصرة الناس بحقائق دينهم والكشف لهم عن مجاهل الدنيا، فالعلماء رواد مستكشفون وطبيعتهم تحتم عليهم الايجابية مع المجتمع والتفاعل مع الناس والصدق مع النفس بالتطبيق العملي لما يعلم من حقائق هذا الدين وأحكامه[٤].

إن الحياة العلمية في القرن الرابع الهجري ازدهرت ازدهاراً كبيراً ويعد القرن الرابع هو أوج الحضارة العربية، كما امتاز هذا العصر باحتشاد عدد كبير من العلماء قلما أن يحتشدوا في عصر واحد[٥]، ونظراً لكثرة العلوم والعلماء الذين عاشوا في تلك الفترة سنكتفي فقط بذكر أهم العلماء والعلوم السائدة في القرنين الرابع والخامس الهجري، وأهم العلماء والعلوم هما:

**علوم الدين:** وكان من أشهر علماء الدين في تلك الحقبة:

---

[١]– قرأن كريم: فاطر، أية ٢٨.

[٢]– الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي: (المتوفى: ٢٧٩هـ – ٨٩٢م)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج٥، ص٥٠.

[٣]– ابن حنبل، أحمد أبو عبدالله الشيباني: (المتوفى: ٢٤١هـ – ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر. ج٥، ص١٩٦.

[٤]– أبو جهل، عبد الفتاح عبد الله عاشور: جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية غزة، ٢٠١٠م. ص٧٣.

[٥]– علي: الخلافة العباسية، ص١٢٧، ١٢٨.

**ابن حبان:** أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي، إمام عصره له تصانيف لم يسبق إليها، رحل ما بين الشاش والإسكندرية وتفقه على يد أبي بكر بن خزيمة بنيسابور، ولي القضاء بسمرقند وغيرها وتوفي في شوال سنة (٣٥٤هـ – ٩٦٥م)[١].

**الدارقطني:** هو أبو الحسن علي بن عمر البغدادي المعروف بالدارقطني، قال الخطيب كان فريد عصره في علم الحديث قال بلغني أنه درس على أبي سعد الاصطخري، توفي ببغداد سنة (٣٨٥هـ – ٩٦٥م)، وهو ابن تسع وسبعين سنة[٢].

**ابن الحاكم:** هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني، المعروف بابن الحاكم النيسابوري، إمام أهل الحديث في عصره، وقد ألف كتباً لم يُسبق إلى مثلها، سافر في طلب الحديث، وصنف عدة مصنفات، منها الصحيحان، والأمالي، وفضائل الشافعي، وإنما عُرف أبوه بالحاكم، لأنه تولى القضاء بنيسابور مات سنة (٤٠٥هـ – ١٠١٤م)[٣].

**الحافظ أبو نعيم:** أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، صاحب كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء كان من الأعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات وكتابه حلية الأولياء من أحسن الكتب، وله كتاب تاريخ أصبهان، وتوفي في سنة (٤٣٠هـ – ١٠٣٨م)[٤].

**الماوردي:** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، كان أقضى القضاة تفقه على أبي القسم الصيمري بالبصرة وارتحل إلى الشيخ أبي حامد الاسفرائيني ودرس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والآداب وكان حافظاً للمذهب وتوفي ببغداد سنة (٤٥٠هـ – ١٠٥٨م)[٥]، ومن أهم مصنفاته الأحكام السلطانية[٦].

---

[١]– عبد الغني، محمد بن البغدادي أبو بكر: (المتوفى: ٦٢٩هـ – ١٢٣١م)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ. ج١، ص٦٥؛ الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني: (المتوفى: ٦٣٠هـ – ١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م. ج١، ص١٥١.

[٢]– الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق: (المتوفى: ٤٧٦هـ – ١٠٨٣م)، طبقات الفقهاء، تحقيق : خليل الميس، دار القلم، بيروت. ج١، ص٢١٤.

[٣]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٤٧هـ.

[٤]– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٩٢.

[٥]– الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج١، ص١٣٨.

[٦]– الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: (المتوفى: ٤٥٠هـ – ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

**أبو حامد الغزالي:** ولد سنة خمسين وأربعمائة وتفقه على إمام الحرمين وبرع في علوم كثيرة وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه وساد في شبيبته، ورحل إلى الشام فأقام بدمشق وبيت المقدس مدة وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين وهو كتاب عجيب ويشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وتُوفي الإمام أبو حامد الغزالي سنة (٥٠٥هـ – ١١١١م)[١].

**علم التاريخ:** ومن أهم مؤرخي ذلك العصر:

**المسعودي:** أبو الحسن علي بن الحسين بن علي من ذرية ابن مسعود صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ ولد في بغداد ونزل مصر مدة وكان إخباريا صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون وكان معتزلياً، مات في جمادى الآخرة سنة (٣٤٥هـ – ٩٥٦م)[٢].

**ابن النديم:** محمد بن إسحاق أبو الفرج المشهور بابن النديم والمعروف بابن أبي يعقوب النديم الوراق، المتوفى سنة (٣٨٥هـ – ٩٩٥م)[٣]، وهو صاحب كتاب الفهرست، وهو كتاب في التاريخ[٤].

**المقدسي:** محمد بن أحمد البشاري، صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، قدم وصفاً دقيقاً لكثير من البلاد الإسلامية، توفي في سنة (٣٩٠هـ – ٩٩٩م)[٥].

---

[١]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٣، ١٧٤.

[٢]– المسعودي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. ج١، ص٢٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٦٩.

[٣]– ابن النديم: الفهرست، ج١، ص٢٨٠؛ الطهراني، الشيخ آغا بزرك: (المتوفى: ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م)، طبقات أعلام الشيعة نوابغ الرواة في راوية الكتاب، تحقيق: علي تقي فنروي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م. ج١، ص٢٤٧.

[٤]– ابن النديم: الفهرست، ج١، ص٢٨٠؛ العسقلاني، رفع الإصر، ج١، ص٤٦؛ الكتاني، الشيخ عبد الحي: (المتوفى: ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية، دار الكتاب العربي، بيروت. ج٢، ص٢٧٤.

[٥]– ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٦٨.

**ناصر خسرو:** أبو معين الدين القبادياني المروزي، صاحب كتاب سفرنامه[١]، ويسمى هذا الكتاب أيضاً بزاد المسافرين، وهو رحالة زار كثير من الدول العربية والاسلامية، توفي سنة (٤٤٤هـ – ١٠٣٥م)[٢].

**الخطيب البغدادي:** الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، أحد الحفاظ الأعلام صاحب التصانيف المنتشرة في البلدان، ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[٣]، ومات في بغداد سنة (٤٦٣هـ ١٠٧٠م)[٤]، وهو صاحب كتاب تاريخ بغداد[٥].

**علوم الفلسفة والطب:** ومن أعظم الفلاسفة والأطباء في ذلك العصر:

**أبو نصر الفارابي:** هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام وأقام به إلى حين وفاته وكان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً وإماماً فاضلاً، حيث أتقن العلوم الحكمية وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس قوي الذكاء، متجنبا عن الدنيا مقتنعاً منها وكانت له قوة في صناعة الطب وتُوفي بدمشق في سنة (٣٣٩هـ – ٩٥٠م)[٦].

**ابن سينا:** أبو علي بن سينا الرئيس الحسين بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب ومن له الذكاء الخارق والذهن الثاقب أصله بلخى ومولده بـ (بخارا) حصل عدة علوم قبل أن يحتلم عاش ٥٣ سنة قال ابن خلكان اغتسل وتاب وتصدق بما معه، مات سنة (٤٢٨هـ – ١٠٣٦م)[٧].

**ابن الهيثم:** محمد بن الحسن بن الهيثم أبو عليّ الفيلسوف، صاحب المصنفات الكثيرة، كان من أذكياء بني آدم ، عديم النظير في عصره في العلم الرياضي ، لخص كثيراً من كتب جالينوس،

---

[١]– خسرو، ناصر: (المتوفى:٤٤٤هـ – ١٠٥٢م)، سفرنامه، تحقيق: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.ج١، ص٣٣.

[٢]– باشا: هدية العارفين، ج٦، ص٤٨٧.

[٣]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣١، ص٨٦.

[٤]– النووي، محي الدين بن شرف: (المتوفى: ٦٧٦هـ – ١٢٧٧م)، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. ج١، ص٣٦.

[٥]– النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٩٧.

[٦]– الخزرجي، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي: (المتوفى: ٦٦٨هـ – ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت. ج١، ص٦٠٣.

[٧]– الذهبي: العبر، ج٣، ص١٦٧.

وكثيراً من كتب أرسطو طاليس وكان عالماً في أصول الطب وكلياته، وفي علم الرياضيات والهندسة، أصله بصري، سكن الديار المصرية إلى أن مات في حدود (٤٣٠هـ – ١٠٣٨م)[١].

**البيروني:** أبو الريحان البيروني، الفيلسوف الطبيب كان معاصراً لأبي علي بن سينا وبينهما مراسلات ومباحثات وله مصنفات منها كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية[٢]، له من الكتب الجماهر في الجواهر وأنواعها وما يتعلق بهذا المعنى، كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، كتاب الصيدلة في الطب، كتاب مقاليد الهيئة، كتاب تسطيح الكرة، كتاب العمل بالاصطرلاب، كتاب القانون المسعودي، كتاب التفهيم في صناعة التنجيم، مقالة في تلافي عوارض الزلة في كتاب دلائل القبلة، رسالة في تهذيب الأقوال، كتاب الأطلال، كتاب الزيج المسعودي، اختصار كتاب بطليموس القلوذي وغيرها من المصنفات[٣]، مات سنة (٤٤٠هـ – ١٠٤٨م)[٤].

**عمر الخيام:** عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوريّ، أبو الفتح: شاعر فيلسوف فارسي، مستعرب من أهل نيسابور، مولداً ووفاةً، كان عالماً بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ، له شعر عربي، وتصانيف عربية، مات سنة (٥١٥هـ – ١١٢١م)[٥].

لقد تقدم العرب كثيراً في علم الطب بحيث أضافوا الكثير من الأدوية والعقاقير، ويعد العرب هم من ابتدعوا الصيدلة[٦].

**العلوم الأدبية:** ومن أعلامها:

**أبو جعفر النحوي:** أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، من أهل مصر، ورحل إلى بغداد، ثم عاد إلى مصر، واشتغل بالتصنيف فصنف أكثر من خمسين مصنفاً، منها: إعراب القرآن، والكافي في علم العربية، ومعاني القرآن، وشرح المعلقات

---

[١]– المصدر السابق: ج٢٩، ص٣١٢؛ القباني، ابراهيم محمد: دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ادارة النشاطات الثقافية المسابقات المفتوحة، السعودية، ١٩٩٤م. ص٤٣

[٢]– القيسي، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الدمشقي: (المتوفى: ٨٤٢هـ – ١٤٣٨م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م. ج١، ص٦٧٨.

[٣]– الخزرجي: عيون الأنباء، ج١، ص٤٥٩

[٤]– المصدر السابق: ج١، ص٤٥٩؛ باشا: هدية العارفين، ج٦، ص٦٥.

[٥]– الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي: (المتوفى: ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م)، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين. ٢٠٠٢م. ج٥، ص٣٨.

[٦]– الشرقاوي، حسن: المسلمون علماء وحكماء، ط١، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م. ص١٤٧.

حيث توفي في سنة (٣٣٨هـ – ٩٤٩م)[١].

**الرازي:** هو عبد الرحمن بن عمر بن سهل أبو الحسين الصوفي الرازي، كان عالماً فاضلاً نبيهاً ومن تصانيفه كتاب الصور السمائية مصور والأرجوزة وكتاب مطارح الشعاعات، و توفي في سنة (٣٧٦هـ – ٩٨٦م)، و كان عمره خمساً وثمانين سنة[٢].

**الأزهري:** أبو منصور محمد بن أحمد المعروف بالأزهري، الإمام في اللغة، ولد في هرات سنة (٢٨٢هـ – ٨٩٥م)، وكان فقيهاً صالحاً فغلب عليه علم اللغة، وصنف فيها كتاب التهذيب الذي جمع فأوعى وصنف أيضاً في التفسير وشرح الألفاظ المختصر توفي سنة (٣٧٠هـ– ٩٨٠م)[٣].

**مسكويه:** أبو علي الخازن، من كبار فضلاء العجم وأجلاء فارس[*] لَهُ مشاركة حسنة فِي العلوم الأدبية وَلَهُ مناظرات ومحاضرات وتصانيف فِي العلوم فمن تصانيفه كتاب أنس الفريد وكتاب تجارب الأمم فِي التاريخ وَلَهُ فِي أنواع علوم الأوائل كتاب الفوز الكبير وكتاب الفوز الصغير وكتاب فِي الأدوية المفردة وكتاب فِي تركيب الباجات من الأطعمة، مات سنة (٤٢٠هـ – ١٠٢٩م)[٤].

**الشعر:** ومن فرسان هذا المجال: **أبو الطيب المتنبي:** هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الله الجعفي الكوفي الشاعر الأديب المجيد صاحب الديوان المعروف وله من بدائع الشعر وحكمه أشياء عجيبة مشتملة على الآداب وغيرها ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـ – ٩١٥م)، ونشأ بالبادية والشام وقال الشعر في صغره واعتنى الأئمة الفضلاء بشرح ديوانه مات سنة (٣٥٤هـ – ٩٦٥م)[٥].

---

[١]– ابن أيبك، أحمد بن عبد الله الحسيني الدمياطي: (المتوفى: ٧٤٨هـ – ١٣٤٧م)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت. ج١٩، ص٧٢، ٧٣.

[٢]– ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٠٣.

[٣]– الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج١، ص٢١١.

[*]– بلاد فارس حدودها من شرقها كرمان، ومن غربها خوزستان، ومن شمالها مفازة خراسان، ومن جنوبها البحر، سميت بفارس بن الأشور ابن سام بن نوح، عليه السلام، وأما أهلها فذكروا أنهم من نسل فارس بن طهمورث، وحدودها ما بين نهر بلخ إلى منتهى اذربيجان وارمينية إلى القادسية وإلى بحر فارس. القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٩٢.

[٤]– ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٠٣؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: (المتوفى : ٦٤٦هـ – ١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م. ج١، ص١٤٢.

[٥]– النووي: تهذيب الأسماء، ج٢، ص٨٥٥.

**أبو العلاء المعري:** هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن النعمان، من أهل محلة النعمان من بلاد الشام كان غزير الفضل شائع الذكر وافر العلم غاية الفهم عالماً باللغة حاذقاً بالنحو جيد الشعر جزل الكلام شهرته تغني عن صفته وفضله ينطق بسجيته، ولد سنة (٣٦٣هـ – ٩٧٣م)، واعتل بالجدري فذهب فيها بصره، وقال الشعر وهو ابن ١١ سنة، مات سنة (٤٤٩هـ – ١٠٧٥م)[١].

**إبراهيم الغزي الشاعر:** أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي، الشاعر المشهور شاعر محسن وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته أنه ألف بيت، ولد الغزي بغزة سنة (٤٤١هـ – ١٠٤٩م)، وتُوفي سنة (٥٢٤هـ – ١١٢٩م)[٢].

هذا ذكر بعض أشهر علماء القرن الرابع والخامس الهجري وسوف نذكر مجموعة منهم على الجملة كدليل على أن هذه الفترة قد جمعت عدداً كبيراً من العلماء لم تجتمع في أي قرن من القرون المتقدمة والمتأخرة بمثل عددهم ولا مثل علومهم، ومنهم:

أبو أحمد العسكري الأديب والرماني النحوي وأبو الحسن الماسرجسي شيخ الشافعية وأبو عبيد الله الحافظ المشهور وابن شاهين وأبو بكر الأودني إمام الشافعية ويوسف بن السيرافي وابن زولاق المصري وابن أبى زيد المالكي شيخ المالكية وأبو طالب المكي صاحب قوت القلوب وابن بطة الحنبلي وابن سمعون الواعظ والخطابي والحاتمي اللغوي والأدفوي أبو بكر وزاهر السرخسي شيخ الشافعية وابن غلبون المقرئ والكشميهني راوي الصحيح والمعافى بن زكريا النهرواني وابن خويز منداد وابن جنى والجوهري صاحب الصحاح وابن فارس صاحب المجمل وابن منده الحافظ والإسماعيلي شيخ الشافعية واصبغ بن الفرج شيخ المالكية وبديع الزمان أول من عمل المقامات وابن لال وابن ابى زمنين وأبو حيان التوحيدي والوأواء الشاعر والهروي صاحب الغريبين وأبو الفتح البستي الشاعر والحليمي شيخ الشافعية وابن الفارض وأبو الحسن القابسي والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو الطيب الصعلوكي وابن الأكفاني وابن نباته صاحب الخطب والصيمري شيخ الشافعية والحاكم صاحب المستدرك وابن كج والشيخ أبو حامد الإسفراييني وابن فورك والشريف الرضى والحافظ عبد الغنى بن سعيد وابن مردويه وهبة الله بن سلامة الضرير المفسر وأبو عبد الرحمن السلمى شيخ الصوفية وابن البواب صاحب الخط وعبد الجبار المعتزلي والمحاملي إمام

---

[١]– ياقوت: معجم الأدباء، ج١، ص٣٩٦، ٣٩٧.

[٢]– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٥٧، ٥٨، ٦٠.

الشافعية وأبو بكر القفال شيخ الشافعية والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني واللالكائي وعلى بن عيسى الربعي النحوي وخلائق آخرون[1].

وبهذا نرى أن القرنين الرابع والخامس الهجري كانا من أفضل قرون الدولة الإسلامية فيما يخص التقدم العلمي في شتى المجالات والعلوم ومن حيث عدد العلماء، كما كان يجسد مدى اهتمام الخلفاء والسلاطين ووزرائهم بالعلم وأهله، فبنوا المدارس ودور العلم، وهذا ينم على أمرين أولهم أنهم متعلمون يحبون العلم والعلماء، والأمر الثاني أنهم كانوا مدركين مدى أهمية العلم في بناء دولهم وممالكهم.

[1]– السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص٤١٥، ٤١٦.

## ❖ الفصل الثاني: الأوضاع الدينية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

- **المبحث الأول: المسلمون في المشرق الاسلامي**
  - ✓ **المسلمون السنة " المذاهب الاربعة "**
    - **الأحناف**
    - **المالكية**
    - **الشافعية**
    - **الحنابلة**
  - ✓ **الشيعة " بعض الفرق الشيعية "**
    - **العبيديين " الفاطميين "**
    - **الحشاشين**
    - **القرامطة**
- **المبحث الثاني: أهل الذمة في المشرق الإسلامي**
  - ✓ **المسيحيين**
  - ✓ **اليهود**
- **المبحث الثالث: الصراع بين المذاهب والأديان**
  - ✓ **الخلافات والتعصب بين المذاهب السنية**
  - ✓ **الصراعات بين السنة والشيعة**
  - ✓ **الصراع بين المسلمين وأهل الذمة في داخل المجتمع الاسلامي**

## المبحث الأول: المسلمون في المشرق الاسلامي

### المسلمون السنة[*] " المذاهب الأربعة "

**الأحناف:** حينما نتكلم عن الأحناف يجب أن نتوقف أولاً عند مؤسس هذا المذهب وإمامه، ألا وهو أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الذي ولد بالمدينة سنة (٨٠هـ – ٦٩٩م)[١]، وتوفى سنة (١٥٠هـ – ٧٦٧م) في بغداد عن عمر ناهز السبعين سنة[٢]، ويعد مذهب الإمام أبو حنيفة أحد المذاهب الأربعة بل يعد أقدمها[٣]، ويعد مذهب الحنفية هو مذهب أهل الرأي[٤]، وسمي المذهب بهذا الاسم لأن أصحاب هذا المذهب استكثروا من القياس وبرعوا فيه[٥].

تميز المذهب الحنفي بالمرونة الفقهية في ميادين الإدارة والسياسة ومعاملة الأَعراق والأجناس، ولما يتسم به من سعة ورفق ويسر، لاسيما وهو مدرسة أهل العراق، حيث تفاعلت الأمم والشعوب مع الثقافة الإسلامية و العربية، ومدرسة أهل الرأي التي تميل للتيسير المرحلي في الأحكام والتشريعات[٦].

لقد اشتهر مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان وانتشر في معظم الأقطار الإسلامية، بل في كثير من الأقاليم والبلاد الإسلامية لا يعرف إلا مذهبه، مثل بلاد الروم والهند والسند وما وراء

---

[*]– أهل السنة هم القائلون بخلافة أبي بكر وعمر عن استحقاق. مصطفى وأخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص٤٥٦؛ أبو جيب، سعدي: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق – سورية، ط٢، ١٩٨٨م. ص١٨٤.

[١]– الذهبي، العبر، ج١، ص٢١٤؛ القنوجي، صديق بن حسن: (المتوفى: ١٣٠٧هـ – ١٨٨٩م)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م. ج٣، ص١٢١.

[٢]– النووي: تهذيب الأسماء، ج٢، ص٥٠١.

[٣]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٨٤.

[٤]– الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري: (المتوفى: ٢٣٠هـ – ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت. ج٦، ص٣٦٨. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد الشيباني: (المتوفى: ٢٤١هـ – ٨٥٥م)، الورع، تحقيق: زينب إبراهيم القاروط، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. ج١، ص١٢٤.

[٥]– تيمور، أحمد: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعة، تقديم، محمد أبو زهرة، ط١، دار القادري، بيروت، ١٩٩٠م. ص٥٠.

[٦]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص١٩.

النهر وسمرقند[١]، وكان أول من أدخل مذهب الحنفية إلى مصر القاضي إسماعيل بن اليسع الكوفي[*][٢]، وكان ذلك في سنة (١٦٧هـ- ٧٨٣م)[٣].

إن انتشار هذا المذهب في أنحاء الأرض الإسلامية ما هو إلا دليل على مرونة هذا المذهب في حل مشكلات الناس عبر العصور وذلك من خلال باب التخريج الذي فتح مجالاً واسعاً لتقديم الحلول والأحكام للمسائل المستجدة، ومن خلال العلماء الأفذاذ الذين انتسبوا إلى هذا المذهب[٤].

فيما يبدو أن المذهب الحنفي كان له حضوره الواسع في ربوع العالم الإسلامي وهذا يرجع لعدة أسباب أولها أنه يعد أقدم مذهب من بين المذاهب الأخرى، وأما الثاني فإن في هذا المذهب من المرونة ما يساعد على حل إشكاليات الناس على مر العصور.

**المالكية:** وإمام هذا المذهب هو الإمام مالك بن أنس، صاحب كتاب الموطأ في الحديث الشريف، عالم المدينة وإمامها، أحد المجتهدين الأربعة[٥]، ولد سنة (٩٣هـ – ٧١١م) وتوفى بالمدينة سنة (١٧٩هـ – ٧٩٥م)[٦]، ودفن بها[٧]، وهو ثاني المذاهب الأربعة في القدم[٨]، ويقال لأصحابه أهل

---

[١]– ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي: (المتوفى: ١٢٥٢هـ – ١٨٣٦م)، رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م. ج١، ص٥٦.

[*]– هو إسماعيل بن اليسع الكوفي، ولي قضاء مصر عام ١٦٧هـ فكان أول من أدخل المذهب الحنفي الى مصر. المصري: فتوح مصر، ج١، ص٤٠٥، ٤٠٦.

[٢]– ابن حيان، محمد بن خلف: (المتوفى: ٣٠٦هـ – ٩١٨م)، أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت. ج٣، ص٢٣٦؛ العسقلاني: رفع الإصر، ج١، ص٨٩.

[٣]– المصري: فتوح مصر، ج١، ص٤٠٦.

[٤]– حوى، أحمد سعيد: المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ط١، دار الاندلس الخضراء، جدة، ٢٠٠٢م. ص١٠٩.

[٥]– ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد: (المتوفى: ١٢٣٣هـ – ١٨١٧م)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. ج١، ص٢٩٤.

[٦]– أبو حاتم البستي، محمد بن حبان بن أحمد التميمي: (المتوفى: ٣٥٤هـ – ٩٦٥م)، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م. ج٧، ص٤٥٩.

[٧]– القنوجي: أبجد العلوم، ج٣، ص١٢٢.

[٨]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٨٤؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٦١.

الحديث[١]، انتشر مذهب الإمام مالك في ربوع دولة الإسلام، وكان انتشاره في الحجاز وبلاد فارس واليمن ومصر ومعظم بلاد الشام وبلاد أفريقيا والمغرب الأقصى[٢] وفي العراق وصقلية [٣] والأندلس[٤].

أما مصر فقد عرفت المذهب المالكي على يد عثمان بن عبد الحكم الجذامي من بني نصر، حيث يعد أول من أدخل هذا المذهب إلى مصر، وقد انتشر هذا المذهب في منتصف القرن الثاني الهجري في مصر، فأصبح هو المذهب الغالب على مصر إلى أن جاء منافسه الأكبر مذهب الشافعية[٥]، ولقد كان معظم الفقهاء في مصر من المالكية، ولهذا اشتدت الحكومة العبيدية في محاربة المالكية، ولما زالت الدولة العبيدية على يد الأيوبيين الذين كانوا من الأكراد الشافعية، انتشر المذهب الشافعي في مصر عدا الصعيد الذي بقي على الجملة مالكي المذهب إلى أيامنا هذه، وقد اقتسم المالكية والحنفية بلاد المغرب العربي، ولما خرج المغرب من عباءة الدولة العبيدية، لم يقتصر البلاء على مذهبهم الشيعي بل طال أيضاً مذهب الأحناف السنة، وانتقل المغرب إلى مذهب مالك ولا يزال عليه إلى اليوم[٦]. وذلك أن المعز بن باديس الصنهاجي[*] المتوفى في أواسط المائة الخامسة قطع دعوة الشيعة من أفريقيا ودعا لبني العباس، وحمل المعز جميع أهل المغرب

---

[١]- ابن تيمية: كتب ورسائل، ج٢٠، ص٥٤٦؛ الحنبلي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي: (المتوفى: ٧٤٤هـ – ١٣٤٣م)، تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، تحقيق: أيمن صالح شعبان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج٣، ص٤٢٧.

[٢]- اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى الأندلسي: (المتوفى: ٥٤٤هـ – ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. ج١، ص٣١.

[٣]- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي: (المتوفى: ٧٩٩هـ – ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت. ج١، ص٩٣، ١١٩؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج١، ص٣١.

[٤]- السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي: (المتوفى: ٥٦٢هـ – ١١٦٦م)، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م. ج٥، ص٣١٥؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج١، ص٣١.

[٥]- اليحصبي: ترتيب المدارك، ج١، ص١٧٥؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٩٢، ٣٩٣.

[٦]- متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٩٢، ٣٩٣.

[*]- المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي حاكم إفريقية وبلاد المغرب، قطع دعوة الشيعة من أفريقيا ودعا لبني العباس، وحمل المعز جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك، واستمر الحال في ذلك إلى الآن. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٣٣، ٢٣٤.

على التمسك بمذهب الإمام مالك ومازال المغرب مالكي المذهب[١].

أما في بغداد فقد انتشر بها المذهب انتشاراً كبيراً، ثم ما لبث أن ضعف في القرن الرابع الهجري، ثم ضعف بالبصرة بعد القرن الخامس، كما انتشر ببلاد فارس واليمن وكثير من بلاد الشام[٢].

وبهذا يكون مذهب الإمام مالك هو ثاني أقدم المذاهب الأربعة ومن أكثرها انتشاراً في ربوع المملكة الإسلامية، كما لاحظنا أن من أهم الأسباب التي ساعدت المذهب المالكي على الانتشار في المغرب العربي هو تبني دولة بن باديس له وإرغام الناس عليه.

**الشافعية:** وإمام هذا المذهب هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي[٣]، ولد سنة (١٥٠هـ – ٧٦٧م)[٤] بغزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن ونشأ بمكة[٥]، وانتقل إلى المدينة في حدود سنة (١٧٠هـ – ٧٨٦م)، فأخذ عن الإمام مالك، ولما توفي مالك في سنة (١٧٩هـ – ٧٩٥م)، رحل إلى اليمن، ثم رحل إلى العراق[٦]، ثم انتقل إلى مصر في سنة (١٩٨هـ – ٨١٣م)[٧]، حيث أتم بناء مذهبه[٨]. مات بمصر سنة (٢٠٤هـ – ٨١٩م)[٩]، وقيل إنه توفى سنة (٢٠٦هـ – ٨٢١م)[١٠].

---

[١]– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٣٣، ٢٣٤؛ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد: (المتوفى: ١٣١٥هـ – ١٨٩٧م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. ج١، ص١٩٤؛ تيمور، أحمد: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعة، تقديم، محمد أبو زهرة، ط١، دار القادري، بيروت، ١٩٩٠م. ص٦٣، ٦٤.

[٢]– اليحصبي: ترتيب المدارك، ج١، ص٣١؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٦١، ٦٢.

[٣]– ياقوت: معجم الأدباء، ج٥، ص١٩٠؛ القنوجي: أبجد العلوم، ج٣، ص١٢٣.

[٤]– أبو العباس: الوفيات، ج١، ص١٣٠، ١٥٦؛ فنديك، أدورد: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، دار صادر، بيروت، ١٨٩٦م. ج١، ص١٥٣.

[٥]– ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد أبو إسحاق: (المتوفى: ٨٨٤هـ – ١٤٧٩م)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م. ج٢، ص٣٦٨؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج٥، ص١٩٠.

[٦]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧٨.

[٧]– ياقوت: معجم الأدباء، ج٥، ص١٩٠.

[٨]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧٨.

[٩]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص١٦٥؛ أبو العباس، أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب: (المتوفى: ٨٠٩هـ – ١٤٠٦م)، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط٢، دار الإقامة الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م. ج١، ص١٥٦؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج٥، ص١٩٠.

[١٠]– القنوجي: أبجد العلوم، ج٣، ص١٢٣.

ويعد مذهب الإمام الشافعي ثالث المذاهب الأربعة في القدم[١]، ويطلق على أصحاب هذا المذهب "أصحاب الحديث"، بل كان أهل خراسان إذا قالوا أصحاب الحديث لا يعنون إلا الشافعية[٢]، كما يعد الشافعي مؤسس علم أصول الفقه[٣].

ويعد أول ظهور لهذا المذهب كان في مصر، حيث زاحم مذهب مالك هناك، وكثر أصحاب الشافعي بمصر، ثم ظهر بالعراق وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن[٤] ودخل ما وراء النهر[٥] وبلاد فارس ودخل شيء من أفريقيا والأندلس[٦]، وقد تغلب الشافعية على الحنفية في المشرق، وكان أكبر حصن لهم في الشام ومصر[٧]، ويقول القواسمي إن الباعث الرئيس الذي دفع الشافعي على التردد بين العراق والحجاز ومصر هو البحث عن تلاميذ أكفاء يستطيعون أن يحملوا ما عنده من علم غزير في الفقه وأصوله وسائر علوم الشريعة، وقد وفق الشافعي باختياره لمصر التي كانت تنعم بهدوء واستقرار سياسي، كما يسر الله له فيها تلاميذ أكفاء أحسنوا نقل مذهبه عنه ونشره[٨].

كان الشافعي يقول الليث[*] أفقه من مالك لكن أصحابه لم يقوموا به[٩]، ولهذا أدرك الشافعي ضرورة تجاوز هذه الإشكالية بالبحث عن تلاميذ له يقومون بالأمر بعده حتى لا يضيع

---

[١]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٨٤؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٧٠.

[٢]– السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي: (المتوفى: ٧٧١هـ – ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢،هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ. ج٥، ص١٨٣؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٧٠.

[٣]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧٨.

[٤]– اليحصبي: ترتيب المدارك، ج١، ص٣١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٣؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٧١.

[٥]– القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٢٢١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٣

[٦]– ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٣؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٧١.

[٧]– القنوجي: أبجد العلوم، ج٢، ص٤١٠؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٩٢.

[٨]– القواسمي، يوسف عمر: المدخل إلى مذهب الامام الشافعي، تقديم: مصطفى سعيد الخن، ط١، دار النفائس، الاردن، ٢٠٠٣م. ص٩٩.

[*]– أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث كان مولى قيس بن رفاعة وأصله من أصبهان وكان ثقة سخيا. ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٤، ص١٢٧.

[٩]– أبي شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المقدسي: (المتوفى: ٦٦٥هـ – ١٢٦٦م) شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، تحقيق: جمال عزون، ط١، مكتبة العمرين العلمية، الشارقة / الإمارات،١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م. ج١، ص٢١٥؛ ابن تيمية: كتب ورسائل، ج٣، ص٢٢٨؛ المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج: (المتوفى: ٧٤٢هـ – ١٣٤١م)، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م. ج٢٤، ص٢٧٠.

علمه ولا يجد من يقوم بالأمر بعده، فكان اختياره لمصر انطلاقاً من هذه الغاية وقد نجح في هذا الأمر، حيث إن تلاميذه جابوا ربوع دولة الاسلام شرقاً وغرباً، فكان لمذهبه حضوراً دائماً امتد إلى يومنا هذا.

**الحنابلة:** ينسب هذا المذهب إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن إدريس أبو عبد الله الشيباني[١]، بغدادي المولد والوفاة ولد رحمه الله سنة (١٦٤هـ – ٧٨٠م)، وتوفي سنة (٢٤١هـ – ٨٥٥م)[٢]، ويعد مذهبه رابع المذاهب الأربعة المعمول بها عند جمهور المسلمين[٣]، ويعد الإمام أحمد أحد الأئمة الأربعة المشهورين[٤]، بل ويعد الإمام أحمد أكثرهم وأشدهم ورعاً ومتابعةً للسنة[٥].

أما عن انتشار هذا المذهب فقد ظهر ببغداد ثم انتشر بكثير من بلاد الشام وغيرها[٦]، ولم يظهر مذهب الحنابلة خارج العراق إلا في القرن الرابع الهجري، وهم بالديار المصرية قليل جداً، ولم يكن لهم فيها حضور يذكر إلا في القرن السابع وما بعده، وفي القرن الرابع ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلاً ونفياً وتشريداً، وأقاموا مذهب الرفض الشيعي، حتى أواخر القرن السادس، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب، وأول إمام من الحنابلة حل بمصر هو الحافظ عبد الغني المقدسي[*] صاحب كتاب العمدة[٧].

كان المذهب الحنبلي موجوداً في القرن الرابع بالبصرة، والغالبية في بغداد كانت له وللشيعة[٨]، فأما أحمد بن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته في معاضدة الرواية

---

[١]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٠٤؛ ابن عبد الوهاب: تيسير العزيز الحميد، ج١، ص١٢٩.

[٢]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٠٤؛ باشا: هدية العارفين، ج٥، ص٤٨؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٨١.

[٣]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٨٤؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص٨١.

[٤]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٨٤؛ المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا: (المتوفى: ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت. ج١، ص٤٧.

[٥]– ابن عبد الوهاب: شرح كتاب التوحيد، ج١، ص١٢٩.

[٦]– ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٣.

[*]– الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الحنبلي، ولد بنابلس، في سنة (٥٤١هـ – ١١٤٦م)، كان إماما حافظا متقنا مصنفا ثقة وكتب الكثير من الكتب، وهو أحد أكابر أهل الحديث وأعيان حفاظهم. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٨٥.

[٧]– السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٠.

[٨]– ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٨.

وللأخبار بعضها ببعض، وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها، وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث[١].

بالإجمال استقرت المذاهب الفقهية الكبرى في ذلك العصر، وتوطدت أركانها على النحو الذي نجده اليوم[٢]، إذا استثنينا البلاد التي آل أمرها إلى الشيعة[٣]، لم يكن لمذهب الإمام أحمد بن حنبل كبير انتشار في البلاد الإسلامية، كما انتشرت المذاهب الثلاثة الأخرى لكنه استطاع أن يحافظ على وجوده وأصالته، وأوجد له ولمذهبه مكاناً في نفوس المسلمين.

## الشيعة " بعض الفرق الشيعية "

**العبيديون** "**الفاطميون**": اختلف المؤرخون في أصلهم ونسبهم، فمنهم من يقول إن أصولهم تعود إلى عبد الله بن ميمون القداح، صاحب الدعوة الشيعية في اليمن والمغرب، ادعى ولده أحمد أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، فتوفي وخلف ولده محمداً، ثم توفي محمد وخلف أحمد والحسين، وكان الحسين يدعى أنه الوصي وصاحب الأمر، والدعاة باليمن وأهل المغرب يكاتبونه، وتزوج امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن، ولها ولد من الحداد يماثلها في الجمال، فأحبها وحسن موقعها منه، وأحب ولدها، وأدبه وعلمه فتعلم العلم، وصارت له نفس عظيمة، وهمة كبيرة، فعهد إلى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله، وعلمه أسرار الدعوة من قول وفعل، وأين الدعاة، وأعطاه الأموال والعلامات، وتقدم إلى أصحابه بطاعته وخدمته، وأنه الإمام والوصي، وجعل لنفسه نسباً، وهو عبيد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وبعض الناس يقول إن عبيد الله هذا من ولد القداح[٤].

---

[١]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص٤٤٨.

[٢]– أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي: (المتوفى: ٦٦٥هـ – ١٢٦٦م)، مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٣هـ. ج١، ص٤١؛ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي: (المتوفى: ٦٦٥هـ – ١٢٦٦م)، خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول، تحقيق: جمال عزون، ط١، مكتبة أضواء السلف، الرياض / السعودية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. ج١، ص٩٩؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٨٣.

[٣]– السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٠؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٨٣.

[٤] – المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٤١، ٤٢، ٤٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٥٣.

استطاع دعاة الدولة العبيدية من نقل دعوتهم إلى المغرب العربي، وصاحب دعوة العبيديين رجل يسمى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي[*]، من أهل صنعاء، وكان له علم وفهم ودهاء ومكر، انتدبه دعاة الدولة العبيدية إلى الخروج إلى المغرب لكي ينشر دعوتهم الشيعية، فأجابهم لما طلبوا ورحل إلى المغرب يدعو أهلها لدعوة العبيديين الشيعية، فلما نزل المغرب فرق كلمة أهلها، وتفرقت كلمة البربر وكتامة بسببه، فأراد بعضهم قتله فاختفى، ووقع بينهم قتال شديد، واتصل الخبر برجل اسمه الحسن بن هارون[*٢]، وهو من أكابر كتامة، فأخذ أبا عبد الله إليه ودافع عنه، ومضيا إلى مدينة ناصرون فأتته القبائل من كل مكان، وعظم شأنه، وصارت الرياسة للحسن بن هارون، فكان له الظفر في حروبه وغنم الأموال، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة[١]، وأرسل أبو عبد الله الشيعي رجالاً من كتامة من المغرب ليخبروا عبيد الله المهدي وهو من يدعون له بالخلافة والإمامة بما فتح الله عليه وأنهم ينتظرونه، وشاع خبره عند الناس أيام المكتفي العباسي[*٣] فطلبه الخليفة فهرب هو وولده أبو القاسم نزار، الذي ولي بعده وتلقب بالقائم[*٤] وهو يومئذ غلام، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب، وذلك أيام زيادة الله أمير المغرب، فوصل عبيد الله المهدي إلى المغرب وملكها وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين في ربيع الآخر من سنة (٢٩٧هـ – ٩٠٩م)[٢].

---

[*]– أبو عبد الله الحسين ابن أحمد بن زكريا الشيعي، كان من أهل الكوفة، وقيل من أهل صنعاء، هو من أقام الدعوة للعبيديين في المغرب وكان سبباً في قيام دولتهم، قتله عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين في المغرب في سنة (٢٩٨هـ – ٩١٠م). النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٦٨.

[*٢]– الحسن بن هارون، من أكابر قبيلة كتامة وهي من قبائل البربر المغربية ناصر أبو عبد الله الشيعي في إقامة الدولة العبيدية مات على إثر علة أصابته في سنة (٢٨٩هـ – ٩٠١م). المصدر السابق: ج٢٨، ص٥٢، ٥٧.

[١]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٥٠–٤٦٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٤٥٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٤٣.

[*٣]– المكتفي علي بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا محمد، تولى الخلافة بعد موت أبيه الخليفة المعتضد سنة (٢٨٩هـ – ٩٠١م)، ومات سنة (٢٩٥هـ – ٩٠٧م)، عن عمر ناهز الواحدة والثلاثين سنة، فكانت مدة خلافته ست سنين. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على: (المتوفى: ٣٤٦هـ – ٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة. ج١، ص١٣٤؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص١٥٨.

[*٤]– أبو القاسم نزار بن المهدي عبيد الله القائم بأمر الله صاحب المغرب وقد سار مرتين إلى مصر ليملكها فما قدر له ومات بالمهدية في شوال سنة (٣٣٢هـ – ٩٤٣م) وكان مولده بسلمية في حدود (٢٨٠هـ – ٨٩٣م). الذهبي: العبر، ج٢، ص٢٤٦.

[٢]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٥٠–٤٦٠؛ الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى: (المتوفى: ٨٠٨هـ – ١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م. ج١، ص١٥٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٤٥٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٤٣.

لم يتوقف هذا المد الشيعي العبيدي على افريقيا فحسب بل مد نفوذه حتى ملك مصر في يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان سنة (٣٥٨هـ- ٩٦٨م)، وفي السنة التي أخذ فيها العبيديون مصر وجهوا جيشاً إلى الشام، فملكوا دمشق سنة (٣٦٠هـ - ٩٧٠م)[١].

استطاع العبيديون أن يتحولوا من حركة سرية إلى دولة قوية امتدت من أقصى بلاد افريقيا غرباً إلى بلاد الشام شرقاً وذلك بفضل ادعائهم بالانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

حيث إن الحركات الشيعية اتخذت كل وسيلة لتجميع الناس حولها، سواء أكانت هذه الوسيلة شريفة أم غير ذلك[٢]، فكان زعماء الحركات الباطنية يظهرون الزهد في بداية أمرهم كي يقبل عليهم الناس[٣]، ويدعون الانتساب إلى أحفاد الحسين بن علي، إذ إن المجتمع الإسلامي لا يخضع غالباً إلا للذين يعرفون بتقواهم أو على الأقل يخضع للأتقياء أكثر مما يخضع لغيرهم[٤].

**القرامطة:** وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال[٥]:

**أحدها:** أنهم سموا بذلك لأن أول من أسس القرامطة هو محمد الوراق المقرمط، وكان كوفياً.

**الثاني:** أن لهم رئيساً من السواد من الأنباط يلقب بقرموطويه فنسبوا إليه.

**الثالث:** أن قرمطاً كان غلاماً لإسماعيل بن جعفر فنسبوا إليه.

**الرابع:** أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرمية، ثم أدخله في مذهبه، فلما رحل تسمى قرمط ابن الأشعب.

**الخامس:** أن من بعض دعاتهم رجل يقال له كرمية فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل، ثم خفف الاسم فقيل قرمط.

**السادس:** أنهم لقبوا بهذا نسبة إلى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط، وكان حمدان هذا من أهل الكوفة يميل إلى الزهد.

---

[١]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٦٦، ٢٦٧.

[٢]- ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١١٠؛ شاكر، محمود: التاريخ الاسلامي الدولة العباسية، ج٦، ط٦، المكتب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م. ص٢٩.

[٣]- ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١١٠.

[٤]- أبي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. ج٢، ص٢٢٣؛ شاكر: التاريخ الاسلامي، ص٢٩.

[٥]- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٢، ص٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢؛ زكار، سهيل: الجامع في أخبار القرامطة في الاحساء والشام والعراق واليمن، ج٢، ط٣، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م. ص٣٨٩.

ويتسمون أيضاً بالبابكية والخرمية والمزدكية والمحمرة والسبعية والتعليمية[١]، والقرامطة فرع من فروع الإسماعيلية[*][٢]، وأما مذهبهم فإن مقصودهم الإلحاد، وتعطيل الشرائع، وهم يستدرجون الخلق إلى مذهبهم بما يقدرون عليه، فيميلون إلى كل قوم بسبب يوافقهم، ويميزون من يمكن أن ينخدع ممن لا يمكن، وإن مذهبهم ظاهره الرفض، وباطنه الكفر[٣].

وكان أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنة (٢٦٤هـ – ٨٧٧م)[٤]، ولقد ملأوا الأرض قتلاً وفساداً فطال أذاهم العديد من البلاد العربية والإسلامية، فكان ظهورهم في البحرين[*٢]، حيث اجتمع إليهم جماعة من الأعراب والقرامطة، وكان خروجهم في أول سنة (٢٨٦هـ – ٨٩٩م)، وكثر أصحابهم وقوي أمرهم فقتلوا من حولهم من أهل القرى، ثم صاروا إلى موضع يقال له القطيف بينه وبين البصرة مراحل فقتلوا من بها[٥]، ولم يكتفوا بذلك فقد هاجموا دمشق سنة ٢٨٩هـ – ٩٠١م، حيث أفسدوا وقتلوا وعاثوا فساداً في دمشق ونواحيها، ولكنهم هزموا وانقطعت شوكتهم حتى سنة (٣١٠هـ – ٩٢٢م)، حيث هاجموا البصرة في هذه السنة، وعاثوا فيها فساداً، وفي سنة ٣١٢هـ، هاجموا قوافل الحجاج وقتلوا منهم وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، ثم دخلوا الكوفة في سنة (٣١٣هـ – ٩٢٥م)، فقتلوا الناس وانتهبوا الأموال، وفى سنة (٣١٧هـ – ٩٢٩م) دخلوا مكة وقتلوا من وجدوا في الطواف، وقيل إنهم قتلوا بها ثلاثة آلاف، وأخرجوا منها سبعمائة بكر، واقتلعوا الحجر

---

[١]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٢، ص٢٩٢، ٢٩٣؛ زكار: الجامع في أخبار القرامطة، ص٣٨٨.

[*]– هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وأن الإمامة انتقلت إليه بعد أبيه دون أخيه موسى الكاظم فيقولون إن الإمامة انتقلت بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ابنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين ثم إلى ابنه علي زين العابدين ثم إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصدق ثم إلى ابنه إسماعيل الذي تنسب إليه هذه الفرقة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٢٣٨، ٢٣٩.

[٢]– الخطيب، محمد أحمد: الحركات الباطنية في العالم الاسلامي عقائدهم وحكم الاسلام فيهم، ط٢، مكتبة الاقصى، عمان – الاردن، ١٩٨٦م. ص١٣٥.

[٣]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٢، ص٢٩٣، ٢٩٤.

[٤]– ابن العديم: بغية الطلب، ج٢، ص٩٢٩.

[*٢]– البحرين تقع بالقرب من منطقة الإحساء وتبعد عن البصرة مسيرة ١٥ يوماً على الإبل، وسميت بالبحرين لوجد بحيرة فيها بالقرب من الاحساء ومن قرى هجر. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٤٧.

[٥]– الطبري: تاريخ، ج٥، ص٦٣٠.

الاسود وحملوه إلى البحرين[١]، وتم استعادته منهم في سنة (٣٣٩هـ – ٩٥٠م)، أي بعد ٢٢سنة من سرقته[٢].

لقد امتد أذاهم حتى بلغ الشام قتلاً وحرقاً ونهباً للبلدات والقرى، إلى أن وردوا أطراف دمشق، وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، فبرز إليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه، والتجأ إلى دمشق فحاصروه وقاتلوه، ولم يستطع ردهم إلا بعد أن جاءه المدد من مصر، لكن أمر القرامطة لم ينته في الشام فقد عاثوا في أنحاء الشام قتلا ونهباً فلم تسلم منهم حمص وحلب وبعلبك ومعرة النعمان[*] وسلمية[*٢]، فقتلوا النساء والأطفال، وبقي الأمر على هذا الحال حتى فنيت جيوش الشام ومصر فلزم ذلك تدخل الخليفة في بغداد، فزال خطر القرامطة إلى حين، وكانت هذه الأحداث ما بين سنة (٢٨٩هـ – ٩٠١م) وسنة (٢٩٠هـ – ٩٠٢م)، ثم عاودوا أعمالهم الشنيعة من قتل وسلب ونهب في سنة (٢٩٣هـ– ٩٠٥م)، فلم يبقَ حينئذ أحد إلا خافهم، ولم ببقَ أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد[٣]، وبعدها خف ذكرهم بعد الهزائم المتلاحقة التي لحقت بهم، ثم عادوا إلى الظهور والإفساد مرة أخرى سنة (٣٥٣هـ – ٩٦٤م)[٤]. وسوف نأتي على ذكر القرامطة وما أحدثوه في الشام في الفصل الرابع.

هذه الحركة والتي عرفت عبر التاريخ باسم القرامطة ما هي إلا نتاج أفكار المذهب الشيعي الإسماعيلي، الذي أخرج لنا مثل هؤلاء القتلة المجرمين، فقد فاقوا الخوارج في تشددهم، وفاقوا المشركين في كفرهم، والمجرمين في إجرامهم فأهلكوا الحرث والنسل، بل وانتهكوا حرمة الحجيج

---

[١]– عبد القاهر، بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور: (المتوفى: ٤٢٩هـ – ١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م. ج١، ص٢٧٤، ٢٧٥.

[٢]– الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي: (المتوفى: ٧١٨هـ – ١٣١٨م)، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م. ج١، ص١١٨؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٤.

[*]– معرة النعمان مدينة من مدن الشام قضاء قنسرين تبعد عن حلب مسيرة خمس أيام، وهي مدينة كبيرة عامرة. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٥٢.

[*٢]– سلمية بلدة من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص، وسبب تسميتها بهذا الاسم يقال أن اهل المؤتفكة أسلم منهم مائه نفس رحلوا إلى سلمية وسكنوا فيها فسميت سلم مائة ثم حرفت إلى سلمية. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٠.

[٣]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٧٦.

[٤]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ١٨٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٣٢٦. ٣٢٧.

وحرمة المسجد الحرام الذي سرقوا حجره الأسود، فلم يسمع عبر تاريخنا الإسلامي بأقبح من هذا الصنيع ولا أفظع من هذه الأعمال.

**فرقة الحشاشين:** هم فرقة من الإسماعيلية الشيعة، أسسها حسن بن الصباح، والحسن بن الصباح هذا من مدينة مرو[١]، تُوفي سنة (٥١٨هـ – ١١٢٤م)[٢]، كان كاتباً لأحد الأمراء عندما كان صبياً، ثم سار إلى مصر، والتقى بدعاة العبيديين، فأصبح من كبار دعاتهم، وبدأ الحسن الصباح يُدخل في دعوته الجهلة من الناس، من الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم[٣]، لقد كان للحسن بن الصباح العديد من القدرات التي جعلته يؤثر في هذه الشريحة من الناس حيث كان رجلاً شهماً، كافياً، عالما بالهندسة، والحساب، والنجوم، والسحر، وغير ذلك[٤]، وفي سنة (٤٨٣هـ – ١٠٩م) استولى ابن الصباح رأس الإسماعيلية على قلعة أصبهان، فكان هذا أول ظهورهم[٥]، كما سيطروا على قلعة الموت، وهي قلعة حصينة بين قزوين وبحر الخزر، على رأس جبل، وحولها وهاد[*] لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب[*٢] يبلغها، بمعنى أدق كانت عصية على أي حصار[٦]، ومن القلاع التي ملكوها، قلعة طبس وقهستان، ثم ملكوا قلعة وستمكوه، وهي بقرب أبهر سنة (٤٨٤هـ – ١١٠م)، واستولوا على قلعة خاليجان، وهي على خمسة فراسخ من أصفهان[*٣]، وعلى قلعة أزدهن، ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح، واستولوا على قلعة كردكوه، وقلعة الطنبور، وقلعة خلا وخان، وهي بين فارس وخورستان[٧].

---

[١]– الذهبي: تاريخ الإسلام،ج٣٤، ص٢٩؛ مصطفى وأخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص١٧٦.

[٢]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٣١٠.

[٣]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٧، ص٦٣؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: (المتوفى: ٥٩٧هـ – ١٢٠٠م)، تلبيس إبليس، تحقيق: السيد الجميلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. ج١، ص١٣٤.

[٤]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٣١.

[٥]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٨٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٢٢.

[*]– الوهدة: المطمئن من الأرض، والمكان المنخفض كأنه حفرة، والوهد يكون اسما للحفرة، والجمع وهاد. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري: (المتوفى: ٧١١هـ – ١٣١١م)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت. ج٣، ص٤٧٠.

[*٢]– النشاب النبل واحدته نشابة، والنشاب الكثير النشوب وصانع النشاب. مصطفى وأخرون: المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٢١.

[٦]– القزويني: آثار البلاد، ج١، ص١٢١.

[*٣]– أصفهان، هي مدينة من مدن الجبل، والجبل ناحية مشهورة يقال لها قهستان، ومنها أصفهان والري وهمذان وقزوين، وتقع قهستان شرق خراسان وفارس، وغرب أذربيجان، وشمال بحر الخزر، وجنوب العراق وخوزستان. القزويني: آثار البلاد، ج١، ص١٣٨.

[٧]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٩٥.

فالحشاشون كانوا عبارة عن قتلة مأجورين، سريين من نوع خطير جداً وذوي مهارة خاصة، لم ينشر الحشاشون الرعب في ربوع المملكة الإسلامية فحسب، بل تعدوا ذلك إلى أوروبا فقد أصبحت كلمة حشاش اسماً شائعاً في معظم اللغات الأوربية، وتعني القاتل وتحديداً الذي يقتل خلسةً وغيلة[١].

لقد أقدموا على قتل العديد من القادة والأمراء والعلماء حتى صار الأمراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم خوفاً منهم[٢]، كان لهم دور كبير في اغتيال الشخصيات الإسلامية والصليبية في تلك الحقبة، فكانوا يقومون بقتل الأمير المسلم في يوم الجمعة وفي المسجد، والأمير المسيحي في داخل الكنيسة[٣]، ومن أبرز الشخصيات التي قاموا بقتلها الوزير نظام الملك السلجوقي[٤]، قتلوه في سنة (٤٨٥هـ – ١٠٩٢م)[٥].

ها هم الشيعة الإسماعيلية يطلون علينا بطائفة جديدة ذات طابع خاص لم تكن معروفةً من ذي قبل في تاريخنا الإسلامي، فقد مثلت هذه الطائفة قمة شطحات الفكر الشيعي الإسماعيلي، مبرزةً انحرافهم الفكري والديني، وهذا أيضاً ينطبق على القرامطة فهم في هذا الأمر سواء، ولكن الوضع كان مختلفاً مع الدولة العبيدية "الفاطمية" حيث مثلت تلك الأخيرة أفضل نموذج شيعي متزن نوعاً ما، فهو نموذج وسطي ابتعد عن التطرف والغلو المذهبي مقارنةً بالقرامطة والحشاشين وبني بويه، رغم ما في هذه الدولة من سلبيات إلا أنها تصنف من أفضل الدول الشيعية على مر العصور والأزمان.

---

[١]– لويس، برنارد: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الاسلام، تعريب: محمد العزب موسى، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م. ص١٤.

[٢]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٣٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ٢٠٤.

[٣]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٥، ٣٤٨؛ حسين، رشا عبدالفتاح محمد: الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية دراسة علي مجتمعات بلاد الشام، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦م. ص٥٥.

[٤]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٣٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٧، ص٦٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٩.

[٥]– ابن العديم: بغية الطلب، ج١٠، ص٤٥٥٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١، ص١٠٧؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص٣٣.

## المبحث الثاني: أهل الذمة في المشرق الإسلامي

### أهل الذمة[*]:

لقد عاش أهل الذمة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ربوع الإسلام بكل تسامح، حيث وفرت لهم الحكومات الإسلامية المختلفة والمتعاقبة الحماية، وبما أن أهل الكتاب جزءٌ من المجتمع الإسلامي الذي يخضع بدوره للحكومة المركزية فكان لابد من سن قوانين تنظم العلاقة معهم، حيث ظهر في القرن الخامس الهجري أول قانون يمنع أهل الذمة من تعلية بيوتهم على أبنية المسلمين، لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال دون أن يشاركوا فيه، فكانت أقدامهم راسخةً في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة[*٢] وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة في الشام يهود، في حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى[١]، إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب رفض أن يعمل أياً من أهل الذمة في أي عمل من أعمال الدولة[٢]، وسوف يتم التركيز على هذه الشريحة الحاضرة في مجتمعنا العربي الإسلامي في تلك الحقبة السابقة للحروب الصليبية لمعرفة أماكن وجودها وتعدادها وأهم المهن التي أتقنوها وعرفوا بها كما سنتعرف على مدى تأثيرهم في صناعة القرار، وأهم المناصب التي استطاعوا أن يصلوا إليها.

---

[*]– أهل الذمة، المقصود بهم اليهود والنصارى. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: (المتوفى: ٧٢٥هـ)، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت / لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م. ج١، ص٥٦٩؛ ابن مفلح، الإمام أبي عبد الله محمد المقدسي: (المتوفى: ٧٦٣هـ – ١٣٦١م)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. ج٢، ص٤٣٥.

[*٢]– الصيارفة، هم الذين يتبايعون الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين ويأكلون الربا. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: (المتوفى: ٣٦٠هـ – ٩٧٠م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط٢، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م. ج٩، ص١١١.

[١]– متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٩٣، ٩٤، ١٠٤.

[٢]– المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد: (المتوفى: ٦٥٥هـ – ١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. ج١٢، ص٥؛ الصنهاجي، أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي: (المتوفى: ٦٨٤هـ – ١٢٨٥م)، الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. ج٣، ص٣١؛ الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد: (المتوفى: ٧٦٢هـ – ١٣٦٠م)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ. ج١، ص٤٠٤؛ الخزاعي، علي بن محمود بن سعود أبو الحسن: (المتوفى: ٧٨٩هـ – ١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٥هـ. ج١، ص٧٨٠.

**المسيحيون " النصارى[*] ":**

يعود وجود النصارى في فلسطين إلى ما قبل الفتح الإسلامي، فسكنوا في أنحاء متعددة من فلسطين، حيث سكنوا الأماكن المقدسة مثل بيت المقدس[١] وبيت لحم[٢] والناصرة[٣]، وقيسارية[٤].

وتعد فلسطين موطناً ومهداً للديانات النصرانية واليهودية، وقد استطاعت بلاد الشام وفلسطين أن تؤدي دوراً حاسماً في تشكيل بناء الديانة المسيحية بإحكام وإتقان، وفي الربع الثاني من القرن السابع الميلادي انتشرت رايات الإسلام وارتفعت فوق الطوائف المسيحية المتصارعة، فقد كان الإسلام متسامحاً مع المسيحيين الشرقيين الذين يقطنون بلاد الشام وتحديداً فلسطين، في الوقت الذي كانت الكنيسة البيزنطية أكثر تعسفاً مع هؤلاء المسيحيين الشرقيين المقيمين في الأراضي المقدسة، بالإضافة إلى باقي سكان هذه المناطق من السامرة واليهود[٥]، ونتيجة للمعاملة الحسنة التي لقيها النصارى من المسلمين فقد دخلت أعداد كبيرة من نصارى بيت المقدس إلى الدين الإسلامي، خاصة في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي[٦]، ورغم ذلك فقد ظل النصارى يشكلون أعدادًا كبيرة في بيت المقدس[٧].

لقد كان للنصارى حضورهم في المجتمع الإسلامي، كيف لا وهم يتمتعون بحقوقهم التي أقرتها لهم الشريعة الإسلامية. فلا تكاد مدينة إسلامية في بلاد الشام والعراق ومصر تخلو منهم. فقد كان معظم أهل تكريت في العراق نصارى[٨].

---

[*]– هم تبع سيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، نصراني نسبة إلى ناصرة قرية بالجليل نشأ بها عيسى عليه السلام. البركتي: قواعد الفقه، ج١، ص٥٢٧.

[١]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٥٨؛ الكرد: فلسطين في عصر الدويلات، ص٨٩.

[٢]– المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢١؛ ابن طاهر: المطهر المقدسي، (المتوفى: ٥٠٧هـ – ١١١٣م)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد. ج٤، ص٨٨.

[٣]– المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢١.

[٤]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٦.

[٥]– براور: الاستيطان الصليبي، ص٩، ١٠.

[٦]– التلمحري، دينيسيوس: ( المتوفى: ٢٣٣هـ – ٨٤٧م)، التاريخ المنحول، ترجمة عن السريانية، يوسف متى إسحاق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٧٩ م. ج٣، ص٣٣٩. نقلاً عن الكرد: فلسطين في عصر الدويلات، ص٨٩.

[٧]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٥٥.

[٨]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣١.

كما كانت الرها أيضاً معظم أهلها نصارى[١]، ولكن التجمع الأكبر للنصارى كان في بغداد، حيث بلغ مقدار الجزية[*] في بغداد في أول القرن الثالث الهجري مائة وثلاثين ألف درهم، وفي أوائل القرن الرابع بلغت مائة وستين ألف درهم، ويدل هذان الرقمان على أنه كان ببغداد نحو خمسة عشر ألفاً من أهل الذمة يدفعون الجزية، ويجب أن نسقط منهم ألف يهودي، ونستطيع أن نقول بشيء من اليقين إنه كان ببغداد ما بين أربعين وخمسين ألف نصراني، أما في مصر فكان حضورهم أكبر، فقد بلغ تعدادهم في قرون الإسلام الأولى وتحديداً في القرن الثاني الهجري خمسة ملايين من القبط يدفعون الجزية[٢]. هذا الرقم كبير نسبياً نظراً لكون هذه الإحصائية كانت في قرون الإسلام الأولى حيث أن عملية أسلمة المجتمع المصري لم تكتمل بعد لهذا نجد أن عدد القبط كبير.

يعد النصارى على مر الأزمان جزءاً من النسيج الاجتماعي لمجتمعاتنا العربية، فقد كان لهم حضور يتفاوت في مدى تأثيرهم في مجتمعنا العربي من زمن لآخر، فقد استطاع الإسلام بتسامحه أن يستقطب جزءاً كبيراً من أبناء هذه الطائفة إلى ربوع الإسلام، ومع ذلك بقيت أعداد من النصارى تصارع من أجل البقاء في جميع أقطار المملكة الإسلامية محافظةً على ما تبقى لها من أمجاد الماضي.

فعشية الحروب الصليبية كانت الأغلبية السائدة من السكان المحليين في بلاد الشام وفلسطين من المسلمين[٣].

لم يكن حضور النصارى مقصوراً على كثرة تعدادهم في بعض المدن فحسب، بل كانوا أيضاً أصحاب مهن وحرف حيث برعوا في الطب فكان منهم:

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة بن هارون الطبيب الحراني الصابي أبو الحسن توفي سنة (٣٦٥هـ – ٩٧٥م)[٤].

---

[١]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٢٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص٦٤.

[*]– الجزية هي المال الذي يدفعه أهل الذمة الذين يسكنون بلاد المسلمين مقابل حماية المسلمين لهم ولأموالهم وتسييرهم لشؤونهم، وخضوعاً لسلطان المسلمين. الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة: تسهيل العقيدة الإسلامية، ط٢، دار العصيمي للنشر والتوزيع. ج١، ص٥٩٦.

[٢]– متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٨٤.

[٣]– براور: الاستيطان الصليبي، ص٧٣.

[٤]– باشا: هدية العارفين، ج٥، ص٢٤٨.

الطبيب أبو عيسى جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع بن جورجيس المسيحي، من تصانيفه رسالة في عصب العين، الكافي كناشة الكبير خمسة مجلدات، كناشة الصغير، كتاب المطابقة بين أقوال الأنبياء والفلاسفة، مقالة في ألم الدماغ، مقالة في أنه لم يجعل من الخمر قربان وأصله محرم، مقالة في الرد على اليهود، وكان يقيم في ميافارقين[*]، توفي سنة (٣٩٦هـ – ١٠٠٥م)[١].

الطبيب المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم أبو الحسن الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان طبيب نصراني من أهل بغداد يرتزق بصناعة الطب وخرج عن بغداد إِلَى الجزيرة والموصل وديار بكر ودخل حلب وأقام بِهَا مدة وخرج عنها إِلَى مصر وأقام بِهَا مدة ثم ورد أنطاكية راجعاً عن مصر واستقر بها إلى أن توفى في سنة (٤٤٤هـ – ١٠٥٢م)[٢].

من الأطباء أيضاً الطبيب ابن رضوان، حيث كان يقيم في مصر فكان له بها تلاميذ، كان في أول أمره منجماً يقعد على الطريق ويرتزق ثم قرأ شيئاً من الطب والمنطق، توفى في سنة (٤٦٠هـ – ١٠٦٧م)[٣].

الفتح منصور بن سهلان بن مقشر، كان طبيباً نصرانياً مشهوراً، وله دراية وخبرة بصناعة الطب، وكان طبيب الحاكم بأمر الله، ومن الخواص عنده، وكان العزيز أيضا يستطيبه ويرى له ويحترمه[٤].

أما عن أهم هؤلاء الأطباء جميعاً فكان يعقوب بن نسطاس النصراني، طبيب الحاكم بأمر الله، وكان طبيب وقته، عارفاً بالطب، آية في الحفظ، ما يغنى له قط صوت إلا حفظه ولو غناه مائة مغن في مجلس واحد لحفظ سائر ما غنوه به وتكلم على ألحانها وأشعارها وكانت له يد في الموسيقا، وانفرد بخدمة الحاكم في الطب توفى سنة (٣٩٧هـ – ١٠٠٦م)[٥]، ويعد من أهم الأطباء النصارى لكونه قريب من الحاكم بأمر الله الفاطمي.

---

[*]– ميافارقين من أرض أرمينية والبعض يعدها من أعمال الجزيرة وهي من شرقي دجلة وهي مدينة كبيرة حسنة خصيبة. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٣٦.

[١]– باشا: هدية العارفين، ج٥، ص٢٥٠.

[٢]– القفطي: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ج١، ص١٢٤؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١١٣.

[٣]– ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١١٤.

[٤]– الخزرجي: عيون الأنباء، ج١، ص٥٤٩.

[٥]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٧٠.

يبدو أن النصارى قد استطاعوا أن يجدوا لهم موطناً بين العلماء، فبرعوا في مهنة الطب وكان منهم أطباء مميزون خلال القرنين الرابع والخامس الهجري، ولكن حضورهم الأكبر والأخطر كان دورهم السياسي، والمتمثل في الوظائف التي وصلوا إليها في الدول والممالك الإسلامية، والتي استطاعوا من خلالها تأدية دورٍ بارزٍ في مختلف شئون الحياة السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية كما سوف نرى.

لقد استطاع النصارى أيضاً أن يسجلوا حضورهم في دائرة صنع القرار، أعني قصور الخلفاء والوزراء والحكام، ففي القرن الرابع الهجري كان لهم رئيسٌ يمثلهم في قصر الخلافة وعند الحكومة في بغداد[١]، كما كان لعضد الدولة ابن بويه[*] وزيرٌ نصرانيٌ، هو نصر بن هارون النصراني[٢]، عمل هذا الوزير على عمارة البيع والأديرة كما كان يوزع الأموال على فقراء النصارى[٣]، وفي سنة (٣٢٤هـ – ٩٣٥م) توفي اصطفى بن يعقوب النصراني صاحب بيت مال الخاصة[٤]، وفي سنة (٣٥٣هـ – ٩٦٤م) وصل عز الدولة[*٢] إلى الموصل وملكها واستخلف عليها أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الغلات ويجبي الخراج[٥]، وكان صاعد بن ثابت هذا كاتباً نصرانياً[٦].

يبدو أن القرن الرابع الهجري أصبح عنواناً لبداية استعمال النصارى في وظائف سيادية، كالتي وصل إليها الوزير نصر بن هارون، واصطفى بن يعقوب صاحب بيت المال، والكاتب أبو العلاء صاعد بن ثابت، فكلهم وصلوا إلى مراكز سيادية في دول وممالك العراق المتعاقبة.

---

[١]– متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٧٨.

[*]– الملك عضد الدولة بن بويه، كان له ملك العراق وكرمان وعمان وخوزستان والموصل وديار بكر وحران ومنيج. وكانت مدة ملكه ببغداد خمس سنين، وهو أول من تسمى بملك في الإسلام. أمالي ابن سمعون، تحقيق: عامر حسن صبري، ط١، ج٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م. ص٩٠.

[٢]– الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين: (المتوفى: ٤٢١هـ – ١٠٣٠م)، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م. ج٧، ص١٨٢.

[٣]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٨٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٥.

[٤]– الصولي، أبو بكر محمد بن يحي: (المتوفى : ٣٣٥هـ – ٩٤٦م)، أخبار الراضي بالله والمتقي لله تاريخ الدولة العباسية من كتاب الأوراق، تحقيق: ج هيورث دن، مطبعة الصاوي، مصر، ١٩٣٥م. ج١، ص٢٦.

[*٢]– عز الدولة أبو منصور بختيار بن الملك معز الدولة احمد بن بوية بن فنا خسرو الديلمي تملك العراق وقتل في سنة (٣٦٧هـ – ٩٧٧م)، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٣١.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٢.

[٦]– ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: (المتوفى: ٤٥٦هـ – ١٠٦٣م)،كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت / لبنان، ١٩٨٧ م. ج٢، ص١١٢.

لم يكن الأمر مختلفاً في القاهرة، حيث كان الوجود النصراني في قصور العبيديين أكبر وأكثر تأثيراً منه في قصور الخلفاء العباسيين في بغداد، فقد استطاعوا في فترة حكم العزيز بالله الفاطمي الوصول إلى أعلى منصب في الدولة ألا وهو منصب الوزارة، حيث قلد العزيز بالله هذا المنصب إلى النصراني عيسى بن نسطورس، فقد كان عيسى هذا من أقباط مصر، كما كان فيه جلادة وكفاية فضبط الأمور وجمع الأموال ووفر كثيراً من الخراج ومال إلى النصارى فقلدهم الأعمال والدواوين وأبعد عنها المسلمين، حتى شكا الناس ظلمه للملك العزيز فعزله[١]، ثم أعاده مرةً أخرى إلى كرسي الوزارة[٢].

لم يكن العزيز وحده من بين الخلفاء العبيديين من استعان بالنصارى في المناصب الحكومية فحسب، بل استعان بهم من بعده ابنه الحاكم بأمر الله الفاطمي، حيث استعمل عيسى ابن نسطورس مرة أخرى في الوزارة، فكانت مدة وزارته سنة وعشرة أشهر[٣]، كما تولى الوزارة من النصارى في عهد الحاكم بأمر الله كلٌ من منصور بن عبدون الملقب بالكافي وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافي[٤]، كما استعمل الحاكم العديد من النصارى في دواوين دولته[٥]، كما كانت ست الملك[*] أخت الحاكم بأمر الله، تستعمل رجلاً نصرانياً وكان مقرباً منها[٦]، حيث كان أهل الذمة فيما يبدو موضع حب وتقدير ست الملك. لقد أظهر الحكام العبيديون الأولون لأهل الذمة تسامحاً نعجب له[٧].

---

[١]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٠٤. ابن تغرري بردي، يوسف الأتابكي: (المتوفى: ٨٧٤هـ – ١٤٦٩م)، مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م. ج١، ص٢٧٢.

[٢]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٢٠.

[٣]– المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٣.

[٤]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٦٢.

[٥]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٣.

[*]– ست الملك ابنة العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله ، دبرت أمور الدولة بعد فقد أخيها الحاكم بأمر الله خمس سنين وثمانية أشهر، أعادت فيها للملك هيبته، واستردت بهجته، وملأت الخزائن بأصناف الأموال، وقلدت الأكفاء جلائل الأعمال، واصطنعت الرجال. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٧٤.

[٦]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٤٠.

[٧]– متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص١١٢.

رغم ما أظهرته الدولة العبيدية من تشدد لمذهبها الشيعي الإسماعيلي في مواجهة المذاهب السنية الأخرى وما مارسته تجاهها من ملاحقة وتضييق كما اسلفنا إلا أنها في بعض فترات حكمها تبدي تسامحاً مع المسيحيين وتقدمهم وتؤمرهم على رقاب المسلمين.

أما في الشام فقد وَلّىَ شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش[*] وزارته أبا منصور عيسى بن بطرس النصراني، سنة (٤٦٩هـ – ١٠٧٦م)[١].

يبدو أن الحكام المسلمين قد استمرأوا استعمال النصارى في الأعمال الحكومية حتى أوصلوهم إلى أعلى مراتب هذه الوظائف والأعمال، فملكوا القرار وتحكموا بالمسلمين وجندوا أبناء ملتهم حولهم، كما استغلوا هذه المناصب لخدمة دينهم ومصالح أبناء جلدتهم ومن النصارى، ومن الملاحظ أن معظم أولئك الوزراء والكتاب النصارى في القرنين الرابع والخامس الهجري كانوا يتقلدون تلك المكانة في الدول والممالك الشيعية سواءً الدولة العبيدية أم الدولة البويهية.

**اليهود[*٢]:**

هم أصناف وطوائف وفرق فمنهم:

**العانانية:** فأما عانان فإنه يقول بالتوحيد والعدل ونفى التشبيه وقولهم أنهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام ويتبرأون من قول الأحبار ويكذبونهم[٢].

---

[*]– هو شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي وكان ملكه يمتد من السندية بالعراق على نهر عيسى إلى منبج و ما بينهما من البلاد الفراتية كهيت والأنبار وغيرها وملك الموصل وديار بكر والجزيرة بأسرها وملك مدينة حلب وكان عادلا حسن السيرة عظيم السياسة. أبي شامة: الروضتين، ج١، ص٩٤.

[١]– ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٠٣.

[*٢]– اليهود هم بنو إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وكان لإسرائيل اثنا عشر ابنا وهم الأسباط، وجميع بني إسرائيل هم أولاد الأسباط، وأمة اليهود أعم منهم، لأن كثيرا من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا، ولم يكونوا من بني إسرائيل، وهم الأصل في هذه الملة، وغيرهم دخيل فيها، وأما اسم اليهود فيقال هاد الرجل أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى أنا هدنا إليك، أي رجعنا، وقال البيروتي في الآثار الباقية، ليس ذلك بشيء وإنما سمي هؤلاء باليهود نسبة إلى يهوذا، أحد الأسباط، وافترقت اليهود فرقا كثيرة. خان، الملك محمد صديق حسن: (المتوفى: ١٣٠٨هـ – ١٨٩٠م)، لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. ج١، ص١١١، ١١٢.

[٢]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٤، ٣٥، ٣٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٥٦؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٧٥؛ ابن حزم: الفصل في الملل، ج١، ص٨٢.

**الأشمعيثية:** وأشمعث يقول بخلاف عانان، وجمهور اليهود على هذين الرجلين عانان وأشمعث[١].

**الجالوتية:** وزاد جالوت في التشبيه على أشمعث حتى يزعم أن معبوده شيخ كبير واحتج بذلك أنه وجد في سفر دانيال نصاً يقول " رأيت قديم الآباء قاعداً على كرسيٍ أبيض الرأس واللحية حوله الأملاك " فهم يسمون الجالوتية[٢].

**الفيومية:** فصاحبهم أبو سعيد الفيومي، يفسرون التوراة على الحروف المقطعة كما يفعله الباطنة في الإسلام[٣].

**الشرستانية:** فإنهم أصحاب شرستان زعم أنه ذهب من التوراة ثمانون بسوقة ومعنى بسوقة آية ويدعى أن للتوراة تأويلاً باطناً مخالفاً لظاهرها[٤].

**السامرية:** فإنهم ينكرون كثيراً من شرائعهم، ولا يقرون بنبوة من كان بعد يوشع بن نون، مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى وغيرهم، يزعمون أن هؤلاء الأنبياء ليس لهم في التورية اسم[٥].

**العكبرية:** هم أصحاب أبي موسى البغدادي العكبري، يخالفون باقي طوائف اليهود في أشياء من السبت وتفسير التوراة[٦].

**الصدوقية:** فإنهم يزعمون أن عزير ابن الله، على جهة التكرمة والرحمة، كما يقال إبراهيم خليل الله، وكثير من اليهود ينكرون هذا القول[٧]. ويسمون أيضاً بالأصفهانية[٨].

---

[١]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٤؛ ابن حزم: الفصل في الملل، ج١، ص٨٢؛ ابن عمر، محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله الرازي: (المتوفى: ٦٠٦هـ – ١٢٠٩م)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ. ج١، ص٨٣.

[٢]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٤؛ الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني: (المتوفى: ٥٧٣هـ – ١١٧٧م)، الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م.. ج١، ص٣٩.

[٣]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٤.

[٤]– المصدر السابق: ج٤، ص٣٥.

[٥]– الباقلاني، محمد بن الطيب: (المتوفى: ٤٠٣هـ – ١٠١٢م)، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. ج١، ص١٨٨؛ ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٤. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الطاهري أبو محمد: (المتوفى: ٥٤٨هـ – ١١٥٣م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة. ج١، ص٨٢؛ الحميري: الحور العين، ج١، ص٣٩.

[٦]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٤.

[٧]– المصدر السابق: ج٤، ص٣٥؛ ابن حزم: الفصل في الملل، ج١، ص٨٢.

[٨]– الحميري: الحور العين، ج١، ص٣٩.

**العراقية:** والعراقية مخالفون الأصبهانية في أوقات أعيادهم ومدد أيامهم ويأخذون رؤوس الشهور بالأهلة والآخرون يأخذون بالعدد والحساب[١].

**العيسوية:** هم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني رجل من اليهود كان بأصبهان، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون أن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بني اسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد أنبياء بني اسرائيل ويقولون إن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني اسماعيل عليهم السلام والى سائر العرب[٢].

**المغاربة:** يرون بجواز السفر في السبت وطبخ القدور فيه[٣].

**المالكية:** فإنهم يقولون بأن الله عز وجل لا يحيى يوم القيامة من الموتى إلا من قد احتج عليه الرسل والكتب ومالك هذا تلميذ عانان[٤].

**الربانية:** فإنهم يزعمون أن الحائض لو مست ثوبا من الثياب المنضودة وجب الغسل على جميع الأثواب[٥].

عجزت اليهودية لمعارضتها للفطرة أن تجد قبولاً لها عند أحد من الأمم التي اتصلت بها، وقد حاولت أن تثبت دعوتها في أوروبا وآسيا وحتى في إفريقيا، ولكنها وجدت رفضاً كاملاً لما حوته مفاهيمها من أنانية واستعلاء بالجنس، وإنكار الحياة الآخرة، وتَفَضُّلِ بني إسرائيل على جميع الخلق، وأن بينهم وبين الله عقداً مبرماً، أن الله خلق لهم هذا الكون وحدهم، أما بقية الشعوب فهم لهم عبيد، يضاف إلى ذلك اتجاههم الخطير إلى الربا، وإسرافهم في السيطرة على الشعوب بالمال، ومن هنا عجزت اليهودية أن تعطي البشرية شيئاً يدفعها في طريق الحق والإيمان، مع كل هذه الأفكار والمفاهيم العنصرية لم تستطع اليهودية أن تستقر في مكان أو تقيم حضارة[٦].

لهذه الأسباب لم تنتشر الديانة اليهودية وتتوسع، كما توسعت الديانة الإسلامية والمسيحية لما فيهما من تسامح ومرونة، وهذه الخصال أي التسامح والمرونة مكنتهما من التمدد والانتشار الواسع في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً، على عكس الديانة اليهودية المحرفة، والتي أصبحت منفرة

---

[١]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٥.

[٢]– ابن حزم: الفصل في الملل، ج١، ص٨٢.

[٣]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٥.

[٤]– المصدر السابق: ج٤، ص٣٥.

[٥]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٣٥.

[٦]– الجندي، أنور: موسوعة الاسلام والعالم المعاصر، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م. ص٣٣، ٣٤.

لكل من يطلع عليها ويعرف شرائعها، بالإضافة إلى الأطباع السلبية والسلوك غير السوي لحملة هذا الدين من اليهود، فقد كانوا محتكرين ومرابين ومنفرين بتعاملاتهم، مما كان يشكل عامل نفور لكل من يرغب في الدخول في هذه الديانة.

توزع اليهود في البلاد فلم يكن لهم كياناً مستقلاً للأسباب سالفة الذكر، فكانت دولة الإسلام هي من أفضل الأماكن التي عاشوا فيها، لما قدمه الإسلام وأهله من تسامح مع أهل الذمة من اليهود والنصار، وهذا التسامح لم يسمع بمثله في العصور السابقة ولا اللاحقة[١].

ويقدر الرحالة بنيامين[*] ، تعداد اليهود في بلاد المشرق الإسلامي على النحو التالي:

**تعداد اليهود في سواحل سوريا ولبنان ومدن فلسطين[٢].**

| اسم المدينة | عدد اليهود | اسم المدينة | عدد اليهود | اسم المدينة | عدد اليهود |
|---|---|---|---|---|---|
| أنطاكية | ١٠ | اللد | ١ | الرملة | ٣٠٠ |
| اللاذقية | ٢٠٠ | نابلس | ١٠٠٠ | يافا | ١ |
| جبيل | ١٥٠ | القدس | ٢٠٠ | عسقلان | ٢٠٠ |
| بيروت | ٥٠ | بيت لحم | ١١ | ريدين | ١ |
| صيدا | ٢٠ | بيت جبريل | ٣ | طبرية | ١٠٠ |
| صور | ٤٠٠ | قلعة الحصن | ٣٠٠ | جوش | ٢٠ |
| عكا | ٢٠٠ | قيسارية | ٢٠٠ | بيت النبي | ٢ |
| **إجمالي تعداد اليهود في سواحل سوريا ولبنان ومدن فلسطين ٣٣٦٩** | | | | | |

---

[١]- بنيامين: رحلة، ص٢٩٤، ٢٩٩؛ متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣٨٤.

[*]- بنيامين التطيلي رحالة يهودي من بلاد الأندلس بدأ رحلته في سنة (٥٦١هـ - ١١٦٥م)، وتوفى سنة (٥٦٩هـ - ١١٧٣م). بنيامين: رحلة، ص٧، ١٠.

[٢]- بنيامين: رحلة، ص٤٨، ٤٩.

يبدو أن اليهود لم يرغبوا كثيراً في العيش تحت حكم الغزاة الصليبيين، حيث أن تعدادهم قليل جداً في المدن التي يسيطر عليها الصليبيين، فقد عانى اليهود في بداية الغزو الصليبي حيث نالهم شيء من الاضطهاد كما نال المسلمين[١].

**تعداد اليهود في بلاد المشرق الإسلامي[٢].**

| اسم المدينة | عدد اليهود | اسم المدينة | عدد اليهود | اسم المدينة | عدد اليهود |
|---|---|---|---|---|---|
| دمشق | ٣٦٠٠ | الرحبة | ١٠٠٠ | نهر سمرة | ١٥٠٠ |
| جلعاد | ٦٠ | قرقيسياء | ٥٠٠ | خوزستان | ٧٠٠٠ |
| تدمر | ٢٠٠٠ | الأنبار | ١٠٠٠ | روديار | ٢٠،٠٠٠ |
| القريتين | ١ | حربي | ١٥،٠٠٠ | مواطن الحشاشين | ٤٠٠٠ |
| حمص | ٢٠ | عكبري | ١٠،٠٠٠ | العمادية | ٢٥،٠٠٠ |
| حلب | ١٥٠٠ | بغداد | ٤٠،٠٠٠ | همدان | ٥٠،٠٠٠ |
| بالس | ١٠ | جاهيجان | ٥٠٠٠ | طبرستان | ٤٠٠٠ |
| قلعة جعبر | ١٠٠٠ | الحلة | ١٠،٠٠٠ | أصبهان | ١٥،٠٠٠ |
| الرقة | ٧٠٠ | نفاحة | ٢٠٠ | شيراز | ١٠،٠٠٠ |
| حران | ٢٠ | القوسنات | ٣٠٠ | خيوة | ٨٠٠٠ |
| رأس العين | ٢٠٠ | الكوفة | ٧٠٠٠ | سمرقند | ٥٠،٠٠٠ |
| نصيبين | ١٠٠٠ | مدن وصحاري شبه الجزيرة العربية | ٤٥٣،٠٠٠ | نيسابور | ٥٠٠٠ |
| جزر ابن عمر | ٤٠٠٠ | واسط | ١٠،٠٠٠ | جزيرة قيس | ٥٠٠ |
| الموصل | ٧٠٠ | البصرة | ١٠،٠٠٠ | القطيف | ٥٠٠٠ |
| **إجمالي عدد اليهود في بلاد المشرق الإسلامي ٧٨٢،٨١١** | | | | | |

[١]- ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٨١.

[٢]- بنيامين: رحلة، ص٥٨ – ٦١، ٢٢٩ – ٣١٩.

لو قارنا تعداد اليهود الموجدين في المدن والبلدات الإسلامية التي تخضع للحكم الإسلامي مع تعداد اليهود الموجدين في المدن والبلدات التي يسيطر عليها الصليبيين لوجدنا الفارق كبير لصالح المدن الإسلامية التي تخضع للحكم الإسلامي، كما لا ننسى المكانة الدينية للمدن الفلسطينية عند اليهود وعلى رأسها مدينة القدس، ومع ذلك لم يكن بها سوى ٢٠٠ يهودي، وهذا دليل على سوء المعاملة التي كان يلقاها اليهود من الغزاة الصليبيين في تلك المدن والبلدات المحتلة، مقارنة بحسن المعامل التي تمتعوا بها في ظل الحكومات الإسلامية، في بلاد المشرق الإسلامي.

لقد ذكر الرحالة بنيامين حسن المعامل التي كان اليهود يتلقونها من الخليفة العباسي، والتي حباهم بها، فكتب يقول " كانوا يعيشون في أمان وعز ورفاهية في ظل أمير المؤمنين "[١]، وهذا أكبر دليل على حسن المعاملة التي كان اليهود يتلقونها في البلاد الإسلامية، حيث أن هذه الشهادة جاءت من يهودي عايش تلك الحقبة.

**تعداد اليهود في المدن المصرية[٢].**

| اسم المدينة | عدد اليهود | اسم المدينة | عدد اليهود | اسم المدينة | عدد اليهود |
|---|---|---|---|---|---|
| حلوان | ٣٠٠ | بنها | ٦٠ | الإسكندرية | ٣٠٠٠ |
| القاهرة | ٢٠٠٠ | سمناط | ٢٠٠ | دمياط | ٢٠٠ |
| بلبيس | ٣٠٠٠ | الدميرة (قرب ضمياط) | ٧٠٠ | قوص | ٣٠،٠٠٠ علق المترجم بما يفيد أن هذا خطأ من الناسخ وأن الرقم الأصح هو ٣٠٠ |
| أبو تيج | ٢٠٠ | المحلة | ٥٠٠ | | |
| **إجمالي تعداد اليهود في المدن المصرية على أساس أن تعداد اليهود في قوص ٣٠٠ فيكون الإجمالي هو ١٠،٤٦٠** | | | | | |

[١]– بنيامين: رحلة، ص٢٩٤، ٢٩٩.

[٢]– بنيامين: رحلة، ص٧٠.

لو نظرنا إلى تعداد اليهود في كبرى المدن المصرية لوجدنا أن تعدادهم يقع في منزلة وسط بين الأعداد الكبيرة لهم في بلاد العراق وفارس وبين الأعداد المتدنية لهم في البلاد الإسلامية التي كان يسيطر عليها الغزاة الصليبيين، وهذا يدلل على أن اليهود لم يكونوا يتمتعوا بامتيازات خاصة بهم أو رعاية كبيرة من الطبقة الحاكمة، وفي نفس الوقت لم يكونوا مضطهدين كما كان الحال معهم في بدايات الغزو الصليبي للشام، وبهذا تكون مصر قد مثلت حالة وسط بين الحالتين.

لقد اشتغل اليهود في التجار[١]، فقد كان اليهود أصحاب رؤوس أموال ومرابين، فكان معظم الصيارفة في الشام هم من اليهود، في حين كان معظم الأطباء كانوا من النصارى كما أسلفنا.

واشتغل اليهود ببعض الأعمال الأخرى مثل الخياطة والصباغة كان منهم أيضاً الخرازون والأساكفة كما عملوا في الزراعة والرعي، وقد وجد الرحالة بنيامين أن اليهود يحتكرون صناعة الصباغة في مدينة القدس، كما وجد الاثنا عشر يهودياً الموجودين في بيت لحم صباغين[٢]، وكان لليهود بعض الأطباء الذين ذاعت شهرتهم، فكان من أشهرهم، صقر اليهودي، طبيب الحاكم بأمر الله الفاطمي[٣].

أما عن دورهم في الحياة السياسية، فقد استطاع اليهود أن يصلوا إلى بعض المناصب المهمة في الدولة العبيدية، فكان وزير المعز لدين الله يعقوب بن يوسف بن كلس أصله من اليهود وأسلم، وكان يدبر الأحوال الإخشيدية بمصر وتم عزله سنة (٣٥٧هـ – ٩٦٧م)، وصودرت أمواله، فاستتر بمصر، ثم فر إلى المغرب، ولقي المعز لدين الله وجاء في ركابه إلى مصر فاستوزره وعظم مقامه عنده واستوزره بعده ابنه العزيز إلى ان توفي سنة (٣٨٠هـ – ٩٩٠م) وصلى عليه العزيز وحضر دفنه وقضى عنه دينه[٤].

وكان الوزير ابن كلس يهودياً من أهل بغداد، خبيثاً ذا مكر وحيلة ودهاء وذكاء وفطنة، وكان في قديم أمره خرج إلى الشام فنزل بالرملة فجلس وكيلاً للتجار، فلما اجتمعت الأموال التي للتجار سرقها وهرب إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي صاحب مصر، فحمل إلى مصر متاعاً كثيراً وكان ماهراً في أمور التجارة والبيع والشراء وما سُئل عن شيء إلا كان عالماً به، فكبرت حاله

---

[١]– عطية، عزيز سوريال: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فليب صابر سيف، مراجعة: أحمد خاكي، ط٢، دار الثقافة، القاهرة. ص١٨٥.

[٢]– بنيامين: رحلة، ص٢٢٩ – ٣١٩؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج١، ص٨٧.

[٣]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٨٣.

[٤]– ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٧٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٢.

وخبر كافور بخبره وما فيه من الفطنة والسياسة فقال لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً، فبلغه ما قال كافور، فطمع في الوزارة فدخل جامع مصر في يوم الجمعة وقال أنا أسلم على يد كافور، فبلغ الوزير ابن حنزابة وزير كافور ما هو عليه وما طمع فيه فقصده وخاف منه فهرب إلى المغرب، وجاء في ركاب المعز لدين الله حين دخل مصر، فحاز الوزارة[١].

وممن ولي الوزارة من اليهود، رجلٌ يقال له منشا، ولي وزارة الشام، ولاه عليها الوزير النصراني عيسى بن نسطورس، وزير العزيز بالله الفاطمي[٢]، وحين ولي اليهودي منشا بن إبراهيم بن الفرار وزارة الشام قدم اليهود على المسلمين، حتى استولى أهل ملته على شؤون الشام، فكتب رجل من أجلاد المسلمين رقعةً وسلمها إلى امرأة وبذل لها بذلاً على اعتراض العزيز ورفع الظلامة إليه وتسليمها إلى يده، وكان مضمون الرقعة يا أمير المؤمنين يا الذي عز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري، فأمر العزيز في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتاب النصارى، وأرسل الكتب إلى الشام بالقبض على منشا بن الفرار والمتصرفين من اليهود، وأن ترد الأعمال في الدواوين إلى الكتاب المسلمين، ولكن العزيز عفا عن عيسى بن نسطورس وأعاده إلى كرسي الوزارة ولم يعفُ عن منشا[٣].

يبدو أنه لا يوجد قبول لليهود عند المسلمين كما للنصارى من قبول، وذلك مصداقاً لقول الله عز وجل في كتابه العزيز حين قال " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[٤]" لم يكن لليهود حضورٌ كبيرٌ في دوائر صنع القرار، ولا في تاريخ الدول والممالك الإسلامية مقارنة بالنصارى وذلك يعود إلى حالة النفور منهم ومن تصرفاتهم وأخلاقهم العنصرية البغيضة وهذا جعلهم دائماً في عزلة اجتماعية وسياسية وهذه العزلة السياسية متمثلة في إقصائهم الدائم عن المشاركة في الوظائف المهمة في الدول والممالك الإسلامية إلا في حالات قليلة، وفي الوقت نفسه لم يكونوا في عزلة اقتصادية فكانوا على الدوام أصحاب رؤوس أموال بل كانوا مصاصي دماء للمحتاجين والفقراء عن طريق الربى الذي عُرفوا به، وذلك مصداقاً لقول الله عز وجل في كتابه العزيز حين قال " وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا[٥]"، والربا من أكبر الأسباب الذي يجعل أي مجتمع يقيمون فيه حانقاً عليهم.

---

[١]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٢٠.

[٢]– ابن تغرري بردي: مرد اللطافة، ج١، ص٢٧٢.

[٣]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٢٠.

[٤]– قرآن كريم، المائدة، أية٨٢.

[٥]– قرآن كريم، الإسراء، أية٦.

## المبحث الثالث: الصراع بين المذاهب والأديان

### الخلافات والتعصب(*) بين المذاهب السنية:

تعود بدايات التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والفكرية الأصولية والفقهية التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى[١]، مما أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار وأصول كانت تحملها، ثم تعصبت لها وسعت جاهدة إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع، فدخلت في نزاع مذهبي شديد فيما بينها، على مستوى المشاعر والأفكار والأقوال والأفعال[٢].

إن الناس زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا متمذهبين، فكان العلماء يجتهدون لاستنباط الأحكام الشرعية، وغير المجتهدين منهم يسألونهم فيما لا يعرفونه، وكان العوام يقلدونهم بلا تمذهب ولا التزام بشخص معين منهم لذا لم يعرف المسلمون التعصب الفقهي المذموم زمن هؤلاء طيلة نحو ثلاثة قرون، ثم تغير الحال في القرن الرابع الهجري وما بعده، حيث انتشر التمذهب الفقهي بين الناس، وصاحبه التعصب المذهبي بينهم بشكل واسع[٣].

وكذلك لا يتصور أن إماماً من الأئمة الأعلام مهما بلغ من العلم والحفظ والضبط والإتقان والفضل والوجاهة يستقل بالحكم على الشيء ويستبد برأيه ويفرضه على الآخرين فرضاً، كانوا أبعد من أن يتصفوا بهذه الصفة المذمومة، من الاستبداد بالرأي وفرضه على الآخرين، بل كانوا يدورون حيث دار الحق بكل أمانة وإخلاص، فالحق ليس محصورا في رأي أحد قطعاً إلا النبي المعصوم، وهكذا كان الفقه الإسلامي في القرون المشهود لها بالخير في ازدهار مستمر ونمو متواصل وتقدم

---

(*)– التعصب: من العصبية، والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وفي الحديث العصبي من يعين قومه على الظلم العصبي هو الذي يغضب لعصبته، ويحامي عنهم، والعصبة، الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم أي يحيطون به، ويشتد بهم، وفي الحديث، ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية، العصبية والتعصب، المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه نصرناه، وعصبة الرجل، قومه الذين يتعصبون له. ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٠٧.

(١)– ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس: (المتوفى: ٧٢٨هـ – ١٣٢٧م)، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: إبراهيم سعيداي، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥م. ج١، ص١٦٣، ١٦٤؛ علال، خالد كبير: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي، دار المحتسب، الجزائر، ٢٠٠٨م. ص٧، ٨.

(٢)– الصنعاني، محمد بن إسماعيل: (المتوفى: ١١٨٢هـ – ١١٨٢م)، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، ط١، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٥هـ. ج١، ص١٦؛ علال: التعصب المذهبي، ص٧، ٨.

(٣)– الصنعاني: إرشاد النقاد، ج١، ١٦، ٢٥؛ علال: التعصب المذهبي، ص٨، ٩.

دائم، وكانت اجتهادات الأئمة بين الأخذ والعطاء والرد والقبول حتى في أوساط أصحابهم، إلى أن فشا التقليد في نصف القرن الرابع الهجري، وبدأ التعصب المذهبي يبيض ويفرخ ويصور الحكيم ولي الله، هذا ما حدث للناس بعد المائة الرابعة للهجرة ولم يأت قرن بعد ذلك إلا وهو أكثر فتنة وأوفر تقليدا وأشد انتزاعا للأمانة من صدور الرجال[١].

مظاهر التعصب المذهبي: ومن هذه المظاهر ما يلي:

١- **تعصب أصحاب المذاهب لمذهبهم:** قال الحصفكي وهو من أشهر المؤلفين الأحناف في الفقه الحنفي، " إذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا قلنا وجوباً مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب، وإذا سئلنا عن معتقدنا ومعتقد خصومنا قلنا وجوبا الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا "[٢]، ونسب إلى أبي الحسن الكرخي الحنفي[*] أنه قال " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، والحديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ "[٣]، وقال إمام الحرمين الجويني الشافعي " نحن ندعي أنّه يجب على كافة العاقلين وعامة المسلمين شرقاً وغرباً بعداً وقرباً انتحال مذهب الشافعي، ويجب على العوام الطغام والجهال الأنذال أيضاً انتحال مذهبه بحيث لا يبغون عنه حولاً ولا يريدون به بدلاً "، وهكذا كل واحد يعظم إمامه، ويرجح مذهبه ويدعو إلى التقيد به ويسفه مذاهب الآخرين ويبالغ في حط أقدارهم، ويرفع إمامه إلى منزلة لم يبلغ بها أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[٤].

---

[١]- الصنعاني: إرشاد النقاد، ج١، ص١٤.

[٢]- المصدر السابق: ج١، ص١٧.

[*]- هو الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم الكرخي، من كرخ جدان، انتهت اليه رئاسة الحنفية بعد القاضي أبي حازم القاضي أبي سعيد البردعي، اخذ الفقه عن أبي سعيد البردعي عن اسماعيل بن حماد عن حماد ابن أبي حنيفة، وكان رحمه الله واسع العلم والرواية كثير الصوم والصلاة، وممن تفقه عليه أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص، وأبو عبد الله الدامغاني، وابو علي الشاشي، وابو حامد الطبري، وابو القاسم التنوخي، وأبو عبد الله الجرجاني، وابو زكريا الضرير البصري، وابو عبد الله المعتزلي، وكان من طبقة عالية بين أصحاب أبي حنيفة معدودا من المجتهدين القادرين على حل المسائل، مات سنة (٣٤٠هـ – ٩٥١م). البزدوي، علي بن محمد الحنفي: (المتوفى: ٣٨٢هـ – ٩٩٢م)، (أصول البزدوي) كنز الوصول الى معرفة الأصول، مطبعة جاويد بريس، كراتشي. ج١، ص٣٦٦.

[٣]- البزدوي، أصول البزدوي، ج١، ص٣٧٣؛ البركتي: قواعد الفقه، ج١، ص١٨؛ الصنعاني: إرشاد النقاد، ج١، ص١٧.

[٤]- الصنعاني: إرشاد النقاد، ج١، ص١٧، ١٨.

٢- **سب أصحاب المذاهب بعضهم البعض:** في سنة (٣٧١هـ - ٩٨١م) قبض عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي وألزمه منزله وعزله عن أعماله التي كان يتولاها وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه[١].

٣- **اقتداء أصحاب المذهب بعضهم ببعض في الصلاة:** حيث وصل الخلاف المذهبي بين المقلدين إلى أن كثيرا من فقهاء الأحناف قد أفتوا ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي[٢].

٤- **تقسيم القضاء والإفتاء على علماء المذاهب المختلفة:** من أسوأ آثار التقليد على الأمة ما وقع من تقسيم القضاء والإفتاء والتدريس على علماء المذاهب، وتخصيص قاض لكل مذهب من المذاهب، فكان ذلك في مصر سنة (٥٢٥هـ - ١١٣٠م)[٣]، كما تكرر هذا الأمر في عهد الظاهر بيبرس فقد عين أربعة قضاء في القاهرة ودمشق سنة (٦٦٣هـ - ١٢٦٤م)[٤].

٥- **تحريم الزواج من بعض أصحاب المذاهب:** لقد وصل الخلاف إلى أنْ منع بعض الفقهاء الأحناف تزوج الحنفي من المرأة الشافعية، ثم صدرت فتوى من فقيه آخر ملقب بمفتي الثقلين، فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية وعلل ذلك بقوله تنزيلا لها منزلة أهل الكتاب[٥].

٦- **تكفير أصحاب المذاهب بعضهم لبعض:** قال الشيخ ابن عبد السلام[*] أن الأشعري[*٢] رجع عند موته عن تكفير أهل القبلة[٦]، وهذا دليل أن ظاهرة التكفير كانت موجودة عند كبار علماء

---

[١]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ٤٠٠؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣١.

[٢]- الصنعاني: إرشاد النقاد، ج١، ص١٨.

[٣]- النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٩٢. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٢٤.

[٤]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٦. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦، ٢٢٧.

[٥]- الصنعاني: إرشاد النقاد، ج١، ص٢٠.

[*]- الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الإمام في مذهب الشافعي، وله مصنفات جليلة في المذهب، وكانت وفاته بمصر سنة (٦٦٠هـ - ١٢٦١م). أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٤٥٩.

[*٢]- علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق ابن سالم الإمام أبو الحسن الأشعري البصري المولد البغدادي المنشأ والدار ولد سنة (٢٦٠هـ - ٨٧٣م) وتوفي سنة ٣٢٤هـ - ٩٣٥م صاحب كتب ومصنفات. باشا: هدية العارفين، ج٥، ص٦٧٦.

[٦]- السلمي، أبي محمد عز الدين: (المتوفى: ٦٦٠هـ - ١٢٦١م)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية، بيروت. ج١، ص١٧٢؛ الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله: (المتوفى: ٧٩٤هـ - ١٣٩١م)، المنثور في القواعد، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، ط٢، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ. ج٣، ص٩٠؛ ابن أمير، الحاج: (المتوفى: ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م)، التقرير والتحرير في علم الأصول، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. ج٣، ص٤٢٤؛ أمير بادشاه، محمد أمين: (المتوفى: ٩٧٢هـ - ١٥٦٤م)، تيسير التحرير، دار الفكر، بيروت. ج٤، ص٢١٩؛ الشربيني، محمد الخطيب: (المتوفى: ٩٧٧هـ - ١٥٦٩م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت. ج٤، ص١٣٥؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: (المتوفى: ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م)، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. ج١، ص٤٣٥.

المذاهب، وكان الغمام الصعلوكي لا يكفر، فقيل له ألا تكفر من يكفرك فعاد إلى القول بالكفر، وهذا مذهب المعتزلة فهم يكفرون خصومهم ويكفر كل فريق منهم الأخر[١].

لم يقف التعصب الأعمى عند حد السب والشتم وتقسيم القضاء وتحريم الزواج من بعضهم بل تعداه إلى ما هو أخطر من ذلك ألا وهو التكفير، والذي أصبح نتاجاً لعملية متدحرجة للتعصب المقيت تماماً ككرة الثلج كلما تدحرجت كبرت واصبحت أكثر فتكاً.

٧- **الدخول في مواجهات دامية بين أصحاب المذاهب:** في سنة (٤٧٠هـ - ١٠٧٧م) خرج من المدرسة النظامية في بغداد متفقه يعرف بالاسكندراني، ومعه بعض من يؤثر الفتنة إلى سوق الثلاثاء، فتكلم بتكفير الحنابلة فرمي بآجرّه، فدخل إلى سوق المدرسة النظامية واستغاث بأهلها، فخرجوا معه إلى سوق الثلاثاء، ونهبوا بعض ما كان فيه، ثم تغلب أهل سوق الثلاثاء بالعوام عليهم، ودخلوا سوق المدرسة النظامية، فنهبوا جزءاً من السوق، وقتلوا مريضاً وجدوه في غرفة، فأرسل العميد أبو نصر شرطته فدفعوا العوام، وقتلت الشرطة بضعة عشر رجلاً، فسكنت الفتنة[٢].

كلما ازداد التعصب ازدادت ادوات التعبير عنه، حتى بلغ الأمر بأهله أن دخلوا في مواجهات دامية أزهقت الأنفس وأتلفت فيها الممتلكات.

٨- **من مظاهر التعصب للمذهب ترك الدليل من القرآن والسنة إذا خالف قول الائمة:** لقد بلغ الأحناف إلى منتهى التعصب المذهبي، حيث وصل الأمر بالأحناف إلى تقديم أقوال أئمتهم على نصوص الكتاب والسنة، وهذان على الحقيقة، ولا يمكن أن يتجرأ عليه مسلم فضلاً عن فقيه أو مجتهد[٣]، وذلك في قول شيخ الحنفية أبي الحسن الكرخي، حين قال الأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق[٤].

---

[١]- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله: (المتوفى: ٧٩٤هـ - ١٣٩١م)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. ج٤، ص٥٢٦.

[٢]- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص١٩٠، ١٩١.

[٣]- البزدوي: أصول البزدوي، ج١، ص٣٦٧؛ البركتي: قواعد الفقه، ج١، ص١١، ١٨؛ النصر، عصر بن محمد: الفلسفة التاريخية لنشأة المذاهب الفقهية، تقديم علي محمد العمري؛ أحمد بن راشد الرحيلي: موقع زاد الكتاب الالكتروني، ٢٠١٣م. ص٦٣.

[٤]- البزدوي: أصول البزدوي، ج١، ص٣٦٧؛ البركتي: قواعد الفقه، ج١، ص١١، ١٨.

توجت عملية التعصب المقيت حتى بلغ قمة الغلو والتشدد بأن يترك الدليل من القرآن والسنة إذا خالف قول أئمة أصحاب المذاهب، وهذا يضع أئمة هذه المذاهب في مكانة الأئمة المعصومين والرسل المنزلين والمنزهين عن الخطأ، فكان هذا من أقبح اوجه التعصب.

شكل القرن الرابع الهجري بدايات التعصب المذهبي والفقهي بين المذاهب الفقهية المختلفة، بحيث سجلت فيه أول حالات التعصب المذهبي المذموم بين أصحاب المذاهب المختلفة، فكانت النواة الاولى لهذا التعصب قد بذرت في هذا القرن، ثم أفرخت المزيد من حالات التعصب والتشدد طوال القرون اللاحقة وبأشكال أكثر تشدداً وأكثر تعصباً.

## الصراع بين السنة والشيعة:

حيث برزت هنا ظاهرة سب الشيعة للصحابة رضي الله عنهم وكانت هذه الظاهرة منتشرة بينهم كثيراً بسبب التعصب المذهبي الذي أعمى قلوبهم وعقولهم[١]، وبناءً عليه فقد كان لأهل السنة العديد من الوسائل للتصدي للشيعة وعدم السكوت عن قبح أفعالهم ومن هذه الوسائل:

١- **أولها إصدار أحكام شرعية في الشيعة لسبهم الصحابة:** لقد كفَّر الشيعةُ أهلَ السنة وكفَّروا أيضاً الصحابة وشككوا في القرآن والسنة، فادعوا أن القرآن قد غُير من قِبل الصحابة، ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن، ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التي في ايدي المسلمين، وينتظرون إمامهم المهدي[٢].

هذه الأفكار التي في ظاهرها وباطنها تهدم الدين، دفع بأهل السنة إلى إصدار الأحكام بحقهم، حيث قال الإمام مالك أهل الأهواء كلهم كفار وأسوأهم الروافض[٣]، ووافقه الشافعي رضي

---

[١]- الزركشي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المصري الحنبلي: (المتوفى: ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. ج٣، ص٣٩٨؛ العيني: عمدة القاري، ج٥، ص٢٢٤؛ ابن عابدين: رد المختار، ج٧، ص١٦٢.

[٢]- الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر: (المتوفى: ٤٧١هـ - ١٠٧٨م)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. ج١، ص٤١.

[٣]- اليحصبي: ترتيب المدارك، ج١، ص٩١.

الله تعالى عنهما في قوله بكفرهم ووافقه أيضاً جماعه من الأئمة[١]، وقال أبو زرعة الرازي، إذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق[٢].

هذه الأفكار الشاذة لآلية التعاطي مع القرآن والسنة، والتي ابتدعها الشيعة، فضلاً عن القدح في الصحابة والتعبد في سبهم، دفع بعلماء أهل السنة بأن يصدحوا بفتواهم، والتي تكفر من يحمل تلك الأفكار، لعلها تكون رادعاً إلى كل من تسول له نفسه باعتناقها.

٢- **معاقبة من يسب الصحابة أشد العقاب وقتل من يصر على سبهم:** في بغداد سنة (٤٢٣هـ – ١٠٣١م)، قام الوالي أبو محمد ابن النسوي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض، فقتل وصلب على باب دكانه[٣].

كذلك الحال لأداة القتل في حق كل من يهدم الدين ويتغنى بسب الصحابة وأمهات المؤمنين، فقد كان رادعاً لهم، ولعله كان سبباً في الحد من هذه الظاهرة.

٣- **ملاحقة الحكام والولاة للشيعة والتضييق عليهم ومنعهم من اداء طقوسهم وشعائرهم المستفزة لمشاعر أهل السنة:** حيث كان للشيعة طقوسهم الخاصة بهم والتي كانت تستفز مشاعر أهل السنة، ففي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة عملت الروافض البدعة الشنعاء يوم عاشوراء ببغداد، من تعليق المسوح ونثر النتن في الأسواق، وخروج النساء سافرات الوجوه والنهود ينحن على الحسين، وهذه الطقوس كانت تتسبب في وقوع صدامات دامية بين أهل السنة والشيعة[٤]، لذا فقد عمد بعض الحكام والولاة إلى منعها، ففي سنة (٣٨٢هـ – ٩٩٢م) أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي، ويعرف بابن المعلم، بمنع تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء، من تعليق

---

[١]– الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر: (المتوفى: ٩٧٣هـ – ١٥٦٥م)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي– كامل محمد الخراط، ط١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. ج٢، ص٦٠٧.

[٢]– البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب: (المتوفى: ٤٦٣هـ – ١٠٧٠م)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي – إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة. ج١، ص٤٩؛ ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي: (المتوفى: ٨٥٢هـ – ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م. ج١، ص١١؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: (المتوفى: ٩٠٢هـ – ١٤٩٦م)، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان، ١٤٠٣هـ. ج٣، ص١٠٩؛ الزرقاني، محمد عبد العظيم: (المتوفى: ١٣٦٧هـ – ١٩٤٧م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. ج١، ص٢٣٢.

[٣]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص٨.

[٤]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٧٥.

المسوح، وتغليق الأسواق، والنياحة على الحسين[١]، وفي سنة (٣٩٣هـ – ١٠٠٢م) منع عميد الجيوش أهل الكرخ وباب الطاق في عاشوراء من النوح في المشاهد، وتعليق المسوح في الأسواق فامتنعوا[٢].

تستطيع الحكومات من نزع فتيل الفتنة الرابضة بين أهل السنة والشيعة باستخدام مثل هذه القرارات والإجراءات إن كانت الحكومة معنية بذلك، أما إن كانت راعية لمثل هذه الطقوس فكأنها تسكب الزيت على النار.

٤- **عدم السكنة في أحياء الشيعة:** لقد كان حي الكرخ وهو في غرب بغداد مركزا للشيعة الامامية، ولا يوجد فيهم سني البتة، أما بقية المحلات في بغداد فقد كانت سنية بحتة، وفي بداية القرن الرابع الهجري تحول غالب أهل هذه المحلات إلى حنابلة[٣].

هذه علامة من علامات النفور الاجتماعي بين الطرفين، ومقدمة للدخول في مواجهات بين هذه الاحياء.

٥- **التصدي للشيعة بالقوة والدخول معهم في مواجهات و مصادمات دامية:** لقد كان المسرح الأبرز في هذا الصراع في العراق نظراً كونها موطناً للشيعة، حيث إننا بَيّنا التوزيعة السكانية في بغداد، فيما يخص التجاور بين المذهبين المتناقضين السنة والشيعة وهذا التجاور كان مدعاة لعدد من الصراعات والمواجهات كما سيظهر لنا، وفيما يبدو أن الشيعة كانوا محاطين بأحياء سنية، وهم من الحنابلة المتشددين، أي أن الزيت كان بجوار النار، ولا يحتاج سوى قدحة شرارة ليشتعل الصراع فيما بينهم.

تعد الفتن المذهبية التي وقع فيها قتال بين السنة والشيعة من أكثر مظاهر التعصب المذهبي بروزاً وخطورةً ومأساويةً[٤].

---

[١]- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٣٦١؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص٤١٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٣١١.

[٢]- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٣٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص٢٢٧؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٠٦.

[٣]- ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٨؛ آل باطين، محمد بن علي با خيل: سنوات الحنابلة، ١٤٢٥ هـ" المكتبة الشاملة". ص١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

[٤]- علال: التعصب المذهبي، ص٤٤.

وقد أحصيت ما يقارب ٤٣ فتنة وقع فيها قتال بين السنة والشيعة، معظمها وقع في بغداد مسرح هذا النوع من الصراعات كما أسلفنا، ولا يسعنا في هذا المقام الوقوف على كل حادثة بعينها، سنكتفي بذكر السنوات التي وقعت فيها هذه الفتن، مع ذكر مثل لأكثر هذه الأحداث دموية.

حيث إن معظم هذه الحوادث وقعت في سنة: (٣٣٨هـ – ٩٤٩م)، (٣٤٠هـ – ٩٥١م)[١]، (٣٤٣هـ – ٩٥٤م)[٢]، (٣٤٦هـ – ٩٥٧م)، (٣٤٨هـ – ٩٥٩م)، (٣٤٩هـ – ٩٦٠م)، (٣٥١هـ – ٩٦٢م)[٣]، (٣٥٤هـ – ٩)٦٥م[٤]، (٣٦١هـ – ٩٧١م)، (٣٦٣هـ – ٩٧٣م)، (٣٧١هـ – ٩٨١م)[٥]، (٣٩١هـ – ١٠٠٠م)[٦]، (٣٩٨هـ – ١٠٠٧م)[٧]، (٤٠٤هـ – ١٠١٣م)[٨]، (٤٠٦هـ – ١٠١٥م)[٩]، (٤٠٧هـ – ١٠١٦م)، (٤٠٨هـ – ١٠١٧م)، (٤١٧هـ – ١٠٢٦م)[١٠]، (٤٢٠هـ – ١٠٢٩م)[١١]، (٤٢١هـ – ١٠٣٠م)، (٤٢٢هـ – ١٠٣٠م)[١٢]، (٤٢٥هـ – ١٠٣٣م)[١٣]، (٤٢٦هـ – ١٠٣٤م)، (٤٢٧هـ – ١٠٣٥م)،( ٤٢٨هـ – ١٠٣٦م)[١٤]، (٤٣٢هـ – ١٠٤٠م)[١٥]، (٤٣٧هـ – ١٠٤٥م)، (٤٣٩هـ – ١٠٤٧م)، (٤٤٠هـ – ١٠٤٨م)، (٤٤١هـ – ١)٠٤٩م[١٦]، (٤٤٣هـ –

---

[١]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٧٥؛ علال: التعصب المذهبي، ص٤٤.

[٢]– ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٠.

[٣]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص١٠٩، ١١٨، ١٢٦، ١٤٠.

[٤]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٦.

[٥]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٧١، ٢٧٥، ٣٠٩.

[٦]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨.

[٧]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٥٨، ٥٩؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٩؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص٤٩.

[٨]– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٣٤.

[٩]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١١١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨، ص٢٣.

[١٠]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٢٠، ١٢٥، ١٧٥.

[١١]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٦.

[١٢]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٢٠٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥.

[١٣]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٦.

[١٤]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧.

[١٥]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٤٩.

[١٦]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٥،

١٠٥١م)[١]، (٤٤٤هـ – ١٠٥٢م)، (٤٤٥هـ – ١٠٥٣م)[٢]، (٤٤٦هـ – ١٠٥٤م)[٣]، (٤٤٧هـ – ١٠٥٥م)، (٤٧٨هـ – ١٠٨٥م)، (٤٧٩هـ – ١٠٨٦م)، (٤٨٠هـ – ١٠٨٧م)[٤]، (٤٨١هـ – ١٠٨٨م)[٥]، (٤٨٢هـ – ١٠٨٩م)[٦]، (٤٨٣هـ – ١٠٩٠م)[٧]، (٤٨٦هـ – ١٠٩٣م)[٨]، (٤٨٧هـ – ١٠٩٤م)[٩].

وقعت هذه الأحداث في معظمها في بغداد، وتحديداً بين منطقة الكرخ الشيعية والأحياء السنية المحيطة بها، حيث كان يكثر في هذه الأحداث القتل والنهب بين الطرفين، كما كانت هذه الاشتباكات تؤدي إلى حرق الأحياء السنية والشيعية على السواء ومنع الناس من الصلاة في المساجد أحياناً، فكثرت بينهم الأعمال الانتقامية من قتلٍ ونهبٍ وتخريب، وانتشرت بينهم مجموعات القتل والتي كانت تنهب وتقتل من الطرفين، وكان من أكثر الأحداث دموية ما وقع في سنة (٤٢٢هـ – ١٠٣٠م)، حيث كثر القتل بين الفريقين، ومنعت الصلاة، ونهبت مقتنيات أحد المساجد، وأحرق سوق العروس، وسوق الأنماط، وسوق الصفارين، وسوق الدقاقين، ومواضع أخرى، حتى اليهود لم يسلموا من هذه الأحداث الدامية فقد نهبت دورهم، لأن أهل السنة ظنوا أنهم أعانوا أهل الكرخ عليهم، فوقع القتال في أصقاع بغداد، واقتتل أهل نهر طابق، وأهل القلائين، وأهل الكرخ، وأهل باب البصرة وفي الجانب الشرقي لبغداد اقتتل أهل سوق السلاح، وأهل سوق الثلاثاء، وأهل باب الطاق والأساكفة، وأهل سوق يحيى والرهادرة، وأهل الفرضة، وأهل درب سليمان، حتى قطع الجسر ليفرق بين الفريقين[١٠].

---

[١]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٠١، ٣٠٢؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٦٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٢؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج٣، ص٦١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٥٥، ٦٥٦.

[٢]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٣٣٥، ٣٤٠.

[٣]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٦.

[٤]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٣٤٧، ج١٦، ص٧، ٨، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٩٠.

[٥]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٤.

[٦]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص٢٨٢، ٢٨٣؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٦٠، ٤٦١، ٣٠٨.

[٧]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص١٢.

[٨]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٧، ص٥.

[٩]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤٧.

[١٠]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٧٥، ١١٨، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦. ج١٥، ص٢٠٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥.

يتبين لنا أن الصراع بين السنة والشيعة كان محدوداً جداً أول قرنين من حكم العباسيين فلم يحدث إلا فتنة واحدة كانت سنة (١٧٤هـ – ٧٩٠م)[١]، ولم تشر المصادر إلى كثير من التفاصيل بشأن الخسائر في هذه الفتنة مقارنةً بالفتن التي حدثت بين الطائفتين فيما بعد، حيث أن أكثر العهود فتناً بين الطائفتين كانت خلال حكم البويهيين الشيعة ( ٣٣٤ هـ – ٤٤٧ هـ = ٩٤٥م – ١٠٥٥م ) كما أوضحنا سابقاً،

حيث أن من أهم إفرازات هذا الصراع، نشوء طبقة من المنتفعين المستغلين للفوضى التي حلت ببغداد، وستسمى هذه الطبقة بالعيارين والشطار، والتي يجمع المؤرخون القدامى على انتقاصها واعتبارهم مجموعة من اللصوص والرعاع[٢].

كما يجب ألا ننسى الصراع الأكبر بين الدولتين الأهم في العالم الإسلامي الخلافة العباسية في بغداد والدولة العبيدية في القاهرة، حيث إن الدولة العبيدية كانت تنازع الخلافة العباسية زعامتها الدينة على العالم الإسلامي، كما سوف يأَتي لاحقاً[٣].

يتضح مما سبق أن أهل السنة حاولوا جاهدين التصدي لهذا الفكر الشيعي القادح في أصول الشريعة الإسلامية والمشكك بتعاليمها ورموزها، فقد كانوا لا يتوانون عن سب الصحابة وأمهات المؤمنين، مما كان يثير مشاعر وغيرتهم أهل السنة فكانت هذه التصرفات مدعاةً لكل تلك الإجراءات التي انتهجها أهل السنة في مواجهة هذا الفكر الشيعي.

## الصراع بين المسلمين وأهل الذمة في داخل المجتمع الإسلامي:

لقد كان هناك بعض الأحداث، التي برزت في القرنين الرابع والخامس الهجري بين المسلمين وأهل الكتاب من النصارى واليهود، ففي سنة (٣٩٢هـ – ١٠٠١م)، ثارت العوام على النصارى ببغداد فنهبوا كنيستهم التي بقطيعة الدقيق وأحرقوها، فسقطت الكنيسة على جمع من النصارى رجال ونساء وصبيان وفيهم جماعة من المسلمين فماتوا جميعاً[٤].

---

[١]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٧٧؛ الخالدي، خالد يونس: الحرب الأهلية بين السنة والشيعة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو٢٠١٣م. ص٢٠٥.

[٢]– ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي: (المتوفى: ٧٢٣هـ – ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م. ج١، ص٢٢٠؛ آل باطين: سنوات الحنابلة، ص٢٢.

[٣]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص١٥٧، ج٤، ص١٦؛ براور: الاستيطان الصليبي، ص٦٨.

[٤]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٣٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٣٣٠.

في سنة (٤٠٣هـ – ١٠١٢م) توفيت بنت أبي نوح الأهوازي الطبيب في بغداد وهي زوجة أبي نصر بن إسرائيل كاتب المناصح أبي الهيجاء، فأخرجت جنازتها نهاراً ومعها النوائح والطبول والزمور والرهبان والصلبان والشموع، فقام رجل من الهاشميين فأنكر ذلك ورجم الجنازة، فوثب أحد غلمان المناصح بالهاشمي فضربه بدبوس على رأسه فشجه فسال دمه، وهرب النصارى بالجنازة إلى بيعة دار الروم، فتبعهم المسلمون ونهبوا البيعة وأكثر دور النصارى المجاورة لها، وثارت الفتنة بين العامة وغلمان المناصح، وزادت ورفعت المصاحف في الأسواق، وغلقت أبواب المساجد، وقصد الناس دار الخليفة على سبيل الاستنفار، واجتمعت العوام في يوم الجمعة، وقصدوا دار المناصح فدفع المناصح غلمانه، فقتلوا رجلاً ذُكر أنه علوي، فزادت الشناعة وامتنع الناس من صلاة الجمعة، وظفرت العامة بقوم من النصارى فقتلوهم، ولم تهدأ هذه الأحداث إلا حين تدخل الخليفة ففض النزاع بين الطرفين[١].

في سنة (٤٢٢هـ – ١٠٣٠م) ثارت الفتنة بين السنة والشيعة في بغداد فنهبت دور اليهود ودكاكينهم، من قبل أهل السنة، ولوحقوا أينما وجدوا، وذلك لأن أهل السنة ظنوا بأنهم ساعدوا أهل الكرخ الشيعة عليهم كما أسلفنا، وفي سنة (٤٧٨هـ – ١٠٨٥م) سيطر ابن جهير[*] على مدينة آمد[*٢] وقضى على سيطرة بني مروان عليها، اتفق أهل هذه المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم، وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم[٢].

لو نظرنا إلى الأحداث سالفة الذكر لوجدنا أن معظم الاسباب المؤدية لهذا الصراع هو نتاج استفزاز النصارى لمشاعر المسلمين، مما يضطر المسلمون إلى الرد على هذه الاستفزازات بكل قوة وحزم، هذا على صعيد ردود فعل المجتمع على مثل تلك الاستفزازات، أما على صعيد ردود فعل الحكومات فكانت كما يلي.

---

[١]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٩١، ٩٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨، ص١٦.

[*]– هو أبو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهير، كان وزير الخليفة العباسي المستظهر، الذي ولي الخلافة عام ٤٨٧هـ – ١٠٩٤م، لم تطل أيام ابن جهير حيث عزل، ولم يكن له من السيرة ما يؤثر. الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: (المتوفى: ٧٠٩هـ – ١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط١، دار القلم العربي، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. ج١، ص١٠٩.

[*٢]–آمد هي مدينة من مدن العراق تقع في شرق نهر دجلة. الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٠.

[٢]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٤٠.

ابتدأ هذا الأمر بمنع عمر بن الخطاب استعمال أهل الذمة في المناصب الحكومية كما أسلفنا، فأصبح هذا الأمر تشريعاً سار عليه معظم الخلفاء والحكام من بعده، عدا بعض الحالات التي تم تجاوز هذا التشريع، ولقد ذكرنا بعض الأمثلة على ذلك، كما سنذكر بعض الأمثلة من القرنين الرابع والخامس الهجري لما كان عليه حال النصارى مع الدولة الإسلامية.

تم إصدار العديد من القرارات التي هدفت إلى التضييق على أهل الذمة، فكانت هذه القرارات تصدر بعد إساءة أهل الذمة لاستغلال مظاهر التسامح التي كانوا يتمتعون بها في المجتمع الإسلامي، فيظهرون ما بأنفسهم من رغبة في التسلط والتعالي على المسلمين، مما كان يدفع المسلمين إلى رفع أصواتهم بالشكوى حتى تبلغ الخلفاء الحكام، ومن هذه الشكاوى ما قُدم إلى الملك العزيز بالله الفاطمي من شكوى تتعلق بوزيره النصراني عيسى بن نسطورس وحاكم ولاية الشام منشا اليهودي، وما ترتب عليه من قرارات وعقوبات بحقهما[١]، أيضاً كان للحاكم بأمر الله قرارت بحق اليهود والنصارى من هدم للكنائس، والتضييق عليهم في ملبسهم وركوبهم، حيث فرض عليهم أن يلتزموا بلباس يميزهم عن المسلمين، ومنعهم من ركوب الخيول والسروج، وألزمهم بتعليق صلبان الخشب الكبيرة في رقابهم، قدر الواحد منها أربعة أرطال، كما ألزم اليهود بتعليق خشبة كالمدقة وزنها ستة أرطال، وأن يشدوا في أعناقهم أجراساً عند دخولهم الحمامات ليتميزوا بها عن المسلمين[٢]، أدت هذه الإجراءات إلى إسلام العديد من أهل الذمة[٣].

في سنة (٤٤٧هـ – ١٠٥٥م) أرسل السلطان طغرلبك القاضي أبا عبد الله القضاعي رسولاً إلى القسطنطينية، يلتمس من الملكة تيودورا أن تمكن رسوله من الصلاة في جامع القسطنطينية، فأذنت له في ذلك، فدخل إليه وصلى به، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي[*]، وحينما علم الخليفة المستنصر الفاطمي بهذا الأمر، أصدر أوامره بمصادرة كنيسة القيامة والقبض

---

[١]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٢٠.

[٢]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص٢٣٩.

[٣]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٤.

[*]– هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق ابن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر، وهو الخليفة السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين، بويع له بالخلافة في سنة (٤٢٢هـ – ١٠٣٠م)، وتوفى سنة (٤٦٧هـ – ١٠٧٤م). النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص١٢٥، ١٣٧.

على البطريك واعتقاله في داره، وأغلق أبواب كنائس مصر والشام وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين، كما زاد عليهم في الجزية[1].

هذه الشواهد التي سقناها لا تعطينا صورة مطلقة بأن أهل الذمة من اليهود والنصارى قد عاشوا في جو من الاضطهاد والبؤس والملاحقة فهذا غير صحيح فالإسلام هو دين التسامح والرحمة، والشواهد التي سقناها لأوجه الصراع مع أهل الذمة ما هي إلا حالات منفردة عبر قرون من التعايش السلمي بين الطرفين، والتي كان يعكر صفوها بعض المناوشات والقرارات التي كانت متفاوتة من مجتمع لآخر ومن دولة لأخرى، كما لم تكن هذه هي السمة الغالبة على طبيعة العلاقة الإسلامية الذمية.

هذا هو الحال الذي كان عليه المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، حيث كان يشوبه العديد من التناقضات والصراعات المذهبية، والتي سيكون لها بالغ الأثر في المواجهة العسكرية للحملة الصليبية كما سوف نرى، وخصوصاً انعكاسات هذا الاختلاف والصراع في العلاقة بين الدول المتنافرة مذهبياً، وأعني هنا الخلافة العباسية وذراعها الضارب الدولة السلجوقية من جهة ومن جه أخرى الدولة العبيدية الشيعية.

[1]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٣٠؛ سلطان: الحياة الاجتماعية، ص١٠٠، ١٠١.

## ❖ الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

- **المبحث الأول: الزراعة**
  - ✓ **الزراعة في الشام**
  - ✓ **الزراعة في مصر**
  - ✓ **الزراعة في العراق**
  - ✓ **طرق السقاية في بلاد المشرق الإسلامي**
- **المبحث الثاني: التجارة والصناعة**
  - ✓ **التجارة والصناعة في الشام**
  - ✓ **التجارة والصناعة في مصر**
  - ✓ **التجارة والصناعة في العراق**
- **المبحث الثالث: العوامل التي أثرت في إهدار الموارد المادية والبشرية لبلاد المشرق الإسلامي**
  - ✓ **الكوارث الطبيعية**
  - ✓ **ظلم الحكام والولاة**
  - ✓ **الصراعات الداخلية بين الحكام**
  - ✓ **غارات البدو على المناطق الحضرية:**
  - ✓ **الحروب مع الدولة البيزنطية**

## المبحث الأول: الزراعة

لقد كانت هناك زراعة وافرة نسبياً في جميع الأقطار الإسلامية الصالحة للزراعة[١]، وتعد الزراعة أفضل المكاسب للمرء حيث إنها خلت من الغش والخيانة والأيمان الفاجرة، ثم تأتي من بعدها الصناعة ثم التجارة[٢].

### الزراعة في الشام:

تعد أرض الشام من الأراضي الخصبة والصالحة للزراعة[٣]، وخصوصاً أرض فلسطين، فكان هذا من أهم أسباب الغزو الصليبي لبلاد الشام – كما أسلفنا – وقد جاء في التوراة ما يؤكد على خصوبة هذه الأرض. ( "آية٧" **لان الرب الهك آتٍ بك إلى ارض جيدة ارض انهارٍ من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال.** " آية٨ " **ارض حنطة[*] وشعير وكرم وتين ورمان ارض زيتون زيت وعسل** )[٤].

يعد الخراج[*٢] المستوفى عن الارض الزراعية هو أحد إيرادات بيت المال[٥]، لذا اهتم الخلفاء في بغداد بحفر الأنهار وشق الترع وإقامة السدود والقناطر لسقاية الأراضي الزراعية، ولحمايتها من أخطار الفيضانات، كما كانت الدولة تشرف على توزيع المياه، وتنفق على إنشاء القنوات والسدود وصيانتها[٦].

---

[١]– وات، منتجومري: فضل الاسلام على الحضارة الغربية، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٣م. ٣٦.

[٢]– الدمياطي، أبي بكر ابن السيد محمد شطا: (المتوفى: ٩٩٩هـ – ١٥٩٠م)، حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ج٢، ص٣٥٥؛ البجيرمي، سليمان بن محمد بن عمر الشافعي: (المتوفى: ١٠٧٠هـ – ١٦٥٩م)، تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. ج٣، ص٥٩١.

[٣]– الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: (المتوفى: ٨٧٥هـ – ١٤٧٠م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. ج٦، ص٢٨٣.

[*]– الحنطة: القمح. ابن زنجويه: الأموال لابن زنجويه، ج١، ص١٤٧.

[٤]– التوراة: سفر التثنية، الإصحاح الثامن.

[*٢]– الخراج هو ما يخرج من غلة الأرض، ويقال هذه التفاحة طيب ريحها طيب خراجها طعم ثمرها. مصطفى وأخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص٢٢٤.

[٥]– السيواسي: شرح فتح القدير، ج٦، ص٤٠؛ عبد الباقي: معالم الحضارة، ص١٠٥.

[٦]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١٤؛ عبد الباقي: معالم الحضارة، ص١٠٥.

يعد القمح أهم محصول زراعي داخل البلاد الإسلامية، حيث أن كل سكان المملكة الإسلامية تقريباً يتغذون على القمح[١]، فقد كان يصنع منه رغيف الخبز[٢]، والذي هو بمثابة الوجبة الرئيسة لهم، كما ويعد ارتفاع سعر القمح مؤشراً على غلاء المعيشة[٣]، لقد كان القمح يزرع في كل البلاد الإسلامية تقريباً، ومن هذه البلاد التي كان يزرع فيها القمح بلاد الشام[٤]، ورغم تفوق القمح على سائر المحاصيل الزراعية الأخرى من البقوليات إلا أن الشعير يصنف في المرتبة التالية من الأهمية، فقد كان الخبز يصنع منه أيضاً[٥]، فقد كان الشعير يزرع في معظم مدن الشام[٦]، ويزرع في الشام أيضاً سائر أنواع الحبوب[٧].

لم يكن القمح والشعير هما المحصولان اللذان كانا يزرعان في الشام فقط، بل كانت هناك محاصيل لا تقل عنهما أهمية مثل الزيتون، وتعد الشام من أكثر بلاد الإسلام زراعةً للزيتون في

---

[١]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٠؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٢٣؛ متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣٠٢.

[٢]– القرطبي، عبد الملك بن حبيب الإلبيري: (المتوفى: ٢٣٨هـ – ٨٥٢م)، (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج١، ص٦٣؛ خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٥٤؛ حيدر، علي: (المتوفى: ٩٩٩هـ – ١٥٩٠م)، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، دار الكتب العلمية، تحقيق: تعريب: المحامي فهمي الحسيني، لبنان – بيروت. ج١، ص٤١.

[٣]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٤١، ج٢، ص٣٠٠؛ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي: (المتوفى: ٨٤٥هـ – ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. ج١، ص٢٣٣، ج٣، ص٥٥.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص١٨٧.

[٥]– الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد: (المتوفى: ٢٠٧هـ – ٨٢٢م)، كتاب المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م. ج١، ص٣٨٧؛ الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: (المتوفى: ٤٢٧ هـ – ١٠٣٥م)، الكشف والبيان (تفسير الثعلبي )، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. ج٣، ص٤٢.

[٦]– النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص١٨٧.

[٧]– القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٨٢.

تلك الفترة[١]، فكانت تعرف بأرض الزيتون[٢]، وفي الشام مدن كانت تتميز بكثرة أشجار الزيتون مثل مدية نابلس[٣] ومدينة القدس، وقيسارية وكفر سابا[٤]، ومدينة طرابلس[٥].

تعد شجرة الزيتون شجرة مباركة، حيث وصفها النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيها " ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة "[٦]، وهي أيضا تنبت في أرضٍ مباركة فساق الله هذه الشجرة إلى هذه الأرض وكأن بعضهما من بعض.

ومن المزروعات والأشجار التي عرفتها أرض الشام وتحديداً فلسطين أشجار التين والتي كانت موجودة بكثير في مدن الشام مثل مدينة الرملة ومدينة القدس[٧]، وغزة[٨]، ومدينة حلب[٩] ومعرة النعمان ومدينة الخليل، كما كان ينبت في الشام أيضاً أشجار الجميز[١٠].

كما اشتهرت بلاد الشام بزراعة الكروم[١١]، ولم نجد الرحالة ناصر خسرو يذكر الكثير عن مشاهدته لبساتين العنب والتي اشتهرت بها أرض الشام، وفيما يبدو أنه حين زار بلاد الشام زارها في غير موسم العنب وهذا ما يؤكده تاريخ زيارته لمدينة سروج وهي أول مدن الشام على حد وصفه، فقد زارها في الثاني من رجب من سنة ٤٣٨هـ الموافق ٢ يناير من سنة ١٠٤٧م وأخر مدينة زارها من مدن الشام كانت مدينة الخليل حيث وصلها في ذي القعدة من سنة ٤٣٨هـ الموافق لشهر مايو لسنة ١٠٤٧م، وهنا نراه يتحدث عن أشجار العنب والتي تكون قد أورقت في هذا

---

[١]- الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: (المتوفى: ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة. ج١، ص٥٣٢.

[٢]- الأصفهاني، أبو الفرج: (المتوفى: ٣٥٦هـ - ٩٦٦م)، الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان. ج٢٤، ص١٠١.

[٣]- العليمي، مجير الدين الحنبلي: (المتوفى: ٩٢٧هـ - ١٥٢٠م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. ج٢، ص٧٥.

[٤]- خسرو: سفرنامه، ج١، ص٥٤، ٥٥.

[٥]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٧٢.

[٦]- الأزدي، معمر بن راشد: (المتوفى: ١٥١هـ - ٧٦٨م)، الجامع، تحقيق: حبيب الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ. ج١٠، ص٤٢٢؛ ابن همام: المصنف، ج١٠، ص٤٢٢.

[٧]- خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٥، ٥٤، ٥٥.

[٨]- القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٢.

[٩]- ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٤؛ القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٧٢.

[١٠]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٣، ٦٥٢.

[١١]- عبد الرزاق، محمد بن بن محمَّد، كُزْد عَلي: (المتوفى: ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م)، خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. ج٤، ص١٨٠.

الشهر[١]، وهذا التاريخ المحصور بين شهر يناير وشهر مايو لا تنبت به أشجار العنب فالعنب من الثمار الصيفية[٢]، ولهذا لا نجد الرحالة ناصر خسرو يذكر أن بلاد الشام تزخر بأشجار العنب والكروم.

من المدن التي كانت تزرع الكروم مدينة طرابلس ومعرة النعمان[٣]، وحلب[٤]، ودمشق[٥]، وبعلبك[٦]، وبيسان[٧]، وبيت المقدس[٨]، والرملة[٩]، ومدينة الخليل[١٠]، وغزة[١١].

أيضاً من الحاصلات الزراعية التي كانت تزرع في الشام قصب السكر وكان يزرع تحديداً في طرابلس[١٢]، وصيدا[١٣]، والأردن، وبيسان[١٤]، كما كان تزرع أنواع أخرى من الأشجار والثمار فكان القطن يزرع في حلب[١٥]، وفي جبل لبنان[١٦]، وبعلبك[١٧]، وأشجار النخيل غرست في العديد من مدن الشام، مثل طرابلس، ومدينة جبيل وقيسارية[١٨].

---

[١]- خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٤، ٧٠.

[٢]- المرزوقي، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني: (المتوفى: ٤٢١هـ - ١٠٣٠م)، الأزمنة والأمكنة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ. ج١، ص٢٤٧.

[٣]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٧٢، ج٢، ص٦٥٢.

[٤]- ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٤؛ القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٧٢.

[٥]- أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣٧؛ ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ٢٩٤.

[٦]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٩؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ج٩، ص١٠٩.

[٧]- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: (المتوفى: ٣٧٠هـ - ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م. ج١٣، ص٧١.

[٨]- العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٥٩، ٨١.

[٩]- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري: (المتوفى: ٧١١هـ - ١٣١١م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١، ٢٩ج، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م. ج٧، ص٤٠٤.

[١٠]- خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٤، ٧٠.

[١١]- القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٢؛ السخاوي، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: (المتوفى: ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م)، البلدانيات، تحقيق: حسام بن محمد القطان، ط١، دار العطاء، السعودية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. ج١، ص٢٣١.

[١٢]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٧٢؛ خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٧.

[١٣]- خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٩.

[١٤]- ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢١٧، ٣٦٧.

[١٥]- المغربي: الجغرافيا، ج١، ص٤٢.

[١٦]- القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٨٢.

[١٧]- المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٦٤.

[١٨]- خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٨، ٥٤.

وعمان[١]، وغزة[٢]، وحيفا[٣]، كما كان يزرع في المدن الشامية سائر أنواع الفاكهة والمزروعات[٤]، مثل التفاح والمشمش والبطيخ والسمسم[٥]، والنارنج والأترج والموز[٦].

يبدو أن النصارى عندما كانوا يحجون إلى فلسطين[٧]، قد شاهدوا ما تنعم به هذه الأرض من خيرات وبساتين وأشجار ونقلوا بدورهم ما شاهدوا إلى مجتمعاتهم وهذا كان واضحاً في الوصف البابوي لأرض فلسطين حين وصفها بأنها أرض اللبن والعسل كما أسلفنا فكان هذا العامل بمثابة حافزاً قوياً وسبباً رئيساً في تأسيس فكرة الحروب الصليبية.

## الزراعة في مصر:

تعد مصر من أخصب البلاد العربية، نظراً لوجود نهر النيل الذي يشق الأراضي المصرية مما يساعد في إخصاب التربة بحيث تصبح صالحة للزراعة على امتداد النهر[٨]، ويذكر المسعودي أن جنان مصر كانت تمتد من حد سد أسوان في أقصى الجنوب إلى رشيد في أقصى الشمال[٩]، وهذا دليل على مدى غنى مصر في الزراعة ومدى خصوبة أراضيها.

وعندما زار الرحالة ناصر خسرو الديار المصرية تحدث عن مدى وفرة المزروعات التي تزخر بها مصر حيث اجتمع فيها مزروعات الصيف والشتاء والربيع والخريف معاً، كما أشار إلى ذلك باستغراب ودهشة موعزاً ذلك لاتساع الأراضي المصرية، ومؤكداً على صدق ما رأى لشدة استغرابه وخشيته من تكذيب الناس له، فمن الفواكه والثمار التي رآها يقول " رأيت في يوم واحد هذه الفواكه والرياحين والورد الاحمر والنيلوفر والنرجس والترنج والنارنج والليمون والمركب والتفاح والياسمين والريحان الملكي والسفرجل والرمان والكمثري والبطيخ والعطر والموز والزيتون والبليج ( الإهليلج )

---

[١]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص١١.

[٢]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٢.

[٣]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٥٣.

[٤]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٣، ٣٧٢؛ القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٨٢.

[٥]– ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٤؛ القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٧٢.

[٦]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٧.

[٧]– ابن تيمية: كتب ورسائل، ج٢٧، ص٣٥٥؛ المقريزي: السلوك، ج٧، ص٣٥١؛ قاسم: ماهية الحروب الصليبية، ص١٦.

[٨]– السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٣؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص٩٩.

[٩]– مروج الذهب، ج١، ص١٥٢.

والرطب والعنب وقصب السكر والباذنجان والقرع واللفت والكرنب والفول الأخضر والخيار والبصل والثوم والجزر والبنجر "[١]، أيضاً كان يزرع بها العنب والنخيل[٢]،

تعتبر الحبوب من أكثر غلال مصر، حيث كان يزرع فيها القمح والشعير[٣] والحمص والفول والعدس[٤]، كما كان يزرع في مصر قصب السكر والبصل والقثاء واللفت والخس[٥]، أيضاً كان يزرع بها الأرز[*][٦] والقطن[٧].

لقد جعل نهر النيل الذي وهبه الله لمصر دولة زراعية بامتياز وبما أن اساس عائدات الدول في تلك الفترة يعتمد اعتماداً أساسياً على الزراعة، فهذا يعطينا مؤشراً على مدى غنى مصر في بداية حكم الدولة العبيدية.

## الزراعة في العراق:

تميز العراق بنهريه دجلة والفرات[٨]، وبوجود هذين النهرين تميزت المدن المبنية عليهما بخصوبة تربتهم[٩]، وذكر أبو اسحاق الاصطخري في كتابه المسالك والممالك، أن أنهار البصرة تزيد عن مائة وعشرين ألف نهر تجري بها المراكب، أي أنها ليست جداول صغيرة بل هي كبيرة بما يكفي لكي تجري بها المراكب، ونراه في كتابه ينكر هذه الرواية حتى زار البصرة بنفسه فوجد كثيراً من تلك البقاع شاهدةً على صدق مثل تلك الرواية[١٠]، كما كانت البصرة كثيرة الترع[١١]،

---

[١]– سفرنامه، ج١، ص١٠٣.

[٢]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.

[٣]– القيرواني، أبو سعيد خلف بن أبي القاسم: (المتوفى: ٣٧٢هـ – ٩٨٢م)، تهذيب المدونة، محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط١، ج٢، دار البحوث للدراسات الإسلامية والتراث، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. ج٢، ص٥١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٠؛ الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٤٤٥.

[٤]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٠.

[٥]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٢٨، ٣٣١.

[*]– الأرز هو الرز. السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٥٧.

[٦]– الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٤٤٥.

[٧]– القيرواني: تهذيب المدونة، ج٢، ص٥١.

[٨]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١.

[٩]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٢، ٣٣، ٣٤.

[١٠]– المصدر السابق: ج١، ص٣٢.

[١١]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٤٦.

وعرفت منطقة في العراق بسواد العراق[١]، لكثرة الخضرة التي في النخيل والشجر والزرع[٢]، وتعد الموصل من أكثر مدن العراق إنتاجاً للزراعة حيث إن ميرة[*]، أهل العراق من الموصل[٣]، وهذا يعطينا تصوراً واضحاً عن مدى خصوبة أرض العراق في ظل وجود هذين النهرين الذين يشقان أرض العراق.

كما تميزت بلاد العراق عن غيرها من البلاد العربية بزراعة النخيل، التي كانت مزروعة بكثرة في المدن العراقية، فكانت بساتين النخيل تغطي مساحات شاسعة من أراضي المدن العراقية، ومن هذه المدن بغداد[٤]، والتي كانت من أكثر مدن العراق زراعة للنخيل[٥]، وكذلك سواد العراق كان كثير النخيل[٦]، أيضاً مدينة البصرة التي كان يكثر بها زراعة النخيل[٧]، كما كان النخيل يزرع في الكوفة[٨]، والموصل[٩] وواسط[١٠]، وحلوان والقادسية والحيرة والأبلة[١١]، ولما كثرت زراعة النخيل في العراق أصبح العراق من أكثر البلاد إنتاجاً للتمور[١٢].

---

[١]– الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر: (المتوفى: ٤٦٣هـ – ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت. ج١، ص١٢؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٠؛ المغربي: الجغرافيا، ج١، ص٤٤.

[٢]– ابن زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس: (المتوفى: ٣٩٥هـ – ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. ج٢، ص١٩٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص١٢؛ التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف: (المتوفى : ٦٥١هـ – ١٢٥٣م)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق: احسان عباس، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م. ج١، ص٢٥.

[*]– الميرة، هي ما حمل من الطعام للبيع وللعيال. الطالقاني، الصاحب الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس: (المتوفى: ٣٨٥هـ – ٩٩٥م)، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م. ج١٠، ص٢٨٥.

[٣]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص٢٩.

[٤]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٢.

[٥]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٨.

[٦]– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص١٢؛ التيفاشي: سرور النفس، ج١، ص٤٤.

[٧]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٢؛ خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٤٦.

[٨]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١١٦؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٨١.

[٩]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٣٢.

[١٠]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٨٢.

[١١]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٢، ٣٤.

[١٢]– ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٩؛ عبد الباقي: معالم الحضارة، ص١١٠.

لم تكن زراعة النخيل هي ما تميزت بها العراق فحسب بل كانت هناك زراعة الأرز[١]، الذي يحتاج إلى وفرة في المياه وهذا الشرط متوفر في بلاد العراق[٢]، كما كان يزرع في العراق شجر النارنج والأترج[٣]، والتين[٤]، والكروم[٥]، لقد وفر نهري دجلة والفرات الماء الذي تحتاجه أي أرض لكي تصبح صالحةً للزراعة.

## طرق السقاية في بلاد المشرق الإسلامي:

لقد وضعت الدولة الإسلامية قوانين صارمة لتنظيم عملية الري[٦]، فلا يجوز للدولة وللأفراد التكسب من عملية الري فالماء للجميع[٧]، ولقد اهتمت الدولة الإسلامية اهتماماً كبيراً في إقامة السدود وشق القنوات وحفر الترع وانشاء الجسور[٨].

تعددت أشكال السقاية في مختلف الدول الإسلامية باختلاف موارد المياه فيها، فمنها ما كان يسقى عن طريق الأمطار والابار، ومنها ما كان يسقى عن طريق الأنهار، فأما الأراضي التي كانت تسقى بمياه الأمطار فلم يكن هناك عناء يذكر في مثل هذا لنوع من السقاية[٩]، لكن الأرضي التي كانت تسقى من الأنهار تعددت وسائل السقاية فيها، فمن هذه الوسائل إقامة النواعير[*]، على

---

[١]– ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٠، ٤٥١، ج٥، ص٦٤.

[٢]– ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٠؛ عبد الباقي: معالم الحضارة، ص١٠٩.

[٣]– المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٦٧.

[٤]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٤.

[٥]– الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٤؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٥٣١.

[٦]– متز: الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٣٣٥.

[٧]– ابن حبتة، أَبُو يُوسُف يَعْقُوب بن إِبْرَاهِيم بن حبيب بن سعد الْأَنْصَارِيّ: (المتوفى: ١٨٢هـ – ٧٩٨م)، الخراج، تَحْقِيق: طبه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، المكتبة الأزهرية للتراث. ج١، ص١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٣٣٥.

[٨]– الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري: (المتوفى: بعد ٣٥٥هـ – ٩٦٥م)، فضائل مصر المحروسة، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، ج١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤١٧م – ١٩٩٧م. ج١، ص٩؛ اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد: (المتوفى: ٧٢٦هـ – ١٣٢٥م)، ذيل مرآة الزمان، تحقيق: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م. ج٢، ص٨٩.

[٩]– النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص١٨٦، ١٨٧.

[*]– النواعير، التي يستقى بها الماء بحيث تدور بجريان المياه ولها صوت. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر: (المتوفى: ٧٢١هـ – ١٣٢١م)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. ج١، ص٢٧٨؛ كما أن النواعير تسمى أيضاً بالدواليب. المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص٢٧٥.

مجاري الأنهار، فكانت بلاد العراق تستخدم مثل هذه التقنية في السقاية[١]، وكذلك مصر[٢]، ومن مدن الشام التي استخدمت النواعير مدينة دمشق[٣]، ومدينة حماة التي كان يمر بها نهر العاصي[٤]، حيث لم يكن من الممكن أن يستقى الماء من نهر العاصي إلا عن طريق النواعير[٥]، ومن النواعير ما كان يعمل بجريان مياه الأمطار ومنها ما كان يعمل بالأبقار[٦].

ومن وسائل السقاية أيضاً حفر الترع فقد كانت الديار المصرية عامرةً بها حيث كان في مصر العديد منها[٧]، وأيضاً شق القنوات[٨]، وكان يستخدم في مصر تقنية وضع المقاييس لمعرفة زيادة نهر النيل ونقصانه[٩]، كما كانت تقام السدود بهدف ضبط عملية تصريف المياه[١٠]، ومن الطبيعي أن تهتم الدولة في حفر الترع وشق القنوات وإقامة السدود كيف لا ومعظم دخل الدولة من الزراعة كما أسلفنا.

---

[١]- المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص٢٧٥؛ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي: (المتوفى: ٥٣٨هـ - ١١٤٣م)، أساس البلاغة، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ج١، ص٦٤٢؛ القزويني: آثار البلاد، ج١، ص١٨٨.

[٢]- المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٩٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص١٨٥.

[٣]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٩.

[٤]- ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٠؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٤٩؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص٨٥.

[٥]- القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٨٣.

[٦]- النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص١٨٥.

[٧]- المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٥١؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج١، ص٥٥.

[٨]- الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٣؛ القزويني: آثار البلاد، ج١، ص١٨٨.

[٩]- المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٥٢.

[١٠]- المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٨٩.

## المبحث الثاني: الصناعة والتجارة

لقد أحدث القرن الثالث الهجري انقلاباً كبيراً في مكانة التجار داخل المجتمع الإسلامي، حيث لم يكن ينظر إلى التجار بعين التقدير، وفي القرن الرابع الهجري أصبحت التجارة مظهراً من مظاهر أبهة الإسلام[١]، أما على صعيد الصناعات فقد كانت المدن المصرية في العصر الفاطمي مركزاً مهماً للصناعات المختلفة والحرف المتعددة التي يعمل بها أعداد كبيرة من العامة، مما تسبب بحركة نشطة في الأسواق[٢]، لقد اهتم العبيديون بالصناعات وتميزت صناعاتهم عن سائر الصناعات المصرية في سائر العصور، ويعتبر العصر الفاطمي عصر ازدهار للصناعات[٣].

### الصناعة والتجارة في الشام:

كانت التجارة في بلاد الشام رائجة، فكانت المدن الشامية تتميز عن بعضها البعض بأصناف بضائعها المختلفة، التي كانت تنتجها لتباع في مختلف أسواق الدولة الإسلامية. فمدينة القدس كانت تنتج الجبن والقطن والزبيب والمرايا وقدور القناديل والابر والثياب والحبال والسبح وقضم قريش[*]، ومن بيسان التمور والرز، ومن عمان الحبوب والخرفان والعسل، ومن طبرية الكاغد[*٢]، ومن صور السكر والخرز والزجاج المخروط، ومن حلب القطن والثياب والاشنان[*٣]، والمغرة[*٤]، ومن بعلبك الملابن[*٥]، ومن الرملة القطين والزيت والميزر[*٦] وقضم قريش[٤]، كما كانت طرابلس

---

[١]– متز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٧٠، ٣٧١.

[٢]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٩، ٢٠٠؛ سلطان: الحياة الاجتماعية، ٧٠.

[٣]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٩، ٢٠٠؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص٩٩، ١٠٠.

[*]– قضم قريش بزر شجر التنوب يستخدم للعلاج. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا: (المتوفى: ٣١٣هـ – ٩٢٥م)، الحاوي في الطب، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، ط١، دار احياء التراث العربي، لبنان – بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. ج٦، ص٦٣.

[*٢] – الكاغد، نوع من أنواع الورق يستخدم في الكتابة. ياقوت: معجم الأدباء، ج٤، ص٣٥٣.

[*٣]– الأُشْنان تُغسَل به الأيدي على أَثَر الطعام. الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص١٢١.

[*٤]– المغرة وهي الطين الأحمر يستعمل كصبغة. القيرواني: تهذيب المدونة، ج١، ص١٨٨.

[*٥]– والمِلْبَنُ المِحْلَبُ. وهُما خَشَبَتَانِ تستعمل للاسْتِقَاءِ. والمَحَامِلُ تُسَمَّى المَلاَبِنَ. الطالقاني: المحيط في اللغة، ج١٠، ص٣٢٧.

[*٦]– الميزر هو لباس يلبس ويسمى أيضا لباساً. ابن إبراهيم، عبد الرحمن بن إسماعيل: (المتوفى: ٦٦٥هـ – ١٢٦٦م)، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر. ج١، ص٢٠.

[٤]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٦٣، ١٦٤.

تنتج الورق الفاخر[١]، وكانت الشام تنتج الزجاج الذي لم يكن له مثيل في جميع الأقطار الإسلامية[٢]، وتميزت مدينة صور بصناعتها للزجاج والفخار والثياب البيض المحمولة إلى كل الآفاق[٣]، واشتهرت الشام بزيتها الذي يضرب به المثل في الجودة والنظافة وإنما قيل له الزيت الركابي لأنه كان يحمل على الإبل من الشام[٤]، وفي طبرية يصنعون الحصير ومنه حصير الصلاة[٥]، ومن دمشق الدهون، والبنفسج والكاغد والجوز والقطين والزبيب، والديباج[*] الذي لم يكن له مثيل في جميع البلاد، وكذلك حلوياتها لم يكن لها مثيل، وصناعاتها نافقة وتجاراتها رابحة[٦]، واشتهرت حيفا بصناعة السفن التي كانت تعرف باسم الجودي[٧].

كما تميزت المدن الشامية بمعادنها المختلفة، فالحديد كان في جبال بيروت وبحلب وبعمان، وفي الشام جبال بيض وحمر تستعمل في البناء كما كان بفلسطين مقاطع حجارة بيض وفي بيت جبريل كان موجود بها الرخام، وفي الأغوار يوجد بها الكبريت، وفي البحر الميت الملح كان متوفر[٨]، وفي أرض الشام جبل من جهة البادية وفيه أربعة معادن القار، والمغرة والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد والرمل الذي في حلب يعمل منه الزجاج[٩].

أما ما كان تستورده بلاد الشام من البضائع فكان يجلب من بلاد السودان جلود النمور الحمر التي كانت تستعمل غطاءً للسروج، ومن بلاد الأحباش كان يجلب الذبل وهو عبارة عن ظهور السلاحف الذي كان يصنع منه أحسن الأمشاط، كما كان يجلب إلى بلاد الإسلام العاج المستخرج من أنياب الفيلة[١٠]، ويجلب من بلاد السودان الجلود[١١]، ويجلب أيضاً من بلاد السودان والحبشة

---

[١]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٤٨.

[٢]– الثعالبي: ثمار القلوب، ج١، ص٥٣٢.

[٣]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٥.

[٤]– الثعالبي: ثمار القلوب، ج١، ص٥٣٢.

[٥]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٥٣.

[*]– الديباج، هي الثياب المتخذة من الحرير الرقيق. الصوفي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري: (المتوفى: ٣٤٠هـ – ٩٥١م)، معجم ابن الأعرابي، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية. ج٢، ص٢٩٢.

[٦]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٩.

[٧]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٥٣.

[٨]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٦٧، ١٦٨.

[٩]– ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٤٢٦.

[١٠]– المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٦٨، ١٧٠؛ متز: الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٣٣٢.

[١١]– القزويني: آثار البلاد، ج١، ص٢١.

الذهب والرقيق[١]، ويجلب الرقيق من بلاد ما وراء النهر حتى نشط سوق الرقيق لدى جميع الدويلات فاتخذه الطولونيون والإخشيديون و العبيديون والسلاجقة[٢]، أما معظم البضائع كانت تأتي من بلاد الهند والسند[*]، والصين عن طريق التجار الذين جابوا تلك الأنحاء فكانوا يجلبون منها، الخيزران[*٢]، والساج[*٣] والماس والياقوت والبقم[*٤]، والنارجيل[*٥]، والرصاص والكافور[*٦]، والصندل[*٧]، والقرنفل والفلفل والمسك والعود والذهب والأبنوس[٣]، ويجلب منها أيضاً الرماح[٤]، والسيوف الهندية[٥]، والعقاقير[*]، والصمغ والثياب والمآزر الملونة[٦].

## الصناعة والتجارة في مصر:

لقد بلغت مصر في القرن الخامس الهجري غناً عظيماً نظراً للأمن والاستقرار الذي نعمت به مصر في ظل حكم الدولة العبيدية[٧]، ويقول في ذلك الرحالة ناصر خسرو "بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم بل يسدلون عليها الستائر ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلى شيء منها"[٨]، وفي ظل هذا الأمان والاستقرار

---

[١]– ابن طاهر: البدء والتاريخ، ج٤، ص٧٠.

[٢]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧.

[*] – السند بلاد تقع بين الهند وبلاد فارس ومن مدنها قندهار وقندهار اليوم هي مدينة في أفغانستان. الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٥٧.

[*٢]– الخيزران نبات لين القضبان. الطالقاني: المحيط في اللغة، ج٤، ص٢٧٤.

[*٣]–الساجةُ، الخَشَبة الوَاحدة المُرَبّعة تجلب من الهِنْد، وجَمْعها السَّاج. الأزهري: تهذيب اللغة، ج١١، ص٩٨.

[*٤]– البَقَمُ اسْمٌ لِشَجَرَةٍ لها صِبْغٌ يُصبَغُ به. الطالقاني: المحيط في اللغة، ج٥، ص٤٥٣.

[*٥]– النارجيل هو جوز الهند. النووي: تهذيب الأسماء، ج٣، ص١٢١؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٨٤.

[*٦]– الكافور نَبَاتٌ له نَوْرٌ أبيض كنورِ الأقحوان والكافور من أخلاط الطيب. الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٠، ص١١٥.

[*٧] – الصندل خشب أحمر ومنه الأصفر، وقيل الصندل شجر طيب الريح. ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٣٨٦.

[٣]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١، ص١٥٣.

[٤]– السبتي، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المالكي: (المتوفى: ٥٤٤هـ – ١١٤٩م)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث. ج١، ص٢٣٥؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠.

[٥]– أبو القاسم، عبد الله بن عبد الرحمن الاصبهاني: (المتوفى: بعد ٣٨٠هـ – ٩٩٠م)، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٦٨م. ج١، ص٢٥؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٠.

[*]– العقاقير هي الأدوية. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٥٩٩.

[٦]– معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٧، ٤٤٠، ج٤، ٣٤٦.

[٧]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٠٥، ١٠٨؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص٩١.

[٨]– سفرنامه، ج١، ص١٠٥، ١٠٨.

ازدادت ثروات التجار دون الخوف من المصادرة أو من أي ظلم يحيق بهم[١]، وكانت المدن المصرية في العصر الفاطمي مركزاً مهماً للصناعات المختلفة والحرف المتعددة[٢].

لقد تميزت مصر وانفردت بالعديد من الصناعات التي لم تكن موجودة إلا بها، فمن هذه الصناعات صناعة النسيج، حيث اشتهرت بعض المدن المصرية بإنتاج أنواع راقية من المنسوجات التي كانت تنسب إليها، ومن هذه المدن مدينة تنيس[*]، التي كانت مشهورة بنسيج العمامات الملونة وأثواب النساء، ولا ينسج مثلها في أي مكان أخر، وفي تنيس مصانع خاصة بالسلطان تنسج له ملابسه وما ينتج لا يباع ولا يعطى لأحد، وينسجون في مدينة تنيس البوقلمون وهو قماش ذهبي يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب، وتصنع أستار هوادج الجمال ولبود سروج الخيل الخاصة بالسلطان من قماش البوقلمون[*٢][٣]، ولقد بلغت شهرة الثياب التنيسية الأفاق فلم يكن في الدنيا كلها أقمشة أو ثياب تضاهيها[٤].

ومن مدن الصعيد مدينة القيس[*٣]، التي كانت تنتج الثياب المعروفة باسم الثياب القيسية[٥]، والصفنية كما كانت تنتج الأكسية الصفنية الحمر[٦]، ويصنعون الستور البهنسية[٧]، المطرز التي ليس في الدنيا لها مثيل، كما ويصنعون الثياب الصوف[٨]، وفي مدينة أسيوط[*٤]، وهي من مدن الصعيد، يصنعون الفُرش القرمزية، ويصنع في مدينة شطا[*٥].

---

[١]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٠٦؛ سلطان: الحياة الاجتماعية، ص٦٧.

[٢]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٧٧، ٧٩؛ سلطان: الحياة الاجتماعية، ص٦٦، ٧٠.

[*]– تنيس أحدى المدن المصرية المطلة على البحر الابيض المتوسط وتقع بالقرب من مدينة دمياط. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٢.

[*٢]– البوقلمون هو قماش ذهبي يتغير لونه بتغير ساعات النهار. خسرو: سفرنامه، ج١، ص٧٧.

[٣]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٧٧، ٧٩.

[٤]– الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢.

[*٣] – مدينة القيس هي مدينة مصرية تقع في الجهة الغربية لنهر النيل وهي مدينة قديمة حسنة البناء جميلة الجهات فيها قصب السكر الكثير وأنواع التمور والخيرات الكثيرة. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٢٤.

[٥]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص ٤٠؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٤٢.

[٦]– ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٤٢.

[٧]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٠؛ الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٠.

[٨]– الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٠.

[*٤] – مدينة أسيوط، وهي على الضفة الغربية من النيل، ومدينة أسيوط مدينة كبيرة وعامرة بأهلها، كثيرة الجنات والبساتين جميلة حسنة. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٢٨.

[*٥] – مدينة شطا هي مدينة مصرية تقع على البحر الأبيض المتوسط وتقع بجوار مدينة تنيس ودمياط. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٢.

الثياب الشروب الشطوية[١]، وفي مدينة دمياط[*]، ينسج فيها القماش الأبيض[٢]، ويصنع في مدينة الفيوم الخيش وفي مدينة أهناس تعمل الأكسية ومدينة أخميم[*٢] وبها يعمل الفرش[٣]، أما مدينة الإسكندرية فكانت تشتهر بإنتاج المنسوجات الكتانية الرقيقة والتي تسمى الشرب، ومن جمالها وجودتها تباع بوزنها فضه[٤].

ولم تقتصر الصناعات المصرية على صناعة النسيج فحسب بل كانوا يصنعون بتنيس آلات الحديد كالمقراض والسكين وغيرهما، ومدينة الصالحية وهي مدينة كثيرة النعم والخيرات حيث تصنع بها سفن كثيرة، وأما مدينة القاهرة فيخبرنا الرحالة ناصر خسرو أن بها سوق يسمى " سوق القناديل لا يعرف سوق مثله في أي بلد وفيه كل ما في العالم من طرائف، ورأيت هناك الأدوات التي تصنع من الذبل كالأوعية والأمشاط ومقابض السكاكين وغيرها، ورأيت كذلك معلمين مهرة ينحتون بلورا غاية في الجمال، ورأيت أنياب الفيل أحضرت من زنجبار، كما أحضروا جلد البقر من الحبشة يشبه جلد النمر يعملون منه النعال، وتنتج مصر عسلاً وسكراً كثيراً "[٥]، واشتهرت مدينة قوص بمعادن الذهب والجوهر والزبرجد[٦]، والذهب المستخرج من مصر يفوق كل ذهب[٧]، وفي مصر معدن الزمرد[٨]، وليس في الدنيا زمرد إلا في مصر[٩]، ولقد أحصى البيروني في القرن الخامس الهجري الجواهر الفاخرة، وهي عنده ثلاثة وهي الياقوت والزمرد واللؤلؤ[١٠]، وكان يصنع في مصر

---

[١]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٠، ٤٣.

[*] – مدينة دمياط هي مدينة مصرية تقع على البحر الأبيض المتوسط وإليها ينتهي نهر النيل، وتقع بجوار مدينة تنيس وشطا. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٢.

[٢]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص٧٧.

[*٢]– اخميم هي مدينة مصرية تقع في الجانب الشرقي لنهر النيل. المغربي: الجغرافيا، ج١، ص٢٩.

[٣]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٠.

[٤]– المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٣٠٣؛ سلطان، الحياة الاجتماعية، ص٢٧٧.

[٥]– سفرنامه، ج١، ص٨٠، ١٠٣.

[٦]– ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٤٢.

[٧]– الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢.

[٨]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص ٤٠؛ المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٤٠؛ الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٢٧.

[٩]– الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٢٧.

[١٠]– البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: (المتوفى: ٤٤٠هـ – ١٠٤٨م)، الجماهر في معرفة الجواهر، تحقيق سالم الكرنكوري، مكتبة المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، ج١. ١٩٠٠م. ج١، ص٣٥.

القراطيس[١]، حيث تفردت مصر بصناعته[٢]، وفي مصر مزارع كثيرة للبقول مثل اللفت والخس حيث يجمعون بذورها ويطحنونها ويستخرجون زيوتها ويصنعون منها أنواعا من الصابون وصابونها معروف بالنظافة[٣]، ويستخرجون من بذور الفجل واللفت زيتا للمصابيح يسمونه الزيت الحار[٤]، وفي مدينة أخميم، يصنعون الجلود الأخميمية[٥]، وتميزت مصر بصناعة الفخار وهو لطيف الشكل وشفاف حيث كانت تصنع منه الكؤوس والأقداح[*] والأطباق وغيرها وهم يلونونها بحيث تشبه البوقلمون فتظهر مختلف في كل جهة تكون بها ويصنعون بمصر قوارير كالزبرجد في الصفاء والرقة ويبيعونها بالوزن[٦].

وفي العصر الفاطمي كانت تقام لأرباب الحرف المختلفة تجمعات كبيرة، حيث يروي الرحالة ناصر خسرو أنه شاهد في مصر خانا لا يباع فيه إلا القصب، وفي الدور السفلي منه يجلس الخياطون، وفي الأعلى الرقاءون، ويقول ناصر خسرو أنه أحصى في مصر مئتي خاناً أكبر منه أو يساويه[٧].

وكان لكل طائفة من أرباب الحرف والصناع عريف يتولى أمورهم[٨]، ويشترط فيه أن يكون على دراية بأمور الصناعة أو الحرفة التي يشرف عليها، ومشهود له بالثقة والأمانة، وكان العريف بمثابة عين للمحتسب يطلعه على أخبار أهل صنعته ويدله على مواطن الغش والتدليس التي قد يلجأ إليها البعض لغش الصناعة أو السلعة أو ما يصنع من أصناف الأطعمة في أسواق الطباخين[٩].

---

[١]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص ٤٣؛ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: (المتوفى: ٤٤٠هـ – ١٠٤٨م)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مَرزُولة، ج١، حيدر أباد، ١٩٥٨م. ج١، ص٧١؛ الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢.

[٢]– الكندي: فضائل مصر، ج١، ص٤٢.

[٣]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٢٨.

[٤]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٠٥.

[٥]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص ٤٠.

[*]– الأقداح ومفردها قدح والقدح من الآنية التي تستخدم للشرب. ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٥٥٤.

[٦]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٠٣، ١٠٤.

[٧]– سفرنامه، ج١، ص١٠٦.

[٨]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٢٤.

[٩]– الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشافعي: (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ – ١١٩٣م)، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج١، ص١٢.

أما التجارة في مصر فيقول المقدسي أن مصر هي بلد التجارة[١]، وعلى كثرة ما كانت تنتج مصر من غلال وصناعات إلا أنها كانت تستورد العديد من البضائع والسلع التي كانت بحاجه إليها[٢] ومن هذه السلع الرقيق من جواري وغلمان كما كان يجلب منها الديباج والمصطكي[*]، والميعة[*٢]، والمرجان[*٣] والعنبر[*٤] والزعفران[*٥] وسائر أصناف التجارات، وكانت تستوردها من العديد من المدن مثل انطاكيا وطرابلس والقسطنطينية[*٦] ورومية[*٧] وبلاد الفرنجة وأنطابلس[*٨] والقيروان[*٩] وتاهرت[*١٠] وسجلماسة[*١١] والسوس[*١٢] وطنجة[*١٣] .

---

[١]– أحسن التقاسيم، ج١، ص١٨٥.

[٢]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٠٣.

[*]– المصطكى العلك الرومي. الفراهيدي: كتاب العين، ج٥، ص٣٠٣؛ الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٠، ص٢٦.

[*٢]– الميعة سيلان الشيء المصبوب والميعة والمائعة ضرب من العطر والميعة صمغ يسيل من شجر ببلاد الروم يؤخذ فيطبخ، فما صفا منه فهو الميعة السائلة، وما بقي منه شبه الثجير فهو الميعة اليابسة. ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٣٤٥.

[*٣]– اختلفوا في المرجان، فقال بعضهم هو صغار اللؤلؤ، وقال بعضهم: هو البُسَّذ، وهو جوهر أحمر. الأزهري: تهذيب اللغة، ج١١، ص١٧٥.

[*٤]– العَنْبَر نوع من أنواع الطيب. الفراهيدي: كتاب العين، ج٢، ص٣٤١؛ الأزهري: تهذيب اللغة، ج٣، ص٢٣٣.

[*٥]– الزعفران هو الكركم. الفراهيدي: كتاب العين، ج٥، ص٤٣٢؛ وقيل الزَّعْفَرَانُ صِبْغُ من الطِّيْبِ. الطالقاني: المحيط في اللغة، ج٢، ص٢٥٤.

[*٦]– هي بلد من بلاد الروم وتعرف باسم بيزنطة وحين نزلها قسطنطين أول ملوكها سماها القسطنطينية وهي ذات أسوار منيعة فهي عاصمة الدولة البيزنطية. الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٩٣.

[*٧]– رومية هي عاصمة بلاد الروم وهي مقر اقامة البابا وهي مطلة على البحر الأبيض المتوسط. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٣٢٣، ج٤، ص٣٤٧، ج٥، ص٦.

[*٨]– أنطابلس هي مدينة برقة من بلاد المغرب وتقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وأهلها أخلاط من البربر والروم. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٤.

[*٩]– القيروان مدينة من مدن المغرب وهي من أجل مدنه وأكبره مساحة وسكاناً وتقع بالقرب من تونس. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٨٤.

[*١٠]– تاهرت هي إحدى مدن المغرب العربي وهي مدينة عظيمة وجليلة ولهذا تسمى عراق المغرب. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٤٨.

[*١١]– سجلماسة مدينة في الصحراء من مدن المغرب لها نهر كنهر النيل كثير الماء يأتي إليها من جهة المشرق وهي من بلاد البربر. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢١، ٢٢٥.

[*١٢]– السوس الأدنى من بلاد المغرب وهي من القيروان على ألفي ومائة وخمسين ميلاً وأهلها بربر، وخلف السوس الأدنى السوس الأقصى. الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٨٢.

[*١٣]– طنجة مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر وهي أخر حدود افريقية من جهة المغرب. الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٣٩٥.

والأندلس وصقلية[*] وقبرص[*1] وورودس[*2]، كما كان تجار مصر يذهبون إلى بلاد النوبة ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان، ويجلبون منها الرقيق ومعظم الرقيق في مصر إما من النوبة أو من الروم[1].

كما كان تجار مكة والحجاز واليمن يأتون إلى مصر فيحملون العديد من البضائع والسلع إلى بلدانهم[2]، وكذلك حال معظم منتجات مصر الصناعية كانت تلقى رواجاً وقبولاً في جميع البلدان نظراً لجودتها واتقان صناعها في صناعتها[3]، وكانت مصر تصدر العديد من منتوجاتها الزراعية عبر موانئها[4].

لقد كان في مصر أشكالاً أخرى من أشكال التجارة حيث يذكر الرحالة ناصر خسرو ذلك فيقول: " ورأيت قدورا من النحاس الدمشقي كل واحد منها يسع ثلاثين منا وكانت من الطلاوة بحيث تظنها من ذهب وقد حكوا لي أن امرأة تملك خمسة آلاف قدر وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم في الشهر وينبغي أن يردها المستأجر سليمة "، كما ويتحدث عن العديد من الخانات التي يتم تأجيرها فتدر على أصحابها ألاف الدنانير سنوياً، ويقول ناصر خسرو أيضاً " وقدرت أن في القاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك للسلطان وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير مغربية في الشهر وليس بينها ما تقل أجرته عن دينارين والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها الحصر وكلها ملك السلطان اذ ليس لأحد ان يملك عقارا أو بيتا غير المنازل وما يكون قد بناه الفرد لنفسه وسمعت أن للسلطان ثمانية ألف بيت في القاهرة ومصر وأنه يؤجرها ويحصل أجرتها كل شهر يؤجرونها للناس برغبتهم ثم يتقاضون الأجر فلا يجبر شخص على شيء "[5].

---

[*]– صقلية جزيرة في بحر الروم وهي قريبة من بلاد الغرب وفي القرن الرابع الهجري كان جميع سكانها مسلمين. الاصطخري: المسالك والممالك، ج1، ص28.

[*1]– قبرص جزيرة في بحر الروم وهي قريبة من بلاد الغرب وفي القرن الرابع الهجري كان جميع سكانها نصارى. الاصطخري: المسالك والممالك، ج1، ص28.

[*2]– رودس هي جزيرة في بحر الروم قبالة مدينة الإسكندرية. اليعقوبي: البلدان، ج1، ص228.

[1]– الكندي: فضائل مصر، ج1، ص42.

[2]– اليعقوبي: البلدان، ج1، ص41.

[3]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص128؛ خسرو: سفرنامه، ج1، ص77.

[4]– خسرو: سفرنامه، ج1، ص88.

[5]– سفرنامه، ج1، ص89، 104، 106.

وبهذا يتضح أن مصر في تلك الحقبة كانت تتمتع بموارد كبيرة، جعلتها من أغنى الدول الإسلامية بشهادة الرحالة ناصر خسرو، الذي زار مصر قبيل سنوات من الحروب الصليبية، مما يؤهلها للعب دور قوي وفاعل في أتون المواجهة مع الحملات الصليبية، فهل ستستغل الدولة العبيدية هذه الموارد والمقدرات وتسخرها من أجل صد العدوان عن بلاد الشام وعنها أما لا.

## الصناعة والتجارة في العراق:

اهتم الخلفاء العباسيين بمدينة بغداد اهتماماً كبيراً، فقد جلبوا لها العديد من أصحاب الحرف والصناعات، حيث استقدموا من مصر من يعمل القراطيس ومن البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر من الكوفة من يعمل الخزف ومن يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة وجعلوا في بغداد أسواقاً لأهل هذه المهن[١]، وكانت تأتيها التجارات والمير براً وبحراً، وكانت تحمل من بلاد المشرق والمغرب، من أرض الإسلام، وغير أرض الإسلام، فإنه يحمل إليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة، وسائر البلدان، حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها[٢].

ومن أهم الصناعات الموجودة في العراق صناعة الخز[*] الذي يصنع في البصرة ويصنع في العراق أيضاً الراسخت[*٢] والزنجفر[*٣]، والزنجار[*٤] والمرداسنج[*٥] وبالأبلة تعمل ثياب الكتان الرفيعة وبالكوفة عمائم الخز والبنفسج وهي في غاية الجودة وبمدينة السلام الطرائف وألوان ثياب القز وغير ذلك[٣].

---

[١]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١٤؛ الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٣٠١.

[٢]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١.

[*]– الخز هو ما يعملونه من سقط الحرير ومشاقته والتبر الذي يلقيه الصايغ من فمه من تقطيع الطاقات فيدقونه كالقطن ثم يغزلونه ويعملونه ثيابا. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس: (المتوفى: ٧٢٧هـ – ١٣٢٦م)، شرح العمدة في الفقه، تحقيق: سعود صالح العطيشان، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣هـ. ج٤، ص٣٠٣.

[*٢]– الراسخت وهو النحاس المحرق. ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد اله بن أحمد الأندلسي المالقي: (المتوفى: ٦٤٦هـ – ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م. ج٢، ص٤٤٦.

[*٣]– الزنجفر هو صبغة لونها أحمر وتستخدم في الكتابة أيضاً. الزبيدي: تاج العروس، ج١١، ص٤٥٨.

[*٤]– الزنجار هو برادة الحديد، الرازي: الحاوي في الطب، ج٧، ص٤٧٩.

[*٥]– المرداسنج، هو نوع من أنواع الرصاص. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: (المتوفى: ٢٥٥هـ – ٨٦٨م)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان – بيروت،١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. ج٥، ص٣٥٠.

[٣]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٢٣، ١٢٤.

أما صادرات العراق فكانت مدينة الموصل تنتج منتوجات كثير حيث يتولى التجار عملية نقل هذه المنتوجات إلى سائر البلاد ومن هذه المنتوجات، الحبوب والعسل والنمكسود[*] والفحم والشحوم والجبن والمن والسماق وحب الرمان والقير[٢*] والحديد والاسطال[٣*] والسكاكين والنشاب والطريخ[٤*] الفائق والسلاسل، أما مدينة سنجار[٥*] فكانت تنتج فرك اللوز وحب الرمان والقصب والسماق ومن نصيبين شاه بلوط وهو شيء أكبر من البندق وأطيب، وأيضاً الفواكه المقددة والموازين والدوايات والكواذين ومن الرقة الصابون والزيت والأقلام وتنتج حران القبيط[٦*] وعسل النحل والقطن والموازين وتنتج الجزيرة الجوز واللوز والسمن والخيل الجياد، ومدينة الحسنية[٧*] تنتج الجبن والقبج[٨*] والشواريز[٩*] والفواكه المقددة والزبيب وتنتج قرية معلثايا[١٠*] الالبان والفحم والأعناب والفواكه الرطبة والشاهدانق[١١*] والقنب[١٢*] وأما الرحبة فكانت تنتج السفرجل الفائق ومن مدينة آمد تنسج ثياب الصوف والكتان الرومية[١]، وفي قرية الحظيرة وهي من قرى بغداد كان

---

[*]– النمكسود هو لحم يقطع طبقات ويشد بالملح في ألواح وينشر حتى يذهب ماؤه وينشف، وإنما يستعمل ليسافر به ولا يفسد. الحصري، أبو اسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: (المتوفى: ٤٥٣هـ – ١٠٦١م)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج١، دار الجليل للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م. ج١، ص٩٠.

[٢*]– القير والقار هما شيء أسود تطلى به الإبل والسفن ليمنع الماء أن يدخل، ومنه ضرب تحشى به الخلاخيل والأسورة. ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص١٢٤.

[٣*]–الأسطال مفردها السطل وهو إناء من معدن له علاقة كنصف الدائرة مركبة في عروتين. مصطفى وأخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص٤٣٠.

[٤*]– الطريخ سمك صغار تعالج بالملح وتؤكل. مصطفى وأخرون: المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٥٣.

[٥*]– سنجار هي مدينة قريبة من الموصل في وسط برية ديار ربيعة، بقرب جبل ينسب إلى سنجار، الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٠.

[٦*]– القبيط حلوى تصنع من اللوز والجوز والفستق. مصطفى وأخرون: المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٣١.

[٧*]– الحسنية منسوب إلى الحسن بلد في شرق الموصل بينها وبين جزيرة ابن عمر. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٠.

[٨*]– القبج هو نوع من أنواع الطيور. ابن دريد: جمهرة اللغة، ج٢، ص١٢٠٠.

[٩*]– الشواريز جمع شيراز وهو اللبن الرائب إذا استخرج منه ماؤه. المُطَرِّزِيّ، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي: ( المتوفى: ٦١٠هـ – ١٢١٣م ). المغرب في ترتيب المعرب، ج١، دار الكتاب العربي. ج١، ص٤٣٨.

[١٠*]– معلثايا قرية بين الموصل والجزيرة. ابن النجار، محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي: (المتوفى: ٦٤٣هـ – ١٢٤٥م)، ذيل تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت. ج١٨، ص٢٢٠.

[١١*]– الشاهدانق وهو بزر شجرة القنب، وورقه الحشيش. النويري: نهاية الأرب، ج١١، ص٢٤.

[١٢*]– القُنْب جِرَابُ قضيب الدابة، والقُنْب شِراعٌ ضَخْم من أعظم شُرُع السفينة، والقِنّب من الكتان. الأزهري: تهذيب اللغة، ج٩، ص١٥٧.

[١]– المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٣٣، ١٣٤.

ينسج فيها الكرباس الصفيق وهو نوع من أنواع الثياب الفاخرة ومن ثم كان التجار يحملونه ويبيعونه في البلاد الأخرى[١].

إن التجارة مركزها الأسواق شأنها شأن الصناعة[٢]، وفي بغداد كان أصحاب الحرف ينتظمون في تجمعات خاصة بكل حرفة من حرفهم[٣]، فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت، بحيث لا يختلط أصحاب الحرفة إلا بمن هم مثلهم من أصحاب تلك الحرفة، فكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم، ولا تختلط تجارة بتجارة، ولا يباع صنف من الأصناف إلا في السوق المخصصة له، وكان في بغداد العديد من الأسواق المختلفة ومن هذه الأسواق سوق الثلاثاء وسوق العطش وسوق خضير وسوق أسد[٤] وسوق يحيى وسوق الغنم[٥] وسوق الحديد[٦] وسوق الصفارين وسوق الطعام وسوق الرزازين وسوق العطارين[٧]، وسوق الفراءين[٨] وبلغ أجرة الأسواق ببغداد مع نهاية القرن الثالث الهجري في كل سنة اثني عشر مليون درهم[٩].

ومما سبق يتضح أن بلاد المشرق الإسلامي كانت بلاد غنية بمنتوجاتها وصناعاتها ومواردها الطبيعية التي كانت تنعم بها، فبلاد الشام كان بها من الموارد الطبيعية والمنتوجات الصناعية فضلاً عن الزراعية ما يؤهلها بأن تكون قوة اقتصادية كبيرة مما ينعكس على قدرتها في تمويل جيوشها وتحصيناتها، أما مصر فكانت القوة الاقتصادية الأكبر في المنطقة نظراً لوجود نهر النيل الذي يمثل شريان الحياة لمصر، أيضاً سياسة الدولة العبيدية في رعايتها التنموية للاقتصاد المصري أسهم بشكل كبير في تنمية الاقتصاد بشكل كبير، لدرجة أن الرحالة ناصر خسرو عبر عن استغرابه ودهشته مما رأى من ترف غنا أهل مصر، وهذا الغنى في الموارد والمقدرات يؤهل مصر بأن تكون العمق الاستراتيجي لبلاد الشام في مواجهته القادمة مع الحملات الصليبية، أما بلاد العراق فكان الوضع الاقتصادي بحالة جيد ولكنه لم يكن يشابه الوضع الاقتصادي المصري المزدهر، ولم تكن بلاد العراق بلاد فقير فقد مثلت حالة وسط بين الخيارين.

---

[١]– ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٧٤.

[٢]– الموسوي: العوامل التاريخية، ص٣٨٥.

[٣]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٦؛ الموسوي: العوامل التاريخية، ص٢٢٧.

[٤]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٦، ٨، ٩، ٣٢، .

[٥]– الطبري: تاريخ، ج٥، ص٦٤،

[٦]– الصولي: أخبار الراضي، ج١، ص٩٣.

[٧]– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٥٨، ج٧، ص٤٢٤، ج١١، ص٣٣٠، ج١٣، ص٥١٨.

[٨]– ابن طيفور، أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب: (المتوفى: ٢٨٠هـ – ٨٩٣م)، كتاب بغداد، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م. ج١، ص٩٨.

[٩]– اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٩.

## المبحث الثالث: العوامل التي أثرت في إهدار الموارد المادية والبشرية لبلاد المشرق الإسلامي

هناك العديد من العوامل التي أثرت في إهدار الموارد المادية والبشرية على حد سواء، منها ما هو طبيعي كالكوارث الطبيعية وبعضها يكون نتاج ظروف وأحداث، وكلها تؤثر في النمو الاقتصادي والسكاني بنسب متفاوتة، ولكي نعرف مدى القوة المادية والبشرية لبلاد المشرق الإسلامي على وجه الدقة يجب ألا نغفل هذا الجانب المهم والمؤثر في النمو والازدهار، لما سيكون له بالغ الأثر في التصدي للحملات الصليبية المرتقبة، ومن هذه العوامل ما يلي:

### الكوارث الطبيعية:

لقد توالت الكوارث الطبيعية على بلاد المشرق الإسلامي خلال القرنين الرابع والخامس الهجري، وسوف نذكر أعنف هذه الكوارث وأشدها بلاءً على الناس ومن هذه الكوارث ما وقع في الشام في سنة (٣٣٦هـ – ٩٤٧م) من مجاعة وغلاء شديدين حتى أكل الناس الحمير والقطط والصبيان، ومات خلق كثير، وفي سنة (٣٨١هـ – ٩٩١م)، جاءت زلزلة عظيمة بدمشق هدمت دوراً كثيرة على أهلها وسقطت قرية دومة وهلك جميع أهلها[١]، ويقول المقريزي إن الزلزلة كانت في سنة (٣٨٢هـ – ٩٩٢م)، وتهدمت ألف دار من دور دمشق[٢].

وفي سنة (٤٢٣هـ – ١٠٣١م)، انقطع المطر ووقعت المجاعة وأصاب بلاد الشام غلاء شديد وتبع هذا وباء قضى على كثير من الناس[٣]، ولكن البلاء الأكبر وقع في سنة (٤٢٥هـ – ١٠٣٣م)، وفيها كثرت الزلازل بالشام فهدمت شيئا كثيراً ومات تحت الردم خلق كثير، وانهدم من الرملة ثلثها، وتهدم مسجدها، وخرج أهلها منها هاربين لمدة ثمانية أيام، وأيضاً سقط بعض حائط بيت المقدس وسقطت منارة عسقلان ورأس منارة غزة، وسقط نصف بنيان نابلس وخسف بقرية البارزاد وبأهلها وبقراها وبقرى أخرى كثيرة، وعصفت ريح سوداء بنصيبين فألقت شيئا كثيرا من الأشجار كالتوت والجوز والعناب واقتلعت أحد القصور فهلك من فيه، وانحسر البحر من تلك

---

[١]– ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧١، ٢٧٤.

[٢]– اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٧٣.

[٣]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٥؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٥١.

الناحية ثلاثة فراسخ، فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا، وفيها كثر الموت بالخوانيق[*] حتى كان يغلق الباب على من في الدار كلهم موتى[١].

أما في سنة (٤٥٥هـ – ١٠٦٣م)، فكان بالشام زلزلة عظيمة خربت كثير من البلاد، وانهدم بها سور طرابلس[٢]، وفي سنة (٤٦٠هـ – ١٠٦٧م)، وقع زلزال عظيم في فلسطين هلك من أهل الرملة وحدها خمس وعشرون ألف نسمة، وانحسر البحر عن الساحل مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه السمك فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقاً كثيراً[٣]، ويقول ابن القلانسي " أن هذه الزلزلة وقعت في سنة (٤٦١هـ – ١٠٦٨م)، وهدمت أكثر دور الرملة وسورها وتضعضع جامعها ومات أكثر أهلها تحت الردم، وحكي أن معلماً كان في مكتبه به تقدير مائتي صبي وقع المكتب عليهم فما سأل أحد عنهم لهلاك أهليهم وأن الماء طلع من أفواه الآبار لعظم الزلزلة وهلك في بانياس تحت الردم نحو من مائة نفس وكذلك في بيت المقدس" وجاء في نفس السنة برد شديد أهلك كثير من الشجر وجاء معه أيضاً سيل عظيم قلع ما مر به من شجر، ووقع في سنة (٤٦٨هـ – ١٠٧٥م)، غلاء شديد في دمشق، وفقدت الغلات والأقوات وأكل الناس بعضهم البعض، كما أكلوا الميتة[٤]، وفي سنة (٤٦٩هـ – ١٠٧٦م)، وقع في الشام وباء عظيم هلك على إثره الكثير من الناس[٥]، وفي سنة (٤٨٤هـ – ١٠٩١م)، ضرب الشام زلزال عظيم، فتهدمت دور كثيرة في أنطاكيا، وهلك تحت هذه الدور خلقٌ كثيرٌ، وانهدم بها تقدير سبعون برجاً من سورها، وبقيت على حالها إلى أن أمر السلطان ملك شاه بعمارتها[٦].

هذه الكوارث أثرت بما لا يدع مجالاً للشك في إضعاف مقدرات الشام المادية والبشرية، مما سيؤثر سلباً في قدرتها على المواجهة والصمود في وجه الحملات الصليبية.

ولم يكن الوضع في أرض العراق بأحسن حالاً من الشام ففي سنة (٣٣٥هـ – ٩٤٦م)، حدثت مجاعة اشتد على إثرها الغلاء وعدمت الأقوات ببغداد حتى وجد صبي مشوي، وكثر

---

[*]– الخوانيق هو داء يؤدي إلى امتناع نفوذ النفس إلى الرئة والقلب. ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي: (المتوفى: ٤٢٨هـ – ١٠٣٦م)، القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م. ج٢، ص٢٨٧.

[١]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٦.

[٢]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٧٤؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٥١.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص١٣٦؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٥١.

[٤]– تاريخ أبي يعلى، ج١، ص٦٢، ٦٦.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤١٣.

[٦]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٤٣٥.

الموت[١]، وفي سنة (٣٧٦هـ – ٩٨٦م)، وقع بالموصل زلزال عظيم سقط بسببها بيوت كثيرة ومات من أهلها أمة عظيمة، كما كثر في بغداد الثعابين وتسببت بوفاة الكثير من الناس[٢]، وأيضاً وقع زلزال كبير في العراق مات فيه خلق كثير من الناس، وذلك في سنة (٣٨٥هـ – ٩٩٥م)، وفي سنة (٤٢٣هـ – ١٠٣١م)، انقطع المطر ووقعت المجاعة وأصاب بلاد العراق غلاء شديد وتبع هذا وباء قضى على كثير من الناس، وكثر الموت ووصل الوباء أصبهان فدفن في عدة أيام أربعون ألف ميت، وكثر الجدري في الناس فأحصي بالموصل أنه مات أربعة آلاف صبي، ولم تخل دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت[٣]، وممن أصيب بالجدري الخليفة القائم بأمر الله ولكنه سلم[٤].

وفي سنة (٤٢٥هـ – ١٠٣٣م)، كثرت الزلازل بالعراق، فهدمت شيئا كثيراً ومات تحت الردم خلق كثير، وكثر الموت بداء الخوانيق، حتى كان يغلق الباب على من في الدار كلهم موتى، وأكثر من مات بهذا الداء كان ببغداد، فمات من أهلها في شهر واحد سبعون ألفا[٥]، وفي سنة (٤٤٨هـ – ١٠٥٦م) حدثت مجاعة في بغداد فأكل الناس الميته، ونزل بهم وباء عظيم فكثر الموت حتى دفن الموتى بغير غسل ولا تكفين[٦]، كما وقع زلزال عظيم في العراق سنة (٤٥٠هـ – ١٠٥٨م)، فهدم العديد من البيوت[٧]، وهلك به خلق كثير[٨]، وفي سنة (٤٦٦هـ – ١٠٧٣م) فاض نهر دجلة وهلك خلق لا يحصون وقيل إن الماء بلغ ثلاثين ذراعا وانهدمت مائة ألف دار[٩]، وفي سنة (٤٦٩هـ – ١٠٧٦م)، وقع في العراق وباء عظيم هلك على إثره الكثير من الناس[١٠].

---

[١]– ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٠.

[٢]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٣٠٥.

[٣]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤.

[٤]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٥.

[٥]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٦.

[٦]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٣٥.

[٧]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص٣٠.

[٨]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٤٨.

[٩]– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣١٧.

[١٠]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤١٣.

يبدو أن الكوارث التي ضربت العراق كانت أشد وطأةً من تلك التي أصابت بلاد الشام، حيث أنها استنزفت الكثير من مقدرات العراق المادية والبشرية وعانى العراق كما عانت الشام من جراحات هذه الكوارث التي عصفت بهما.

ومصر أيضاً أصابها ما أصاب بلاد الشام والعراق من زلازل وأوبئة ومجاعات، ففي سنة (٣٤٤هـ – ٩٥٥م)، زلزلت مصر زلزلة عظيمة هدمت البيوت[١]، وفي سنة (٤٤٥هـ – ١٠٥٣م)، وقع الوباء بمصر وكان يخرج منها في اليوم الواحد نحو ألف جنازة[٢]، وأصاب البلاد غلاء شديد، وفي السنة التي تليها نقص مقدار نهر النيل ثم تبعها وباء عظيم واشتد وعظم في سنة (٤٤٧هـ – ١٠٥٥م)[٣]، وفي سنة (٤٦٠هـ – ١٠٦٧م)، زلزلت مصر زلزلةً عظيمة، حتى طلع الماء من الآبار وهلك عالم عظيم تحت الردم[٤] وانحسر البحر عن الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه السمك فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقاً كثيراً[٥].

ولكن ما هو أسوأ وقع في سنة (٤٥٧هـ – ١٠٦٤م)، حيث أصاب القحط الديار المصرية فاستولى الخراب على كل البلاد ومات أهلها وانقطعت السبل براً وبحراً وكان معظم الغلاء سنة (٤٦٢هـ – ١٠٦٩م)[٦]، وأصاب مصر مجاعة عظيمة في هذه السنة حتى أكل الناس بعضهم البعض فحدثت في مصر هجرة جماعية، فورد بغداد منهم خلق كثير هرباً من الجوع[٧]، وقد هلك من كان بمصر من السكان والذي تقدر تعداد دورهم أكثر من مئة ألف دار[٨]، وسمي هذا القحط بالشدة العظمى لفظاعته وهوله[٩]، واستمر القحط سبع سنين من سنة (٤٥٧هـ – ١٠٦٤م)، إلى سنة (٤٦٤هـ – ١٠٧١م)، ولم يعد في مصر من يزرع لموت الناس واختلاف الولاة والرعية[١٠].

---

[١]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣١٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٥، ص٢٢٠.

[٢]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص٨٣.

[٣]– الخزرجي: عيون الأنباء، ج١، ص٥٦٣.

[٤]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٧.

[٥]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٥٢٣.

[٦]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣.

[٧]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٨٥.

[٨]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٤٠.

[٩]– المصدر السابق: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٤٠؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص٩٨.

[١٠]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣.

إذاً فقد ترنحت مصر أمام ضربات الزلازل والأوبئة والمجاعات، حيث فقدت مصر معظم سكانها قبيل الحروب الصليبية كما وخسرت مصر الكثير من مواردها المالية لتعطل الزراعة والتجارة وسبل الحياة فيها، مما يضع مصر في موقف أضعف في مواجهة التهديد القادم من الغرب.

## ظلم الحكام والولاة:

بالإضافة لما سبق فقد كان هناك عوامل أخرى أثرت في إهدار موارد ومقدرات بلاد المشرق الإسلامي المادية والبشرية على حدٍ سواء، ألا وهو الظلم الذي مارسه بعض الحكام والولاة، وسوف نستعرض بعض النماذج لهؤلاء الحكام والولاة.

ومن النماذج السيئة لهؤلاء الولاة ابن منزو حيث يقول فيه ابن القلانسي " الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي، ولى دمشق قهراً وغلبةً وقسراً من غير تقليد في سنة (٤٦١هـ – ١٠٦٨م) فبالغ في المصادرات حينئذ، وارتكب من الظلم ومصادرة أموال المستورين الأخيار ما هو مشهور من الجور، وما هو شائع بين الأنام، ولم يلق أهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش بن الصمصامة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله وقاسوه من اعتدائه ولؤم أصله، ولم تزل هذه أفعاله إلى أن خربت أعمالها، وخلا عنها أهلها، وهان عليهم مفارقة أملاكهم وسأوهم عن أوطانهم بما عانوه من ظلمه ولابسوه من تعديه وغشمه، وخلت الأماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحيها، وما برح لقاء الله على هذه القضية المنكرة والطريقة المكروهة إلى أن أجاب الله وله الحمد والشكر دعاء المظلومين ولقاه عاقبة الظالمين وحقق الأمل فيه بالراحة منه وأوقع بينه وبين العسكرية بدمشق الشحناء والبغضاء فخاف على نفسه الهلاك والبوار فاستشعر الوبال والدمار فلم يكن له إلا الهرب منهم والنجاة من فتكهم[١].

أما النموذج الثاني من الولاة الظلمة الذين أفسدوا الحرث والنسل، أتسز بن أوق[*] حيث يقول فيه ابن القلانسي حين دخل دمشق وسيطر عليها " فلما دخلها في ذي القعدة سنة (٤٦٨هـ – ١٠٧٥م)، وحصل بها نزل بأهلها منه قوارع البلاء بعد ما عانوه من ابن منزو لعنه الله واشتداد

---

[١]– تاريخ أبي يعلى، ج١، ص٦٣.

[*]– أتسز بن أوق الخوارزمي وهو من أمراء السلطان ملكشاه، سيطر على الرملة والقدس ودمشق وما حولها، وغزى مصر ولم يفلح في السيطرة عليها. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٩٠، ٤١٢.

البلاء من انزال دورهم واخراجهم منها واغتصاب أملاكهم والقبض لها، واستعمال سوء السيرة وخبث النية والسريرة وتواصلت الدعوات عليه من سائر الناس وعلى أصحابه وأتباعه في جميع الأوقات وأعقاب الصلوات والرغبة إلى الله تعالى ذكره بإهلاكه وتعفية أثاره "[1].

وفي بلاد العراق حيث ابتلاهم الله بالوزير الشيرازي[*]، لما قُتل أحد أعوانه بالكرخ أمر هذا الوزير بإضرام النار في الأسواق فاحترق سوق النحاسين والسماكين، واحترقت أموال عظيمة، وجماعة من الرجال والنساء والصبيان في الدور والحمامات، فأحصى ما احترق فكان سبعة عشر ألف وثلاثمائة دكان، وثلاثمائة وعشرين داراً ، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار، ودخل في الجملة ثلاثة وثلاثون مسجداً، ثم قبض عليه فسقي سم الذراريح فهلك سنة (٣٦٢هـ – ٩٧٢م)[2].

أما مصر فقد شهدت سيرة حاكم ما زال حتى يومنا هذا مضرباً للأمثال في الجور والظلم وفساد السيرة، ألا وهو الحاكم بأمر الله العبيدي، فكانت سيرته من أعجب السير يخترع كل يوم أحكاما ويجبر الناس على العمل بها، ففي سنة (٣٩٥هـ – ١٠٠٤م)، أمر بسب الصحابة رضوان الله عليهم وكتابة ذلك على حيطان المساجد والقياسر والشوارع، وكتب إلى سائر عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب، ثم أمر بقطع ذلك ونهى عنه وعن فعله، وذلك في سنة (٣٩٧هـ – ١٠٠٦م)، ثم تقدم بعد ذلك بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهره، كما أمر بقتل الكلاب في سنة (٣٩٥هـ – ١٠٠٤م) فلم ير كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قتل، ونهى عن بيع الفقاع والملوخية وكبب الترمس والجرجير والسمكة التي لا قشر لها، وأمر بالتشديد في ذلك، والمبالغة في تأديب من يخالف، فاعتقل جماعة من الناس باعوا أشياء منها فضربوا بالسياط وطيف بهم، ثم ضربت أعناقهم، وفي سنة (٤٠٢هـ – ١٠١١م) نهى عن بيع الزبيب، قليله وكثيره، على اختلاف أنواعه، ونهى التجار من حمله إلى مصر، ثم جمع بعد ذلك ما وجده من زبيب عند التجار وأحرقه، فكانت خسارة التجار كبيرة، كما منع من بيع العنب، وأرسل رجاله إلى الجيزة فقطعوا كثيراً من كرومها ورموها في الأرض وداسوها بالبقر، وجمع ما كان في مخازنها من جرار

---

[1]– تاريخ أبي يعلى، ج١، ص٦٦.

[*]– هو أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي تولى الوزارة لعز الدولة بن بويه في سنة (٣٥٧هـ – ٩٦٧م). الهمداني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم أبو الفضل: (المتوفى: ٥٢١هـ – ١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م. ج١، ص١٩٩.

[2]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٢١٥.

العسل فكانت خمسة آلاف جرة، فحملت إلى شاطئ النيل وكسرت وقلبت في نهر النيل، وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود إلا الخيابرة بلبس العمائم السود وأن يلبس النصارى في أعناقهم الصلبان، على أن يكون طوله ذراعاً ووزنه خمسة أرطال، وأن تحمل اليهود في أعناقهم القرامي الخشب على وزن صلبان النصارى، ولا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة، وأن تكون سروجهم من الخشب، ولا يستخدموا أحدا من المسلمين ولا يستأجروا حماراً صاحبه مسلم، ولا سفينة صاحبها مسلم، وأن يكون في أعناق النصارى إذا دخلوا الحمام الصلبان، وفي أعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين، ثم خصص حمامات لليهود وللنصارى وجعل على حمامات النصارى الصلبان وعلى حمامات اليهود القرامي وذلك في سنة (٤٠٨هـ ١٠١٧م)، وفيها أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية ووهب جميع ما فيها من الأموال والمقتنيات لجماعة من المسلمين، ونهى عن تقبيل الأرض له وعن الدعاء له والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات وأن يجعل عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين، وفي سنة (٤٠٤هـ – ١٠١٣م) أمر أن لا ينجم أحد وأن ينفى المنجمون من البلاد، ثم أعفوا من النفي وكذلك أصحاب الغناء، وفي شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف للنساء، ومحيت صورهن من الحمامات واستمر منع النساء من الخروج مدة سبع سنين وسبعة أشهر[١]، وكان ومن شدة ظلم الحاكم بأمر الله ما أورده الذهبي في فجور الحكم وشنيع فعله، حيث يقول " وقد حبب في الآخر إلى الحاكم العزلة، وبقي يركب وحده في الأسواق على حمار، ويقيم الحسبة بنفسه، وبين يديه عبد ضخم فاجر فمن وجب عليه تأديب أمر العبد أن يولج[*] فيه، والمفعول به يصيح "[٢].

كما رأينا الدور السلبي الذي أداه بعض الولاة الظلمة في رعاياهم من إهلاكٍ للحرث والنسل وذلك نتاج طمعهم وسوء تصرفاتهم، والثمن تدفعه الرعية من مقدراتها وأبنائها.

---

[١]– ابن سمعون: أمالي ابن سمعون، ج١، ص٢٥٠؛ ابن حماد، محمد بن علي أبو عبد الله: (المتوفى: ٦٢٨هـ– ١٢٣٠م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠١هـ. ج١، ص٩٧ – ١٠٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٣، ٢٩٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨، ص٢٨٣.

[*]– يولج الرجل في زوجته أي جامع الرجل زوجته. الأنصاري، زكريا: (المتوفى: ٩٢٦هـ– ١٥١٩م)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، تحقيق: محمد محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٠م. ج١، ص٤٢٥؛ الشربيني، محمد الخطيب: (المتوفى: ٩٧٧هـ – ١٥٦٩م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت. ج١، ص٤٤٣.

[٢]– سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٧٦.

## الصراعات الداخلية بين الحكام:

إن من أهم الأسباب التي تؤثر تأثيراً سلبياً على النمو الاقتصادي هي حالة الاستقرار السياسي لأي بلد[١]، وقبيل الغزو الصليبي لبلاد الشام عجت بلاد الشام وإقليم الجزيرة العراقية بالكثير من الصراعات بين حكامها، وكان معظم هذه الصراعات في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري[٢].

وتجنباً للتكرار سوف نأتي على ذكر تفاصيل هذه الصراعات في الفصل الرابع، وما ذكرناها هنا إلا لنوضح مدى تأثير هذه الصراعات في إضعاف القوة الاقتصادية والبشرية لبلاد المشرق الإسلامي.

## غارات البدو على المناطق الحضرية:

اتصف البدو على مر العهود بأنهم أصحاب شجاعة، فهم دائما يحملون السلاح، فهم مستعدون ومتأهبون على الدوام، يجوبون الأنحاء والطرق، فهم كثيروا الترحال، كما أنهم أهل بأس وشجاعة، متى استنفروا إلى أي صارخ أو دعاهم داعي[٣].

ويصف ابن الأثير حال بلاد الشام سنة (٤٣٣هـ – ١٠٤١م) بعد وفاة أنوشتكين الدزبري نائب المستنصر بالله[*] الفاطمي صاحب مصر فيقول " فلما توفي فسد أمر بلاد الشام وانتشرت الأمور بها وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا في نواحيه..."[٤].

أما العراق ففي سنة (٤٤٨هـ – ١٠٥٦م)، " في هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب، فغلت الأسعار، وكثر الغلاء، وتعذرت الأقوات، وغيرها من كل شيء وأكل الناس الميته، ولحقهم وباء عظيم، فكثر الموت، حتى دفن بغير غسل ولا تكفين"[٥].

---

[١]– خسرو: سفرنامه، ج١، ص١٠٥، ١٠٨؛ عط الله: الحياة الفكرية، ص٩١.

[٢]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٣٥، ٣٦٧، ٤٧٧، ٤٧٨، ج٩، ص١١،

[٣]– ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص١٢٦.

[*]– هو أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله بويع بالأمر بعد موت والده الظاهر، وحدث في عصره من الفتن والشدائد ما لم يحدث لأحد ممن سبقوه من خلفاء دولته، حيث حكم ستين عاماً وأربعة أشهر، ومات سنة (٤٨٧هـ – ١٠٩٤م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٨٦ – ١٩٥.

[٤]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٥٣.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٣٥.

وفي سنة (٤٨٣هـ – ١٠٩٠م) نهب العرب البصرة نهبا عظيما حيث يصف ابن الأثير هذه الحادثة فيقول " ودخل العرب حينئذ البصرة وقويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا وأصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا وأحرقوا مواضع عدة وفي جملة ما أحرقوا دارين للكتب إحداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا إليها وهي أول دار وقفت في الإسلام والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاء مردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها وأحرقوا أيضا النحاسين وغيرها من الأماكن وخربت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير من جملتها "[١].

وتعد الخصومات السياسية الداخلية عاملاً آخر يدفع البدو إلى الغزو والسلب والنهب من خلال استعانة القوى السياسية المحلية بهؤلاء، فتشجعهم على النهب والتدمير وقطع الشجر وحرق غلال الخصم، ولعل في نزاعات بني مرداس الداخلية في شمالي بلاد الشام والصراع بين أهل دمشق والسلطة العبيدية، وحروب بني الجراح في فلسطين وطبرية بالإضافة إلى الجند المرتزقة من الاتراك والمغاربة خير دليل على ذلك[٢].

لقد كان للبدو بالغ الأثر في عدم الاستقرار السياسي في بلاد المشرق الإسلامي في حال ما كانوا يشغبون، والذي ينعكس بدوره على النمو والازدهار الاقتصادي.

## الحروب مع الدولة البيزنطية:

شهدت بلاد الشام ما بين نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري، هجمات متعددة من قبل الدولة البيزنطية، حيث استمر البيزنطيون في هجماتهم على الأراضي الإسلامية وبخاصة في شمال بلاد الشام[٣]، وتجنباً للتكرار سوف نكتفي هنا بعرض بعض الأمثلة لأثر هذه الحروب على اهدار المقدرات المادية والبشرية لبلاد الشام، حيث اننا سوف نتكلم بشيء من التفصيل عن هذه الحروب في الفصل الأخير من الرسالة.

---

[١]– الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٦٥.

[٢]– ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٧٨؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٥٠.

[٣]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص١٨، ٦٤؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٥٠.

لقد كان لهذه الهجمات بالغ الأثر في إهلاك مقدرات البلاد الإسلامية المادية والبشرية على حدٍ سواء، ففي سنة (٣٤٥هـ – ٩٥٦م) هاجم الروم طرسوس فقتلوا وسبوا وأحرقوا قراها[١]، وفي سنة (٣٥١هـ – ٩٦٢م) دخل الروم مدينة حلب، حيث قال ابن العديم " وقتل من أهل سوادها ما في إعادته إرماض لمن سمعه ووهن على الإسلام وأهله "[٢]، ثم أعاد الروم الهجوم في سنة (٣٨١هـ – ٩٩١م) على حمص ففتحوها ونهبوها، ثم نهبوا شيزر[٣]، ومدينة قنسرين " اكتسحها الروم فكأنها لم تكن إلا بقايا دمن"[٤]، وفي سنة (٤٦٢هـ – ١٠٦٩م) أقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف إلى الشام وهاجم مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها[٥].

هذه هي أحوال الشام الاقتصادية بكل مقدراتها المادية والبشرية، وبجميع المؤثرات التي كان لها الدور الأبرز في عملية النمو والاقتصادي، وبذلك نكون قد استعرضنا هذه المقدرات ومدى قوة الموارد المادية التي تمتعت بها بلاد المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، وايضاً استعرضنا العوامل التي تؤثر سلباً في إهدار هذه المقدرات المادية والبشرية على حدٍ سواء، لكي نصل إلى تصور أكثر وضوحاً عن أحوال المنطقة قبيل تعرضها لضربات الحملات الصليبية الأولى.

---

[١]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣١٤.

[٢]– بغية الطلب، ج١، ص٦٧.

[٣]– ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٤.

[٤]– ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٧٢.

[٥]– الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨٤.

## ❖ الفصل الرابع: الأوضاع السياسية في بلاد المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

- **المبحث الأول: الأوضاع السياسية في العراق**
  - ✓ **الخلافة العباسية**
  - ✓ **دولة بني بويه**
  - ✓ **الدولة السلجوقية**
  - ✓ **الدويلات والممالك التي قامت في العراق**
- **المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الشام**
  - ✓ **الصراع مع الامبراطورية البيزنطية**
  - ✓ **سيطرة القرامطة على الشام**
  - ✓ **السيطرة العبيدية على الشام**
  - ✓ **سيطرة الدولة السلجوقية على الشام وتفككها إلى دويلات**
- **المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في مصر**
  - ✓ **الصراع بين الدولة العبيدية والخلافة العباسية**
  - ✓ **الدولة العبيدية وصراعاتها الداخلية**
  - ✓ **الثورات والفتن في مصر زمن الدولة العبيدية**

## المبحث الأول: الأوضاع السياسية في العراق

### الخلافة العباسية:

بدأ الضعف يدب في خلافة بني العباس، وخضع خلفاء بني العباس لسيطرة القادة العسكريين الأتراك[١]، حيث تمزقت دولة بني العباس وظهرت دويلات كثيرة نشأت داخل جسم الخلافة العباسية كما سوف نرى.

استطاع القادة العسكريين الأتراك السيطرة على الخليفة العباسي المنتصر بن المتوكل[*]، ومن هنا بدأت سيطرة الأتراك على الخلافة العباسية[٢]، تعاقب على الخلافة العباسية العديد من الخلفاء العباسيين، حيث كان القادة الأتراك يتحكمون في تولية الخلفاء وعزلهم أو حتى قتلهم[٣]، استمرت سيطرة الأتراك على خلفاء بني العباس إلى أن تولى الخلافة المستكفي بالله[*٢] حيث دخل بني بويه بغداد في عهده بعد فرار الأتراك منها، وبهذا أنهوا سيطرة الأتراك على الخلافة العباسية، وبدأت سيطرت بني بويه عليها[٤].

خلال سيطرة بني بويه والتي استمرت من سنة (٣٣٤هـ وحتى ٤٤٧هـ)، الموافق (٩٤٥م – ١٠٥٥م)[٥]، أي ما يقارب من مائة وثلاثة عشرة سنة، تعاقب على الخلافة العباسية أربعة خلفاء فقط كما سوف نوضح، وهم المطيع[*٣] والذي تولى الخلافة سنة (٣٣٤هـ – ٩٤٥م)، وتنازل عنها

---

[١]– اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٩٢، ٤٩٤؛ شاكر: التاريخ الاسلامي، ج٦، ص٣، ١٠، ١١، ١٨.

[*]– هو محمد المنتصر بن جعفر المتوكل، بويع له بالخلافة في نفس الليلة التي قتل فيها أبو المتوكل، وكانت خلافته ستة أشهر وتوفي سنة (٢٤٨هـ – ٨٦٢م)، وكانت عمره خمساً وعشرين سنة وستة أشهر. المصدر السابق: ج٢، ص٤٩٣.

[٢]– المصدر السابق: ج٢، ص٤٩٣.

[٣]– المصدر السابق: ج٢، ص٤٩٢، ٤٩٤.

[*٢]– هو أبو العباس عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي بن المعتضد، بويع له بالخلافة سنة (٣٣٣هـ – ٩٤٤م)، خلع من الخلافة في سنة (٣٣٤هـ – ٩٤٥م)، فكانت خلافته سنة وأربع شهور، مات سنة (٣٤٣هـ – ٩٥٤م)، عن عمر ستة وأربعين سنة. ابن سمعون: أمالي ابن سمعون، ج١، ص٨٨، ٨٩.

[٤]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٤٢.

[٥]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤٢؛ الصلابي: دولة السلاجقة، ص٤٧.

[*٣]– هو أبو القاسم أمير المؤمنين المطيع لله بن المقتدر بن جعفر بن المعتضد العباسي، ولد سنة (٣٠١هـ – ٩١٣م)، ومات سنة (٣٦٤هـ – ٩٧٤م). الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٣٢٨.

غير مكره لولده الطائع لله[*٤] في سنة (٣٦٣هـ – ٩٧٣م) فكانت خلافته أربعين سنة[١]، واستمرت مدة حكم الطائع حتى خلع في سنة (٣٨١هـ – ٩٩١م)، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر[٢]، وبويع القادر[*] بالخلافة في اليوم الذي خلع فيه الطائع، واستمر القادر في الخلافة حتى مات سنة (٤٢٢هـ – ١٠٣٠م)، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وبموت القادر تولى الخلافة من بعده ابنه القائم حيث استمرت مدة حكمه إلى أن مات في سنة (٤٦٧هـ – ١٠٧٤م)، وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر وقيل خمساً وأربعين سنة، فقد كان آخر خليفة من خلفاء بني العباس في دولة بني بويه، حيث انقرضت الدولة البويهية في عهده، وتولى الخلافة من بعده حفيده المقتدي[*٢] الذي توفي في سنة (٤٨٧هـ – ١٠٩٤م)، ثم خلفه ولده المستظهر[*٣] في اليوم الذي مات فيه، استمر المستظهر في الخلافة حتى موته في سنة (٥١١هـ – ١١١٧م)[٣]، وفي عهد المستظهر بدأت الحروب الصليبية[٤].

في القرن الرابع الهجري ازداد ضعف الخلافة العباسية، وبدأت تظهر دويلات في جسم الخلافة، حيث استقلت نسبياً عن تبعيتها للخلافة، وفي أحيان أخرى كانت هذه الدويلات تدخل في مواجهات مع الخلافة، ومن هذه الدول بني حمدان[٥]، والدولة الإخشيدية في مصر (٣٢٣هـ – ٩٣٤م / ٣٥٨هـ – ٩٦٨م)[٦]، كما كان هناك نوع آخر من هذه الدول كان أكثر تأثير في إضعاف سلطة الخلافة على بلاد المشرق الإسلامي، من هذه الدول دولة بني بويه التي سيطرت

---

[*٤]– عبد الكريم أبو بكر الطائع لله، بويع له بالخلافة يوم خلع أبوه نفسه، من الخلافة وعمره سبع وأربعون سنة، مات سنة (٣٩٣هـ – ١٠٠٢م). ابن سمعون: أمالي ابن سمعون، ج١، ص٨٩، ٩٠.

[١]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٣٢٨.

[٢]– ابن سمعون: أمالي ابن سمعون، ج١، ص٩٠.

[*]– هو أحمد القادر بالله أمير المؤمنين ابن إسحاق بن المقتدر، توفي القادر بالله سنة (٤٢٢هـ – ١٠٣٠م)، وكان عمره ستة وثمانين سنة وعشرة أشهر. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ٢٢٠.

[*٢]– هو عبد الله بن ذخيرة الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله، ويكنى أبا القاسم، ولد سنة (٤٤٨هـ – ١٠٥٦م) تولى الخلافة وعمره تسعة عشر سنة. المصدر السابق: ج١٦، ص١٦٤، ١٦٥.

[*٣]– هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبي العباس بن أحمد بن القائم بأمر الله، بويع له بالخلافة وله من العمر ستة عشر سنة وشهران. النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص١٤٧.

[٣]– الدميري: حياة الحيوان، ج١، ص١٣٨، ١٣٩.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص١٤٧.

[٥]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٣٤.

[٦]– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٦١.

على الخلافة العباسية كما أسلفنا، والدولة السلجوقية التي أزاحت دولة بني بويه وسيطرت هي بدورها على الخلافة كما أشرنا سابقاً.

وبهذا تكون الخلافة العباسية قبيل الحروب الصليبية قد فقدت سيطرتها على بلاد المشرق الإسلامي بصورة عملية، فقد كانت واقعة تحت تأثير القادة العسكريين الأتراك، ولم يكن للخليفة إلا الاسم دون السيطرة الفعلية على مقاليد الحكم.

## دولة بني بويه:

في بلاد فارس بدأت تظهر دول وممالك استقلت هي الأخرى عن تبعيتها للخلافة العباسية ومن هذه الدول دولة عرفت باسم دولة بني بويه[١]، وبنو بويه من الفرس، وانما نسبوا إلى الديلم لطول مقامهم ببلادهم[٢]، وبنو بويه من الشيعة الرافضة[٣]، وأول من عرف من هذه الأسرة هو أبو شجاع بويه[*] كان صياداً للسمك، وكان له خمسة أولاد المشهور منهم ثلاثة، وهم: عماد الدولة أبو الحسن علي[*٢]، وركن الدولة أبو علي الحسن[*]، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد[*٤]، فهؤلاء الذين ملكوا البلاد، فقد بدأوا كجنود مع القائد (ماكان بن كالي)، ثم تدرجوا في المناصب لشجاعتهم حتى ملكوا الكثير من بلاد فارس، وأول ما استولوا عليه من المدن كانت أصفهان سنة (٣٢١هـ – ٩٣٣م)[٤]، وبعد أن قويت دولة بني بويه سيطروا على بغداد في سنة (٣٣٤هـ – ٩٤٥م)، كما أشرنا سابقاً.

---

[١]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٤٢؛ شاكر: التاريخ الاسلامي، ج٦، ص١٨، ١٣٦.

[٢]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٣.

[٣]– ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٣٤.

[*]– أبو شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل، فهو يرجع في نسبة إلى يزدجرد ملك الفرس، وهو أبو ملوك بني بويه الأوائل. ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر: (المتوفى: ٤٧٥هـ – ١٠٨٢م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ. ج١، ص٢٧٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٣.

[*٢]– عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي، وهو أول من تملك البلاد من بني بويه، وكانت دولته ست عشرة سنة وعاش بضعا وخمسين سنة، توفي سنة (٣٣٨هـ – ٩٤٩م)، وقيل في سنة (٣٣٩هـ – ٩٥٠م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٠٣.

[*٣]– هو السلطان ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه الديلمي صاحب اصبهان وبلاد العجم، حكم البلاد خمسا واربعين سنة، مات سنة (٣٦٦هـ – ٩٧٦م)، وله من العمر ثمانون سنة. المصدر السابق: ج١٦، ص٢٠٣.

[*٤]– هو السلطان أبو الحسين أحمد بن بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي الديلمي الفارسي، تملك العراق نيفا وعشرين سنة، مات سنة (٣٥٦هـ – ٩٦٦م)، عن عمر ناهز الثالثة والخمسين سنة. المصدر السابق: ج١٦، ص١٨٩، ١٩٠.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٣ – ١٠٠.

ابتدأت دولة بني بويه في العراق في عهد معز الدولة بن بويه[١]، كان في بني بويه تعسف شديد ومغالاة في التشيع[٢]، حتى كان عهدهم عصر صراع بين السنة والشيعة بشكل واسع كما وضحنا سابقاً، وكان بنو بويه هم أول من ابتدع بدعة النياحة بشكل سيء في عاشوراء على الحسين بن علي[٣]، حيث ابتدعها معز الدولة بن بويه في سنة (٣٥٢هـ – ٩٦٣م)[٤]، لم تدم الوحدة في داخل البيت البويهي طويلاً، فقد وقع الخلاف فيما بينهم، حيث إنه لما مات معز الدولة في سنة (٣٥٥هـ – ٩٦٥م)، استخلف ابنه بختيار الذي تسمى بعز الدولة، حيث انشغل هذا الأخير باللهو ومعاشرة النساء والمساخر والمغنِّين، كما أساء معاملة كبار رجال الدولة، فكان أول الخارجين عليه أخوه مشيد الدولة حبشي، الذي كان يتولى حكم البصرة، وذلك في سنة (٣٥٧هـ – ٩٦٧م)، لم يفلح مشيد الدولة في عصيانه حيث تم اعتقاله، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل توالت الانقسامات، حيث خرج عليه الحاجب سبكتكين[*] الذي كان من الأتراك السنة، فاستولى على بغداد في سنة (٣٦٣هـ – ٩٧٣م) والتفت العامة حوله حيث وقعت الفتنة بين السنة والشيعة، كانت الغلبة فيها لأهل السنة، وفيما يبدو أن أهل السنة قد وجدوا من ينصرهم على تغول الشيعة عليهم في عهد حكم البويهيين. لم يلبث سبكتكين طويلاً حيث مات وخلفه الفتكين[*٢] وتم القضاء على هذا التمرد بمساعدة عضد الدولة بن بويه وهو ابن عم عز الدولة، ولكن عضد الدولة طمع في الملك فاستولى على العراق واعتقل عز الدولة واخوته، ثم ما لبث أن أعاد عز الدولة إلى ما كان عليه من حكم العراق على إثر تدخل ركن الدولة بن بويه والد عضد الدولة، حيث رجع عضد الدولة إلى ما كان في يده من بلاد فارس[٥].

---

[١]– المصدر السابق: ج٢٦، ص١٠٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٥، ص٢٥.

[٢]– تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٣٤.

[٣]– المصدر السابق: ج٣، ص٣٣٤.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١١٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٤٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٢٧.

[*]– سبكتكين هو حاجب معز الدولة البويهي، لقبه الخليفة العباسي الطائع بنصر الدولة، مات سنة (٣٦٤هـ – ٩٧٤م). ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٢٤٣.

[*٢]– الفتكين هو مولى معز الدولة بن بويه تولى زعامة الأتراك بعد موت كبيرهم سبكتكين، تملك دمشق وقاتل العزيز بالله الفاطمي، ثم أصبح حاجب العزيز وسقي السم فمات سنة (٣٦٧هـ – ٩٧٧م). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٥٥، ٣٥٨.

[٥]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١١٢ – ١١٨.

لم يكن الصراع داخل البيت البويهي هو الخطر الوحيد الذي هدد هذه الدولة، بل كانت هناك الدولة الحمدانية في الموصل، والتي دخلت في مواجهة مع الدولة البويهية في سنة (٣٣٧هـ-٩٤٨م)، حيث وقع الصدام بين معز الدولة البويهي وناصر الدولة الحمداني[*١]، حيث انتهى هذا الصراع بتوقيع اتفاق بين الطرفين[٢]، كما تكررت الصدامات بين الدولتين ففي سنة (٣٤٧هـ – ٩٥٨م) وقع صدام آخر بين معز الدولة وناصر الدولة سيطر فيها معز الدولة على الموصل عاصمة الحمدانيين، وانتهت هذه الجولة أيضاً بالصلح فيما بينهما[٣].

استمر الصراع بين أبناء البيت البويهي، فلما وافت المنية ركن الدولة عهد بالأمر بعده إلى ولده عضد الدولة ولولده الثاني فخر الدولة[*٢] على همذان وأعمال الجبل، ولولده الثالث مؤيد الدولة[*٣] اصبهان وأعمالها، وجميعهم تحت امرة عضد الدولة[٤]، فلما مات ركن الدولة طمع عضد الدولة بحكم العراق والتي كانت تحت حكم ابن عمه عز الدولة، فسار إلى بغداد سنة (٣٦٧هـ – ٩٧٧م) واقتتل مع ابن عمه عز الدولة حيث استطاع عضد الدولة أن يسيطر على العراق وأَسر عز الدولة وقتله[٥]، كما وقع الخلاف بين عضد الدولة وأخيه فخر الدولة حيث استطاع عضد الدول أن يسيطر على ولاية فخر الدولة التي كانت تضم همذان والري، وضمهم إلى أملاك أخيه مؤيد الدولة الذي كان يتبع عضد الدولة[٦]، ولما تُوفى عضد الدولة سنة (٣٧٢هـ- ٩٨٢م) خلفه ابنه كاليجار المرزبان وتلقب بصمصام الدولة[*٤][٧]، فوقع الخلاف بينه وبين أخيه شرف

---

[*]- هو أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ابن حمدون، ملك الموصل بعد مقتل أبيه أبا الهيجاء في سنة ( ٣١٧هـ – ٩٢٩م)، احتفظ بولاية الموصل إلى أن قبض عليه ابنه أبو تغلب في سنة (٣٥٦هـ – ٩٦٦م)، ومات في سنة (٣٥٧هـ – ٩٦٧م). ابن العديم: بغية الطلب، ج٥، ص٢٤٣٦.

[٢]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٢٧.

[٣]- النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١١٥.

[*٢]- هو فخر الدولة علي بن ركن الدولة بن بويه، عاش ستا وأربعين سنة وكانت دولته أربع عشرة سنة، مات في الري سنة (٣٨٧هـ – ٩٩٧م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٣٠.

[*٣]- هو أبو منصور مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وتوفى بجرجان سنة (٣٦٣هـ – ٩٧٣م)، عن عمر ثلاثاً وأربعين سنة، فكانت مدة حكمه خمس سنوات ونصف. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٣٠٢، ٣٠٣.

[٤]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٦٤؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج١، ص٣١٣.

[٥]- النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١١٩، ١٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٠، ٢٩١.

[٦]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٨٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٠٤.

[*٤]- هو صمصام الدولة، أبو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه، قتل سنة (٣٨٨هـ – ٩٩٨م)، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر. أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣٩.

[٧]- المصدر السابق: ج١، ص٢٣٢.

الدولة[*]، حيث قبض شرف الدولة على أخيه صمصام الدولة واعتقله في إحدى قلاع فارس، وسيطر على بغداد في سنة (٣٧٦هـ- ٩٨٦م)[١]، ولما مات شرف الدولة سنة (٣٧٩هـ- ٩٨٩م)، تولى أخيه بهاء الدولة[*٢] الحكم[٢]، ولم يلبث بهاء الدولة حتى دخل في مواجهة مع أخيه صمصام الدولة الذي استطاع أن يفر من سجنه، ودخل في مواجهة مع أخاه بهاء الدولة، فتصالحا على تقسيم دولة بني بويه بينهما، فأخذ صمصام الدولة فارس وأرجان[*٣] وأخذ بهاء الدولة خوزستان والعراق[٣]، ولما مات بهاء الدولة خلفة ابنه سلطان الدولة[*٤] سنة (٤٠٣هـ – ١٠١٢م)، وكما هي العادة في داخل البيت البويهي، ففي سنة (٤١١هـ – ١٠٢٠م) وقع الصدام المسلح بين سلطان الدولة وأخيه مشرف الدولة[*٥]، حيث سيطر مشرف الدولة على العراق، وتصالحا على أن يكون لمشرف الدولة العراق، ولسلطان الدولة فارس وكرمان، ولما مات مشرف الدولة سنة (٤١٦هـ – ١٠٢٥م)، خلفه أخوه جلال الدولة[*٦]، الذي مات في سنة (٤٣٥هـ – ١٠٤٣م)، فتولى الأمر من بعده ابن أخيه أبو كاليجار[*٧] المرزبان بن سلطان الدولة، واستمر في الحكم حتى مات في سنة (٤٤٠هـ – ١٠٤٨م)، فخلفه ابنه الملك الرحيم[*٨] والذي كان آخر ملوك بني بويه[٤].

---

[*]– هو شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك بن عضد الدولة البويهي، ولاه أبوه كرمان فلما بلغه وفاة أبيه سار إلى فارس فملكها، ثم ملك العراق، مات سنة (٣٧٩هـ- ٩٨٩م). ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٠٦ – ٦١٣.

[١]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٢٧؛ المصدر السابق: ج٤، ص٦٠٦ – ٦١٢.

[*٢]– هو أبو نصر خسرو فيروز بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، ملك بعد وفاة أخيه شرف الدّولة، مات سنة (٤٠٣هـ – ١٠١٢م). النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٣٤، ١٣٩.

[٢]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٣٦.

[*٣]– مدينة أرجان هي أصغر كور فارس وقاعدتها سابور. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٤٠٤.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٣٤ – ١٣٦.

[*٤]– هو أبو شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة بن عضد بن ركن الدولة بن بويه. النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٣٩.

[*٥]– هو مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، ملك العراق خمس سنين، مات مشرف الدولة عن عمر أربع وعشرين سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٤٠٨.

[*٦]– هو السلطان أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه، ولد سنة (٣٨٣هـ- ٩٩٣م). تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٥.

[*٧]– هو أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر ولد بالبصرة في سنة (٣٩٩هـ- ١٠٠٨م) عاش أربعون سنة وأشهر وولي العراق أربع سنين. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٣١٧.

[*٨]– هو الملك الرحيم أبو نصر خسره فيروز بن أبي كاليجار بن بويه، أخر ملوك بني بويه في العراق حيث قبض عليه طغرلبك وسجنه ومات في سجنه سنة (٤٥٠هـ – ١٠٥٨م). أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧١.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٤١ – ١٥٢.

## الدولة السلجوقية:

في الوقت الذي ضعفت فيه دولة بني بويه ظهرت فيه دولة السلاجقة، حيث تأسست دولة السلاجقة في خراسان سنة (٤٣٠هـ – ١٠٣٨م)، فكان طغرلبك أول ملوكهم[١]، وأما السلاجقة فهم من السنة[٢]، ولما ضعفت دولة بني بويه تقدمت جيوش طغرلبك من فارس إلى العراق ودخلت بغداد في سنة (٤٤٧هـ – ١٠٥٥م)[٣].

استمرت فترة حكم طغرلبك إلى أن مات في سنة (٤٥٥هـ – ١٠٦٣م) فخلفه في حكم دولة السلاجقة ابن أخيه ألب أرسلان[*][٤]، الذي تمكن من توسيع سلطنة السلاجقة باتجاه بلاد الشام، حيث سيطر على بعض مدن ساحل الشام[٥]، كما توسعت مملكة السلاجقة لتصل بلاد الروم[٦]، ولعل من أبرزها الإمارة التي أسسها قتلمش[*٢] بن إسرائيل بن سلجوق في مدينة قونية[*٣] وأقصرا[*٤] ونواحيها[٧]، وقد عرفت هذه الإمارة فيما بعد باسم إمارة سلاجقة الروم[٨].

---

[١]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٩، ص٤٢.

[٢]– ابن عبد الواحد: تحفة الترك، ج١، ص٧٤.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤٢؛ الصلابي: دولة السلاجقة، ص٤٧.

[*]– هو أبو شجاع محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان وهو ابن أخي السلطان طغرلبك، ولد سنة (٤٢٤هـ – ١٠٣٢م)، وكانت مدة ملكه تسع سنين وأشهراً. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٦٩، ٧٠.

[٤]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٦٠، ٣٦٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٦٩، ٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٧٤.

[٥]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٣٨٨.

[٦]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٦٧، ٤٣٥؛ شاكر: التاريخ الاسلامي، ج٦، ص٢١٨.

[*٢]– قتلمش ابن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق الملك شهاب الدولة التركماني السلجوقي، والد صاحب الروم سليمان بن قتلمش، وما زالت مملكة إقليم الروم في يد ذريته إلى أن أخذها منهم هولاكو، قتل قتلمش في حربه مع ألب أرسلان سنة (٤٥٦هـ – ١٠٦٣م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١١٢.

[*٣]– قونية هي مدينة من مدن قباذق وقباذق ولاية واسعة في بلاد الروم حدها جبال طرسوس، وهي من أعظم مدن الإسلام في بلاد الروم. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٣، ٤١٥.

[*٤]– أقصرا هي مدينة من مدن مملكة السلاجقة في بلاد الروم وهي مجاورة لمدينة قونية وتعد مدينة أقصرا ثاني أهم مدينة في مملكة السلاجقة بعد قونية. المغربي: الجغرافيا، ج١، ص٦١.

[٧]– ابن خلدون: تاريخ، ج٥، ص١٨٦.

[٨]– ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٣٠١؛ شاكر: التاريخ الاسلامي، ج٦، ص٢١٨.

ازداد نفوذ السلاجقة في بلاد المشرق الإسلامي بعد انتصارهم في معركة ملاذكرد[١] التي حقق فيها ألب أرسلان انتصاره على جموع الروم في سنة (٤٦٣هـ – ١٠٧١م)[٢]، وبعد هذه المعركة انتدب ألب أرسلان أتسز بن أوق[*] أحد قادته الأتراك لبسط السيطرة السلجوقية على بلاد الشام، حيث استطاع أتسز بن أوق أن ينتزع الرملة والقدس من قبضة الدولة العبيدية "الفاطمية" في سنة (٤٦٣هـ – ١٠٧٠م)[٣]، قتل ألب أرسلان في إحدى غزواته سنة (٤٦٥هـ – ١٠٧٢م) فخلفه ابنه ملكشاه[٤].

توسعت دولة السلاجقة في عهد ملكشاه كثيراً، حيث امتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن وملك الروم والخزر[٥]، كما استطاع أتسز بن أوق أن يستولي على مدينة دمشق في سنة (٤٦٨هـ – ١٠٧٥م)، كما استطاع أن يستولي على معظم مدن الشام[٦]، ثم توجه أتسز بجيشه صوب مصر سنة (٤٦٩هـ – ١٠٧٦م)، حيث دخل في مواجهة مع جيش العبيديين على الأراضي المصرية كانت الغلبة للعبيديين ولم يفلح أتسز من دخول مصر فارتد إلى الشام وتحصن في دمشق[٧]، واستنجد بتتش[*٢] بن ألب أرسلان[٨]، الذي كان قد وصل إلى أرض الشام

---

[١]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص١٤، ج٣٢، ص٣٧، ٣٨؛ الصلابي: دولة السلاجقة، ص٨٠؛ أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ترعة المريوطية شارع الهرم، ٢٠٠١. ص٨٧.

[٢]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨٨؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج٤، ص١٩٧٢، أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٧٧؛ ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص٣٦١، ٣٦٢.

[*]– هو الملك المعظم الأقسيس أتسز بن أوف الخوارزمي، أول من استعاد بلاد الشام من أيدي العبيديين وأزال الأذان منها بحي على خير العمل، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست سنين، حيث كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة، فأمر المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين، ونشر العدل وأظهر السنة، وهو أول من أسس القلعة بدمشق ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١١٣.

[٣]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص١٤، ج٣٢، ص٣٧، ٣٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٩٠.

[٤]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٧٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٨٣.

[٥]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤٢.

[٦]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٣٧، ٣٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٨٠.

[٧]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٦٦؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٢٧١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٨٦.

[*٢]– هو تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق السلجوقي، استولى على بلاد الشام، ولد سنة (٤٥٨هـ – ١٠٦٥م)، وقتل سنة (٤٨٨هـ – ١٠٩٥م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٥.

[٨]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٦٧؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٣٤٨.

بعد أن كلفه أخوه السلطان ملكشاه ليتولى شؤونها سنة (٤٧١هـ – ١٠٧٨م)[١]، لما وصل تتش مدينة دمشق قبض على أتسز وقتله، وتسلم هو حكم مدينة دمشق[٢]، حيث كان عمر تتش حين كلفه ملكشاه شؤون الشام ١٤سنة[٣]، ويميل الباحث إلى التعبير عن الاستغراب والدهشة من هذا التكليف لصبي بالكاد بلغ سن الحلم، وفيما يبدو أن هذا الإجراء هو اجراء إرضائي لأحد ورثة السلطان ألب أرسلان.

مات السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥هـ – ١٠٩٢م)[٤]، وبموته انفرط عقد الدولة السلجوقية، وتمزقت قوتها ووحدتها، ويقول ابن الأثير في ذلك "مات السلطان وانحلت الدولة ووقع السيف"[٥].

## الدويلات والممالك التي قامت في العراق:

سوف نتعرف على أهم الدويلات والممالك التي قامت على أرض العراق.

**الدولة الحمدانية:** تولى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون، سنة (٢٩٢هـ – ٩٠٤م)، ولاية الموصل وما حولها وذلك بتكليف من الخليفة المكتفي[٦]، ويعد أبو الهيجاء هو أول من تولى من بني حمدان ولاية الموصل[٧]، وبنو حمدان شيعة بل كانوا مغالين في التشيع[٨]، وفي سنة (٣٠٣هـ – ٩١٥م)، قبض الخليفة المقتدر بالله[*] على أبي الهيجاء وأودعه السجن هو وإخوته، ثم أطلق سراحه في سنة (٣٠٥هـ – ٩١٧م)، وفي سنة (٣٠٨هـ – ٩٢٠م) ولاه على طريق خراسان، والدَّينور، وضم إليه الموصل في سنة (٣١٤هـ – ٩٢٦م)، وكان أبو الهيجاء مقيما ببغداد وابنه

---

[١]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٦٧.

[٢]– المصدر السابق: ج١، ص٦٧؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٣٤٨.

[٣]– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٥.

[٤]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٨٠.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٧٩.

[٦]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٣٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٦٩.

[٧]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٠٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٦٩؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٥٨.

[٨]– ابن تيمية: كتب ورسائل، ج١٣، ص١٧٧.

[*]– هو أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد، ولد سنة (٢٨٢هـ – ٨٩٥م)، و ولي الخلافة عام (٢٩٥هـ – ٩٠٧م)، خلع مرتين من الخلافة وقتل سنة (٣٢٠هـ – ٩٣٢م)، وكان عمره حين تولى الخلافة ثلاثة عشر سنة، فكانت مدة خلافة أربع وعشرين سنة وأحد عشر شهراً. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٢١٣؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن: (المتوفى: ٥٩٧هـ – ١٢٠٠م)، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – ١٩٩٧م. ج١، ص٦٦.

ناصر الدولة يخلفه بالموصل حين قتل في سنة (٣١٧هـ – ٩٢٩م)[١]، خَلَفَ ناصر الدولة والده أبو الهيجاء على ولاية الموصل، والذي استطاع أن يحتفظ بولاية الموصل إلى أن قبض عليه ابنه أبو تغلب في سنة (٣٥٦هـ – ٩٦٦م)، ومات ناصر الدولة في سنة (٣٥٧هـ – ٩٦٧م)[٢]، وكان ناصر الدولة قبل وفاته قد وزع مملكته على أولاده، فولى عدة الدولة الغضنفر أبا تغلب فضل الله، ولاّه الجزيرة، وأبا المظفر حمدان ولاه نصيبين، وأبا الفوارس محمد ولاه الموصل، وأبو القاسم هبة الله ولاه بلد، وأبو طاهر إبراهيم ولاه سنجار، كما ولى أخاه سيف الدولة ديار بكر، وكان هذا أول ابتداء أمر سيف الدولة في سنة ( ٣٢٦هـ – ٩٣٧م)[٣]، حيث استطاع سيف الدولة بعد ذلك السيطرة على حلب وحمص في سنة ( ٣٣٣هـ – ٩٤٤م)[٤]، مات سيف الدولة في سنة (٣٥٦هـ – ٩٦٦م)، ولما توفي سيف الدولة، ملك بلاده بعده ابنه سعد الدولة شريف، وكنيته أبو المعالي بن سيف الدولة بن حمدان[٥].

وقع الخلاف بين أبناء ناصر الدولة فاقتتلوا فيما بينهم ووقعت بينهم حروب ومشاحنات أفضت إلى قتل بعضهم البعض، واستمروا على هذا الحال حتى سيطر عضد الدولة البويهي على معظم المدن التي كانت مع بني حمدان ومنها الموصل وميفارقين والجزيرة وآمد، باستثناء ما كان مع أبي المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة كحلب وديار مضر وربيعة وما حولها من الحصون والبلاد[٦]، استطاع أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان استعادة الموصل في سنة (٣٧٩هـ – ٩٨٩م)[٧]، واستمرت الدولة الحمدانية في الموصل حتى سنة (٣٨٠هـ – ٩٩٠م)، وبزوال الدولة الحمدانية قامت على أنقاضها دولتان الأولى الدولة المروانية، والتي قامت في ديار بكر، والدولة العقيلية والتي قامت في الموصل[٨].

وأما أبو المعالي سعد الدولة فقد استطاع أن يضبط شؤون الدولة كما تخلص من خصومه ومن هؤلاء الخصوم خاله أبي فراس الحمداني، فقد كان أبو فراس حاكماً على حمص، حيث أكثر

---

[١]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٧١.

[٢]– ابن العديم: بغية الطلب، ج٥، ص٢٤٣٦.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٧٦، ٧٧.

[٤]– ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٣١.

[٥]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٢٢؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٨٣.

[٦]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٨١ – ٨٤.

[٧]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٤٠.

[٨]– المصدر السابق: ج٧، ص٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥.

الظلم والتعدي على أهل حمص، فقصده أبو المعالي ووقع القتال بينهما فقتل أبو فراس وتسلم أبو المعالي حمص[١]،الذي مات سنة (٣٨١هـ – ٩٩١م)[٢]، وتولى من بعده ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة، وصار المدبر له وصاحب جيشه لؤلؤ الجراحي[٣]، فاستولى على الأمور وزوج ابنته سعيد الدولة، مات أبو الفضائل سعيد الدولة في سنة (٣٩٢هـ – ١٠٠١م) [٤]، وبموته انقرضت الدولة الحمدانية في الشام[٥].

**الدولة المروانية:** ويعد بني مروان من الأكراد[٦]، وكانت ابتداء هذه الدولة على يد باذ الكردي[*] الذي استطاع أن يؤسس له إمارة في ديار بكر، فقد كان كثير الغزوات في تلك الأنحاء، فملك ميافارقين وكثيرا من ديار بكر بعد موت عضد الدولة، كما دخل في صدامات عدة مع الدولة البويهية، استطاع أن يصد تلك الهجمات التي شنها البويهيون ضده، وبذلك يكون قد وطد أركان دولته الناشئة، وحين حاول باذ الكردي الاستيلاء على الموصل وانتزاعها من يد الحمدانيين قتل في سنة (٣٨٠هـ – ٩٩٠م)، فتولى الأمر من بعده ابن أخته أبو علي بن مروان[٧]، ولم يلبث أبو علي بن مروان طويلاً حتى قتل في مدينة آمد، حيث سيطر على مدينة آمد من بعده ابن عبد البر شيخ آمد، وقتل ابن عبد البر على يد ابن دمنه الذي سيطر على مدينة آمد، واستطاع ممهد الدولة بن مروان أخو أبو علي بن مروان السيطرة على ميافارقين وقتل هو الأخر وذلك في سنة (٤٠٢هـ – ١٠١١م)[٨]، على يد أحد قادته ويدعى شروه، الذي سيطر على معظم بلاد بني مروان، وكان

---

[١]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٨٥. ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٩٢.

[٢]– ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص١٠٤، ١٠٥، ١٠٩.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٠.

[٤]– ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص١٠٥، ١٠٩.

[٥]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٢١٨.

[٦]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤١٥؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج٣، ص١١٣٠؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٢٦٤.

[*]– واسمه أبو عبد الله الحسين بن دوستك وهو من الاكراد الحميدية، وكان ابتداء أمره انه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيرا وكان عظيم الخلقة له باس. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤١٥، ٤٤٣.

[٧]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤١٥، ٤٤٣، ٤٤٤.

[٨]– المصدر السابق: ج٧، ص٤٤٤، ٤٤٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٧٠.

لممهد الدولة أخ آخر اسمه أبو نصر أحمد[*]، استطاع أن يسترجع جميع بلاد بني مروان من يد شروة، واستمر في حكم البلاد حتى سنة (٤٥٣هـ - ١٠٦١م)، وتلقب بنصر الدولة، وبعد موته توزعت دولته بين أبنائه، فتولى ابنه نصر بن أحمد ميافارقين، وملك أخوه سعيد بن أحمد آمد[١]، فكان نصر بن أحمد آخر ملوك البيت المرواني[٢]، وتمكن السلاجقة من اسقاط الدولة المروانية[٣]، حين انتدبوا فخر الدولة بن جهير[*٢] لهذا الأمر، في سنة (٤٧٨هـ - ١٠٨٥م)[٤].

**الدولة العقيلية:** استولى أبو الذواد محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر أمير بني عقيل على الموصل، وقتل أبا الطاهر ابن ناصر الدولة بن حمدان، وقتل أولاده وعدداً من قادته وذلك في سنة (٣٨٠هـ - ٩٩٠م)[٥]، فلم تزل في يده إلى أن توفي في سنة (٣٨٧هـ - ٩٩٧م)، ووليها المقلد أخوه إلى أن قتل في سنة (٣٩١هـ - ١٠٠٠م)، ووليها ولده قرواش[٦]، الذي استمر في حكم الموصل إلى أن حجر عليه أخوه زعيم الدولة أبو كامل بركة في سنة (٤٤٢هـ - ١٠٥٠م)[٧]، وما لبث زعيم الدولة أن توفي في سنة (٤٤٣هـ - ١٠٥١م)[٨]، فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد، فأول ما فعل قريش أنه قتل عمه قرواش في محبسه في سنة (٤٤٤هـ - ١٠٥٢م)[٩]، وفي سنة (٤٥٣هـ - ١٠٦١م) مات قريش بن بدران وخلفه ولده شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش[١٠]، كان أعظم شخصيات الأسرة العقيلية، حيث اتسعت مملكة

---

[*]- هو نصر الدولة أبو نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب ديار بكر، عاش نيفاً وثمانين سنة، وإمارته اثنتين وخمسين سنة. أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٧٢.

[١]- أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣٥، ٢٧٢.

[٢]- ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٣٧٠.

[٣]- المصدر السابق: ج١، ص٣٧٠؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٦١.

[*٢]- هو فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير، تقلد الوزارة للعديد من الرؤساء والملوك، حيث وزر لمعز الدولة ثمان بن صالح بن مرداس، ثم وزر لنصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ديار بكر، ثم لولده ثم وزر للخليفة ببغداد، وخد السلطان ملكشاه، فأخذ له ديار بكر من بني مروان، ومات في سنة (٤٨٣هـ - ١٠٩٠م). ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص٥.

[٤]- ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٣٧٠.

[٥]- أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٣٥.

[٦]- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٤٤٣؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٥٩.

[٧]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٩٤؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٦٥.

[٨]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦٧؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٣٤١.

[٩]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص٥٠.

[١٠]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٥٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦٧.

بني عقيل في عهده، فقد استطاع أن يضم حلب[١]، واستولى على ديار ربيعة ومضر، وأخذ الآتاوة من بلاد الروم، وقصد دمشق وحاصرها وكاد يأخذها[٢]، قتل شرف الدولة مسلم بن قريش في سنة ( ٤٧٨هـ – ١٠٨٥م)، فتولى الأمر من بعده أخوه ابراهيم بن قريش[٣]، والذي قتل في سنة (٤٨٦هـ – ١٠٩٣م)، فتولى الأمر من بعده ابنا مسلم بن قريش علي ومحمد، والذين اقتتلا فيما بينهما حتى انقرضت دولتهم على يد السلاجقة[٤]، في سنة (٤٨٩هـ – ١٠٩٥م)[٥].

هذه هي أحوال العراق قبيل الغزو الصليبي لبلاد الشام، فكما ذكرنا سابقاً أحوال الخلافة العباسية التي فقدت السيطرة على مقاليد الحكم لصالح القادة والأمراء الأتراك والديلم على السواء، بحيث أصبحوا يتحكمون فيها، ولم يعد للخليفة العباسي سوى المكانة الدينية، أما الدولة البويهية الشيعية فقد كثرت الفتن في عهدها بين السنة والشيعة كما وضحنا، وأيضاً كثرت الحروب بين أبناء البيت البويهي حتى ضعفت دولتهم وسقطت في يد الدولة السلجوقية، كما أشرنا سابقاً حيث استطاعت الدولة السلجوقية كسر الإمبراطورية الرومانية في المعركة الكبرى معركة ملاذكرد، كما أسلفنا، فكان العراق في بداية حكم السلاجقة متماسكاً قوياً إلى أن مات السلطان ملكشاه، كما وضحنا، وسوف نذكر عصر التفكك والضعف للدولة السلجوقية، كما نشأت دويلات هي أقل شأناً من الدولة البويهية والسلجوقية مثل دولة بني عقيل وبني مروان، حيث استطاعت الدولة السلجوقية أن تبتلع هتين الدولتين وتضمهما إلى أملاكها كما أسلفنا.

---

[١]– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦٧، ٢٦٨؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص٦٠.

[٢]– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٦٣٤.

[٣]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٣٧؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٢٥.

[٤]– ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٣٤٨.

[٥]– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ص١٤١.

## المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الشام

### الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية:

ازدادت هجمات الروم في النصف الثاني للقرن الرابع الهجري كما أسلفنا، حيث تعاقب على عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال هذه المدة عدد من القواد ذوي كفاءة نادرة[١]، وفي المقابل كانت الدولة الحمدانية هي مَن تتولى أمور الدفاع عن بلاد المسلمين في النصف الثاني للقرن الرابع الهجري، كما سوف نرى، وسوف نذكر أهم الأحداث والحروب التي وقعت في منتصف القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري.

في سنة (٣٣٩هـ – ٩٥١م) دخل سيف الدولة بن حمدان بجيش عظيم مكون من ثلاثين ألفًا إلى بلاد الروم، توغل فيها وفتح حصوناً وقتل خلقاً وأسر أمماً وغنم شيئاً كثيراً، ثم رجع فقطعت عليه الروم طريق العودة فقتلوا معظم من معه، وأسروا بقيتهم واستردوا ما كان أخذه ونجا سيف الدولة في نفر يسير من أصحابه[٢]، ويعلق الباحثُ (محمود شاكر) على فرار سيفَ الدولة الحمداني من أرض المعركة قائلاً " بأن سيف الدولة لم يكن مجاهداً أو بطلاً كما تصفه كتب الأدب "، واستدلَّ على ذلك بأنه كان في معاركه يقف في مؤخرة الجند فينجو عند الهزيمة ويفخر عند النصر[٣]. إن نجاح سيف الدولة في الفرار من أرض المعركة في نفر يسير من أصحابه لهو دليل يعزز الوصف الذي وصفه محمود شاكر لسيف الدولة، كما سيتكرر فرار سيف الدولة في مواطن أخرى كما سوف نرى.

واصل الروم عدوانهم فقد شنوا هجومهم هذه المرة على مدينة سروج في عام (٣٤١هـ – ٩٥٣م) والتي تمكنوا من احتلالها، فأحرقوا مساجدها وسبوا أهلها[٤]، وفي عام (٣٤٣هـ – ٩٥٥م) غزا سيف الدولة بلاد الروم فجرت بينهم وقعة عظيمة انتصر فيها سيف الدولة وأسر سيف الدولة في هذه الوقعة قسطنطين ولد الدمستق[*] .

---

[١]– ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٨٠؛ متز: الحضارة الاسلامية، ص٢٦.

[٢]– الذهبي: العبر، ج٢، ص٢٢٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٢٣؛

[٣]– التاريخ الاسلامي، ج٦، ص١٥٣.

[٤]– الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٦٦؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٤٣.

[*]– اسمه نقفور ومعنى الدمستق يلقب به نائب البلاد في شرقي القسطنطينية، ولما قتل ملك الروم في عام (٣٥٢هـ – ٩٦٣م) أصبح نقفور هو الملك. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٥، ص٤٤٦، ج٢٦، ص١١.

واعتل عنده فمات[١]، وقيل: إن الذي أسر هو صهره، وأما القتلى فلا يحصون لكثرتهم، كما قتل معظم البطارقة المشاركين في هذه المعركة[٢].

غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم في سنة (٣٤٥هـ – ٩٥٧م)، وفتح عدة حصون وسبى وأسر وأحرق وخرب وأكثر القتل فيهم ثم رجع، فلما سمع الروم بما فعل هاجموا ميافارقين وأحرقوا سوادها ونهبوه وخربوه وسبوا أهله ونهبوا أموالهم وعادوا[٣].

أما الفاجعة الكبرى التي أصابت المسلمين فكانت في سنة (٣٥١هـ – ٩٦٣م) حين دخل الروم بقيادة الدمستق مدينة حلب بعد فرار سيف الدولة منها، وانشغال من تبقى من جنده في سرقة بيوت الناس في حلب وتركهم الدفاع عن سور المدينة، فاستغل الدمستق ذلك ودخل مدينة حلب دون قلعتها، والتي تحصن بها بعض أهل حلب فقتل معظم من كان في المدينة من الرجال، وسبى النساء والأطفال وخرب المدينة وانصرف[٤]، وكان الروم قد دخلوا قبل ذلك عين زربى بالأمان فقتلوا بعض أهلها وهجروا من تبقى منهم[٥]، كما سيطر الروم على حصن دلوك بالسيف وثلاثة حصون مجاورة له[٦].

وعندما هاجم الروم مدينة الرها سنة (٣٥٢هـ – ٩٦٤م) قتلوا وأسروا من أهلها[٧]، وفي سنة (٣٥٤هـ – ٩٦٦م) دخل ملك الروم مدينة المصيصة، فقتل العديد من أهلها وأسر من تبقى منهم وكان أهلها نحو مائتي ألف إنسان، ثم سار إلى طرسوس، فطلب أهلها الأمان فأمنهم، وتسلم طرسوس وهَجّر أهلها عنها فرحلوا إلى انطاكية، وجعل جامع طرسوس اسطبلًا، وأحرق المنبر، ثم عاد ملك الروم إلى القسطنطينية[٨].

حدثت في سنة (٣٥٥هـ – ٩٦٧م) العديد من المواجهات مع الروم حيث هاجم الروم مدينة آمد وحاصروها ثم انصرفوا عنها إلى مدينة نصيبين التي هرب أهلها منها، كما هاجموا أنطاكية

---

[١]– ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٠.

[٢]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٥، ص٢١٧.

[٣]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٥٧.

[٤]– ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٧٨ – ٨١؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٢٠.

[٥]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٧٢؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢١٩.

[٦]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٢٠؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٨٠.

[٧]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٤٣.

[٨]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٢٠؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٨٠، ٢٨١.

وطرسوس[١]، وفي سنة (٣٥٨هـ – ٩٦٩م) فُجع المسلمون بسقوط حمص في يد الروم بعد أن أخلاها أهلها فأحرقها الروم وسبوا نحو من مائة ألف إنسان[٢]، كما هاجم الروم مدينة طرابلس ومعظم مدن الشام الساحلية، حيث أتوا عليها نهباً وتخريباً، ثم عادوا إلى بلادهم، ومعهم من الأسرى والغنائم ما يفوق الحصر[٣].

ولما دخل الروم أنطاكية، أخرجوا المشايخ والعجائز والأطفال من البلد وذلك سنة (٣٥٩هـ – ٩٧٠م) وقالوا لهم امضوا حيث شئتم، وسبوا الشباب من النساء والغلمان والصبيان وكانوا أكثر من عشرين ألفًا[٤]، ثم قصدوا حلب فملكوا المدينة وحاصروا القلعة التي تحصن بها أمير حلب، ثم اصطلحوا على مال يدفع إلى ملك الروم في كل سنة، وكانت المصالحة بدفع المال المقرر على حلب وما معها من البلاد، وهي حماة وحمص وكفر طاب[*] والمعرة وأفامية[*٢] وشيزر[*٣] وما بين ذلك، فرحلت الروم عن حلب، وعاد المسلمون إليها، كما أرسل ملك الروم جيشاً إلى ملاذكرد من بلاد أرمينيا فحاصروها ودخلوها بالسيف وصارت البلاد كلها سائبة، ولا يمنع الروم عنها مانع[٥].

وعندما دخل الروم نصيبين سنة (٣٦٢هـ – ٩٧٣م) استباحوا وقتلوا كثيراً من رجالها، وسبوا من نسائها وصبيانها، وغلبوا على ديار ربيعة بأسرها، فنزح من تبقى من أهل تلك البلاد إلى بغداد فاستقروا في الجوامع، وكسروا المنابر، ومنعوا الخطبة، وحاولوا الهجوم على دار الخليفة المطيع لله، فأرسل عز الدولة البويهي جيشه بعد أن استنفر الناس، فخرج معه عدد كبير من عامة الناس، فهزم الروم، وقُتِل منهم خلقٌ كثير، وأسر أميرهم[٦].

ومع بداية سنة (٣٨١هـ – ٩٩٢م) بدأ الحال يتغير في بلاد الشام حيث دخلت الدولة العبيدية في أتون المواجهة المباشرة مع الدولة البيزنطية حينما أرسلت جيوشها للسيطرة على الشام

---

[١]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٢١.

[٢]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص١٩٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٦٦.

[٣]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٢٤.

[٤]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٢٠١؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣١٨.

[*]– تعد كفر طاب أحد أقاليم مدينة حمص. الاصطخري: المسالك والممالك، ج١، ص٧٣.

[*٢]– أفامية مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٢٧.

[*٣]– شيزر هي مدينة بالقرب من المعرة وحماة في وسطها نهر الأردن كما يحدها جبل لبنان وتعد من كور حمص وهي مدينة قديمة. المصدر السابق: ج٣، ص٣٨٣.

[٥]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٢٤؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٨٥.

[٦]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٢١٤؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٦٥، ٦٦.

بقيادة منجوتكين التركي الذي استطاع أن يسيطر على مدينة دمشق[١]، كما سيطر على حمص وحماة[٢]، ثم توجه إلى مدينة حلب فحاصرها، وهزم جيوش الحمدانيين وجيوش الروم المتحالفين ضده، لكنه لم يفلح في السيطرة على حلب وذلك في سنة (٣٨٤هـ – ٩٩٥م)[٣].

وفي مطلع سنة (٤٢٢هـ – ١٠٣١م) ملك الروم مدينة الرها وقتلوا المسلمين فيها وخربوا المساجد، كما سيطروا على مدينة فامية، وملكوا قلعتها، وغنموا ما فيها وأسروا وسبوا[٤]، ثم استعاد المسلمون مدينة الرها من أيدي الروم في سنة (٤٢٧هـ – ١٠٣٦م)[٥].

وفي منتصف القرن الخامس الهجري اجتاحت دولة السلاجقة بلاد المشرق الإسلامي[٦]، فغزت بلاد الروم في سنة (٤٥٦هـ – ١٠٦٤م) حيث سيطر الفاتحون الجدد على العديد من المدن والحصون الخاضعة تحت حكم الدولة البيزنطية، وهذا ما دفع ملك الروم إلى أن يهاجم مدينة منبج فنهبها وقتل أهلها، وذلك في سنة (٤٦٢هـ – ١٠٧١م)، وفي سنة (٤٦٣هـ – ١٠٧١م) حشد ملك الروم جموع كثيرة بلغ تعدادهم مائتي ألف، وقصد بهم بلاد المشرق الإسلامي فوصلوا إلى ملاذكرد، وخرج إليهم السلطان ألب أرسلان في من معه حيث بلغ تعداد جيشه خمسة عشر ألف جندي، فهزم الروم وأسر ملكهم[٧]، فكانت هذه المعركة بمثابة نهاية عصر القوة للإمبراطورية البيزنطية، كما أسلفنا. واستطاع المسلمون بعدها استعادة مدينة منبج في سنة (٤٦٨هـ – ١٠٧٥م) على يد نصر بن محمود بن صالح[*]، والتي كانت قد سقطت في يد الروم في سنة (٤٦٠هـ – ١٠٦٧م)[٨]، كما استطاع سليمان بن قتلمش حاكم مدينة قونية من فتح مدينة أنطاكيا سنة (٤٧٧هـ (٤٧٧هـ – ١٠٨٤م) حيث كانت في يد الروم منذ سنة (٣٥٨هـ – ٩٦٨م)[٩].

---

[١]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٠، ٩١.

[٢]– أبو الفداء: اليواقيت، ج١، ص٣٢.

[٣]– المصدر السابق: ج١، ص٣٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٩٠، ٩١.

[٤]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٥٦.

[٥]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٢٠.

[٦]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤٢.

[٧]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٦٨ – ٣٧٠، ٣٨٤، ٣٨٨.

[*]– نصر محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، تولى حلب بعد موت أبيه سنة (٤٦٧هـ – ١٠٧٤م) وقتل بعد سنة على يد الأتراك. الذهبي: العبر، ج٣، ص٢٦٨.

[٨]– ابن العديم: بغية الطلب، ج٣، ص١٢٩٨.

[٩]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٣٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص١٤٣.

لقد شنت الدولة البيزنطية معاركَ وحروبًا كثيرة على بلاد الإسلام، حيث كان الهدف من هذه الحروب في مجملها هو الانتقام أو الحصول على مكاسب مادية أو لإضعاف وإخضاع العدو التقليدي من دويلات العالم الإسلامي المحيطة بهم، وهذا هو الفارق بين هجمات الدولة البيزنطية والحملات الصليبية التي اجتاحت العديد من مدن الشام. والتي كان الهدف منها استيطاني بحت[١]. ومن جانب آخر فقد عانت بلاد المشرق الإسلامي من هجمات الروم المتكررة على بلادهم حيث كبدتهم العديد من الخسائر البشرية والمادية على السواء مما سيكون له بالغ الأثر على قوة الشام وصمودها في مواجهة الحملات الصليبية.

## سيطرة القرامطة على الشام:

بعد القضاء على القرامطة وطردهم من الشام سنة (٢٩٣هـ- ٩٠٥م)، عادوا إلى الظهور والإفساد مرة أخرى سنة (٣٥٣هـ – ٩٦٤م) كما أشرنا سابقاً.

وقد هاجم القرامطة مدينة طبريا سنة (٣٥٣هـ – ٩٦٤م) وحاولوا أن يأخذوها من يد الأخشيد صاحب مصر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً، فأرسل إليهم ما طلبوا[٢]، وفي سنة (٣٥٧هـ – ٩٦٧م) سيطر القرامطة على مدينة دمشق[٣]، ثم عادوا إلى بلدهم الإحساء[*] بعد سنة ثم عادوا إلى دمشق سنة (٣٦٠هـ – ٩٧٠م) واستولوا عليها من يد العبيديين، حيث إن أمر دمشق قد آلَ من قبل للعبيديين[٤]، ولقد تلقى القرامطة الدعم من عز الدولة بختيار البويهي في أثناء مسيرهم صوب دمشق، وبعد ما بسطوا سيطرتهم على دمشق، توجهوا صوب مدينة الرملة فملكوها وملكوا كل المدن الواقعة بين دمشق والرملة، ففر من تبقى من جيش العبيديين إلى الرملة فتحصنوا فيها، حيث حاصرهم القرامطة، ثم زحف القرامطة إلى مصر، وتواجهوا مع جيش العبيديين في منطقة عين شمس بمصر، وكاد القرامطة أن يهزموا جيش العبيديين إلا أنَّ القرامطة في النهاية هزموا ورجعوا إلى الرملة[٥]، وكانت هذه المعركة سنة (٣٦٣هـ

---

[١]- براور: الاستيطان الصليبي، ص١٣.

[٢]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٥٤.

[٣]- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص٢١١.

[*]- الأحساء هي مدينة على البحر الفارسي وهي بلاد القرامطة وهي مدينة حسنة لكنها صغيرة وبها أسواق. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٨٦.

[٤]- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٢٦؛ المكي: سمط النجوم، ج٣، ص٥٤٨.

[٥]- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٢٦.

– ٩٧٣م)[١]، وعندما أرسل العبيديون جيشهم في ملاحقة القرامطة استطاعوا أنْ يطردوهم من الرملة في السنة نفسها، وما لبث القرامطة أن عادوا إلى الرملة في سنة (٣٦٥هـ – ٩٧٥م) حيث ضربوا الحصار على مدينة الرملة ودخلوا في مواجهات مع حاميتها فأرسل العبيديون جيشهم بقيادة جوهر الصقلي لقتالهم، فاستمر القتال سجال بين قوات العبيديين والقرامطة، وانتهى بسيطرة العبيديين على الرملة سنة ( ٣٦٨هـ – ٩٧٨م) [٢]، حتى سيطر العبيديون على الشام وانتهى أمر القرامطة فيها[٣].

بعد ذلك خرج رجل يعرف بالأصفر من بني المنتفق سنة ( ٣٧٨هـ – ٩٨٨م)، استطاع هذا الرجل أن يجمع جمعاً كثيراً من الناس فهاجم القرامطة وقتل كبيرهم، وهاجمهم في عقر دارهم في مدينة الإحساء والقطيف، فقتل وسبى العديد منهم حتى ضعف أمرهم، وكانت مدة ظهور مذهبهم إلى هذا التاريخ مائة سنة، فلم يكن لهم أيُّ معركة تذكر بعدها[٤].

## السيطرة العبيدية على الشام:

في العام الذي أخذ فيه العبيديون مصر وجهوا جيشاً إلى الشام، حيث استطاع العبيديون ضم مدينة الرملة كما أسلفنا. وذلك سنة (٣٥٨هـ – ٩٦٨م)، ودخلت مدينة طبرية في السنة نفسها في طاعة العبيديين دون قتال، وملكوا مدينة دمشق سنة (٣٦٠هـ – ٩٧٠م) كما أشرنا سابقاً. وقيل: إنَّ العبيديين ملكوا دمشق في سنة (٣٥٩هـ – ٩٦٩م)[٥] وبهذا يكون العبيديون قد سيطروا على أعمال دمشق وطبرية وفلسطين[٦]، وأيضاً سيطروا على مدينة طرابلس في سنة (٣٦٤هـ – ٣٦٤م)[٧]، وبسط العبيديون سيطرتهم على العديد من مدن الشام الساحلية مثل صيدا وعكا[٨] ويافا[٩] وصور[١٠].

---

[١]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٢.

[٢]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٥، ص١٨٥ – ١٩١، ج٢٨، ص٩٧.

[٣]– الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٢٢٦ – ٢٢٨.

[٤]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٥، ص١٩٢.

[٥]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٠٩، ٣١٩؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٨٤، ٢٨٥.

[٦]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٢٦.

[٧]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٩٣.

[٨]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٥٦.

[٩]– ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٣.

[١٠]– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٦٨.

اتسعت رقعة الدولة العبيدية ففي سنة (٣٧٢هـ – ٩٨٢م) استطاع العبيديون ضم مدينة حمص بعد أن دخل حاكمها بكجور[*] في طاعة العبيديين[١]، وضموا أيضاً مدينة قنسرين إلى حكمهم في سنة (٣٧٢هـ – ٩٨٢م)[٢]، واستمرت سيطرة الدولة العبيدية على مدينة دمشق حتى سنة (٤٦٨هـ – ١٠٧٥م) حيث انتزعها منهم السلاجقة كما أسلفنا.

## سيطرة الدولة السلجوقية على الشام وتفككها إلى دويلات:

توسعت دولة السلاجقة في عهد ملكشاه كثيراً، واستطاعت الدولة السلجوقية ضم العديد من المدن الشامية كما ذكرنا سابقاً، وسوف نذكر هنا أهم الدويلات السلجوقية التي قامت في بلاد الشام.

في سنة (٤٧١هـ – ١٠٧٨م) وصل تتش بن ألب أرسلان مدينة دمشق وتسلمها بعد أن كلفه أخوه ملكشاه بولايتها كما أشرنا سابقاً. بدأ تتش ببسط سيطرته على مدن الشام، فسيطر على مدينة حلب، كما سيطر على طرطوس وغيرها وذلك في سنة ( ٤٧٤هـ – ١٠٨١م)[٣]، وتسلم مدينة حمص[٤] في سنة (٤٨٣هـ – ١٠٩٠م)[٥]، كما دخل تتش في مواجهة مع ابن عمته سليمان بن قتلمش[٦]، صاحب إمارة سلاجقة الروم كما أسلفنا. عند أبواب حلب حيث انهزم سليمان بن قتلمش وقتل[٧]، وذلك في سنة (٤٧٩هـ – ١٠٨٦م)[٨]، وبعد وفاة أخيه السلطان ملكشاه طمع تتش في الأمر بعده[٩]، فاستولى على العديد من المدن، حيث سيطر على مدينة حلب بعد أن قتل حاكمها أق سنقر وذلك في سنة (٤٨٧هـ – ١٠٩٤م)، وزحف باتجاه الشرق فقطع نهر الفرات، واستولى على كل مدينة مر بها، فأخذ مدينة حران، وسار إلى الرها فتسلمها، وتسلم ديار بكر، ودخل تاج الدولة تتش الري وملكها في المحرم سنة ( ٤٨٨هـ – ١٠٩٥م)، وخطب له على منابر

---

[*]– بكجور التركي، الأمير أبو الفوارس، مولى سيف الدولة بن حمدان، ولي إمرة حمص، ثم ولي دمشق للعزيز العبيدي، فجار وظلم وصادر، قتل بنواحي حلب في سنة (٣٨١هـ – ٩٩١م). الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص٢٩، ٣٠.

[١]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص١٨؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٠٣.

[٢]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٩٧.

[٣]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٦، ١١.

[٤]– ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٢٣.

[٥]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٧٠.

[٦]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٤.

[٧]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٢٨؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٤.

[٨]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٤.

[٩]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص٢٣٩.

الإسلام في الشام والفرات وبغداد، وفي السنة نفسها تواجه تتش بن ألب أرسلان مع ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه الذي بويع له بالسلطنة بعد وفاة أبيه فانهزم تتش وقتل في المعركة[١].

وبموت تتش اقتسم ولداه دولته، فتسلطن بعده في حلب ابنه فخر الملوك رضوان، وتسلطن بدمشق ابنه دقاق الملقب شمس الملوك[٢]، ولقد كان لتتش من الأبناء أيضاً أبو طالب وبهرام، والذين قتلا على يد أخيهما رضوان[٣]، أما الابن الخامس لتتش فكان أرتاش والذي تم اعتقاله من قبل أخيه دقاق، وأطلق سراحه بعد موت أخيه دقاق وتسلم حكم دمشق في سنة (٤٩٧هـ – ١١٠٣م)[٤].

بدأ الصراع بين الأخوين رضوان ودقاق وتوالت المحاولات لكليهما في السيطرة على أملاك الآخر، فنشبت بينهما حروب وعداوات، ففي سنة (٤٨٩هـ – ١٠٩٥م) حاول رضوان السيطرة على دمشق بعد غياب أخيه دقاق عنها، ولكن محاولته بائت بالفشل، ثم جدد رضوان هجومه على دمشق في سنة (٤٩٠هـ – ١٠٩٦م) ولكن حملته هذه فشلت في تحقيق مبتغاه[٥]، ورداً على هجمات رضوان قام دقاق بحشد قواته واصطدم مع أخيه رضوان في معركة كانت الغلبة فيها لرضوان وذلك في سنة (٤٩٠هـ – ١٠٩٦م)[٦]، وأسفرت هذه المعركة عن عقد اتفاق فيما بين الطرفين[٧]، لم يكن الصراع بين رضوان ودقاق مقصوراً فقط على مدينتي دمشق وحلب فقط، بل شمل حلفاءَ كليهما فقد دخل في أتون هذه المواجهة كلٌّ من ياغي سيان صاحب أنطاكية والذي ساند دقاق، كما ساند رضوان سليمان بن إيلغازي صاحب سمسياط، وكذلك سقمان بن أرتق صاحب معرة النعمان[٨]، ومدينة سروج[٩]، وجناح الدولة حسين صاحب حمص[١٠]، وبهذا تكون دائرة الصراع قد اتسعت لتشمل العديد من الدويلات والمدن الإسلامية.

---

[١]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٧١ – ٧٦؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٢٤ – ٢٣٠.

[٢]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٧٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٦.

[٣]– ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص١٥٣؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٥١؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٣١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٥، ص١٧٧؛ طقوش: تاريخ السلاجقة، ص١٦٠.

[٤]– ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٤٦٧.

[٥]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٧٨، ٧٩.

[٦]– ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥.

[٧]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١١.

[٨]– ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٣٣، ٢٣٤.

[٩]– ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١١.

[١٠]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٧٩.

ويتضح مما سبق أن الدولة السلجوقية في الشام تمزقت بين ابني تتش رضوان في حلب ودقاق في دمشق، وشغل الأخوان في بداية أمرهما بالحفاظ على أملاكهما من جهة، وإعادة الوحدة إلى بلاد الشام من جهة أخرى، من خلال انتزاع كل منهما لأملاك الآخر وضمها إلى أملاكه، وبهذا تكون العلاقة قد اتسمت بين الأخوين بالعدائية كما اوضحنا سابقاً، وفي ظل هذا التمزق السياسي والصراع العسكري على السلطنة في بلاد الشام وصلت طلائع الحملات الصليبية في سنة (٤٩١هـ – ١٠٩٧م)[١]، وبلاد الشام على هذا الحال.

أقبل الغزاةُ الصليبيون إلى بلاد المشرق الإسلامي وكانت أحواله السياسية على هذا النحو من المناكفات السياسية والصراعات العسكرية، والتي أضعفت بلاد الشام وشتَّتت قواها وجعلتها منهكة عسكرياً ومفككة سياسياً، ومتشظية إلى دويلات وإقطاعات بين الملوك والأمراء، مما سيسهل على الغزاة الصليبيين التفرد بها واحدة بعد أخرى.

[١]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٧، ٨، ٩.

## المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في مصر

### الصراع بين الدولة العبيدية والخلافة العباسية:

عندما قامت الدولة العبيدية في بلاد المغرب على يد مؤسسها عبيد الله المهدي، حيث بويع له بالخلافة في سنة (٢٩٧هـ – ٩٠٩م) كما أسلفنا، فكانت هذه أول مرة يكون فيها للمسلمين خليفتان في آن واحد، ففي الوقت الذي بويع لعبيد الله المهدي بالخلافة كان في بغداد الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥هـ – ٩٠٧م)[١]، مما أثار غضب الخليفة العباسي المقتدر[٢]، وكان عبيد الله المهدي يرى أنه أحق بالخلافة من خلفاء بني العباس المعاصرين له بالمشرق، فهو أول من زاحم الخليفة في هذا اللقب، ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الأموي[*] صاحب الأندلس[٣]، ومن هنا بدأ الصراع بين الدولتين العبيدية في مصر، والخلافة العباسية في بغداد.

لقد كان العداء كبيراً بين الدولتين العباسية والعبيدية "الفاطمية" حيث إن العبيديين انتزعوا بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام واليمن والحجاز من أيدي العباسيين حتى بغداد زاحموهم فيها فوجد العباسيون في الطعن في نسبهم سبيلاً للحد من انتشار دولتهم[٤]، وفيما يبدو أن محور الصراع بين الخلافة العباسية والدولة العبيدية يرتكز في الأساس على الزعامة الدينية للعالم الإسلامي والصراع في هذا الميدان لم يكن يقل ضراوة عن باقي أوجه الصراع. ففي سنة (٤٠٢هـ – ١٠١١م) كتب الخليفة القادر العباسي محضراً في نسب الخلفاء المصريين العبيديين "الفاطميين" والقدح في أنسابهم وعقائدهم وقرئت هذه النسخ ببغداد[٥]، وكتب هذه المحاضر علماء بغداد وأئمتها حيث تضمنت الطعن والقدح في نسب العبيديين "الفاطميين"، ملوك مصر، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين، وشهدوا جميعا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، ليس له

---

[١]– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٢١٣؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ج١، ص١٣٥.

[٢]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٧٧.

[*]– عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس، ولد سنة (٢٧٧هـ – ٨٩٠م)، تولى الخلافة سنة (٣٠٠هـ – ٩١٢م)، وحكم خمسون سنةً ونصف، فلم يحكم قبله أي خليفة مثل هذه المدة، حيث مات في سنة (٣٥٠هـ – ٩٦١م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٦٩.

[٣]– الناصري: الاستقصا، ج٢، ص١٠٩، ١١٠.

[٤]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٤٥.

[٥]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٢٩.

نسب بالإمام علي بن أبي طالب وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج لا نسب لهم[١]، وجاء في نص الكتاب " وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية"[٢].

إن العلاقة التي تربط العباسيين بالعبيديين علاقة أشبه ما تسمى ب (الحرب الباردة)، فقد طغت الطموحات السياسية للعبيديين والمتمثلة ببسط نفوذهم السياسي والروحي على العالم الإسلامي، ونشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي، على طبيعة العلاقة بين الدولتين، حيث شكلت الخلافة العباسية عائقاً استراتيجياً بوجه الطموح السياسي الخارجي للعبيديين[٣].

## الدولة العبيدية وصراعاتها الداخلية:

إن بداية هذا الصراع في الدولة العبيدية بدأ بين الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك، حيث وقعت بينهما الوحشة بعد أن اتهمها في شرفها، فتآمرت عليه مع أحد القادة، ويدعى ابن دواس على قتله، فقتله ابن دواس[٤] في سنة (٤١١هـ – ١٠٢٠م)، وتمت البيعة لابنه الصغير بعد أيام، ولقبته الظاهر لإعزاز دين الله[*]، ثم تامرت على ابن دواس فقتلته، وقتلت جماعة ممن اطلع على سرها، فعظمت هيبتها[٥].

في سنة (٤٠٤هـ – ١٠١٣م) جعل الحاكم بأمر الله ابن عمه أبا القاسم عبد الرحمن بن إلياس ولي عهده[٦]، وقيل إن اسمه الياس وقيل عبد الرحيم وقيل عبد الرحمن بن أحمد، وكنيته أبو القاسم، ويلقب بالمهدي، وعندما قتل الحاكم بأمر الله كان في دمشق، فكتبت له ست الملك بالقدوم،

---

[١]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٣٤٥، ٣٤٦.

[٢]– المصدر السابق: ج١١، ص٣٤٦؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٣٠.

[٣]– العامري، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية، ص٧٩.

[٤]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٤٠ – ١٤٢.

[*]– هو الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم منصور بن العزيز نزار بن المعز العبيدي المصري، يكنى أبا هاشم، بويع وهو صبي لما قتل أبوه في شوال سنة (٤١١هـ – ١٠٢٠م)، ومات الظاهر في سنة (٤٢٧هـ – ١٠٣٥م)، وقيل كان غارقا في اللهو والمسكر والسراري. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج١٥، ص١٨٤، ١٨٦.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٢٩، ١٣١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٤٢، ١٤٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٢٣، ١٢٩.

[٦]– ابن عذاري، المراكشي محمد بن محمد: (المتوفى: نحو ٦٩٥هـ – ١٢٩٥م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، ط١، ٢ج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م. ج١، ص١١٣.

ورتبت من قام باعتقاله، وأودعته في إحدى القصور بتنيس، وقبيل موتها بثلاثة أيام أمرت بقتله فقتل[١].

لما مات الظاهر لإعزاز دين الله في سنة (٤٢٧هـ – ١٠٣٥م) تولى الأمر بعده ولده أبو تميم معد المستنصر بالله وعمره سبع سنين وشهران وأخذت البيعة له بعد أبيه في شهر شعبان من السنة نفسها وفي أيامه ثارت الفتن من بني حمدان وأكابر القواد ووجوه العسكرية والأجناد، وغلت الأسعار، وقلت الأقوات، واضطربت الأحوال، واختلت الأعمال، وحصر في قصره وطمع في خلعه لضعف أمره[٢].

لم تشهد فترة حكمه استقراراً سياسياً فلقد تعاقب على الوزارة في عهده العديد من الوزراء، حيث بلغ عدد الوزراء الذين استوزرهم أربعة وعشرين وزيراً، وهم أبو القاسم الجرجرائي الأقطع، وزير والده، إلى أن توفي سنة (٤٣٩هـ – ١٠٤٧م)، فلما مات تحكمت أم المستنصر بالدولة، فولي الوزارة أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي إلى أن قتل في سنة (٤٣٩هـ – ١٠٤٧م)، فاستوزر عماد الدولة أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائي مرتين إلى أن عزل في سنة (٤٤٠هـ – ١٠٤٨م)، فولي صاعد بن مسعود أبو الفضل وصرف في سنة (٤٤٢هـ – ١٠٥٠م)، فتولى الوزارة والقضاء أبو محمد اليازوري ولم يجمع ذلك لأحد قبله ، إلى أن قبض عليه في محرم سنة خمسين، فاستوزر أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ثم صرف بعد شهرين وأربعة عشر يوماً . واستقر أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي ثم صرف في سنة (٤٥٢هـ – ١٠٦٠) وأعيد البابلي ثم صرف بعد أربعة أشهر . وتولى عبد الله بن يحيى بن المدبر في سنة (٤٥٣هـ – ١٠٦١) وصرف بعد شهرين، وتولى عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في رمضان من السنة نفسها إلى أن توفي في سنة (٤٥٤هـ – ١٠٦٢م) فتولى بعده أخوه أبو علي أحمد سبعة عشر يوماً وصرف، فأعيد البابلي كرة ثالثة فأقام خمسة أشهر واستعفى فوزر أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة الماسكي، ثم صرف فتولى أحمد بن عبد الكريم ابن عبد الحاكم، وصرف فتولى ابن المدبر، فأقام إلى أن توفي، فأعيد أبو أحمد بن عبد الحاكم إلى الوزارة في سنة (٤٥٥هـ – ١٠٦٣م) فأقام خمسة وأربعين يوماً[٣]، فتولى الوزارة غالب عبد الظاهر بن

---

[١]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٣، ١٩٤.

[٢]– ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٥٥.

[٣]– المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٣٢، ٣٣٣.

فضل العجمي أكثر من مرة، وقتل في سنة (٤٦٥هـ - ١٠٧٢م)، فولي له الحسن بن ثقة الدولة بن أبي كدينة القضاء والوزارة عدة مرات، ولما وصل أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر أرسله إلى دمياط وأمر بضرب عنقه فقتل، وولي الوزارة أبو المكارم أسعد ثم قتله أمير الجيوش، ووزر بعده أبو علي الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري عشرة أيام ثم استعفى، وكان يهودياً فأسلم، وولي أبو القاسم هبة الله محمد الرعباني مرتين كل مرة عشرة أيام، ووزر الأثير أبو الحسن الأنباري أياماً ثم صرف، ووزر أبو علي الحسين بن سديد الدولة الماسكي مرة ثانية أياماً ثم صرف، ووزر أبو شجاع محمد بن الأشراف بن فخر الملك، وفخر الملك هو الذي وزر لبهاء الدولة ابن بويه، فصرف وسار إلى الشام فقتله أمير الجيوش في مسيره، واستوزر أبا الحسن ابن الوزير الطرابلسي، ومن طرابلس الشام، ثم صرفه، واستوزر أبا عبد الله محمد بن أبي حامد السيسي يوماً واحداً ثم قتل، فاستوزر أبا سعيد منصور بن أبي اليمن سورس بن مكرواه بن زنبور، وكان نصرانياً ثم أسلم، واستوزر أبا العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد وصرف وبقي أياماً وقتله أمير الجيوش[١].

مع عدم الاستقرار السياسي الذي مرت به الدولة العبيدية في مصر قرر الخليفة العبيدي المستنصر بالله، تولية الوزارة لبدر الدين الجمالي حاكم مدينة عكا[٢]، وكان المستنصر قد كتب إليه سراً ليقدم من عكا فأعاد الجواب أن الجند بمصر قد فسد نظامهم فإن شئت أتيت بجند معي فأذن له أن يفعل ما أحب فجلب معه جنده ورجاله، فتولى الوزارة[٣]، وصار وزير السيف والقلم، وولي القضاء[٤]، وأول شيء فعله قام بقتل كل أمراء الطوائف في ليلةً واحدة، فما أصبح إلا وقد مهد البلد وصادر كل أموالهم ونقلها إلى قصر المستنصر بالله، وقتل أمير الأمراء الدكز والوزير ابن كدينة[٥].

---

[١]- النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٥٥، ١٥٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٣٢، ٣٣٣.

[٢]- ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٥٥.

[٣]- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٩٣.

[٤]- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٣٤.

[٥]- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٩٢، ١٩٣.

لما توفي المستنصر بالله جلس بعده ولده أبو منصور نزار[*]، وهو ولي العهد وأراد أخذ البيعة لنفسه فامتنع أمير الجيوش من ذلك، لكرهه له، واجتمع بالأمراء والخواص وقال لهم: إن هذا كبير السن ولا نأمنه على نفوسنا، والمصلحة أن نبايع لأخيه الصغير أبي القاسم أحمد، فوافقوه على ذلك، وبادر الأفضل وبايع أحمد بالخلافة، ونعته بالمستعلي بالله[*٢]، وأجلسه على سرير الملك، وجلس الأفضل على دكة الوزارة، بادر نزار وأخوه عبد الله ومحمود بن مصال إلى الإسكندرية، وعليها ناصر الدولة أفتكين التركي، أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي، فعرفوه الحال ووعدوه بالوزارة، فبايعه، وبايعه أهل الثغر، ولقب بالمصطفي لدين الله[١]، فخرج لهم أمير الجيوش بجيشه، والتقوا، واقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الهزيمة للأفضل ومن معه، ثم خرج الأفضل ثانياً وحاصر الإسكندرية، ودخلها بعد أن طلبوا الأمان، فأمنهم، ثم اعتقلهم، وقتل أفتكين التركي، وانقطعت أخبار نزار في حبسه[٢].

## الثورات والفتن في مصر زمن الدولة العبيدية:

في سنة (٣٩٥هـ – ١٠٠٤م) خرج رجل يدعى أبو ركوة[٣]، وأدعى أنه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي[٤]، وفي سنة (٣٩٧هـ – ١٠٠٦م) سيطر على مدينة برقة[٥]، وتلقب بالثائر بأمر الله، والمنتقم من أعداء الله[٦]، ثم سيطر على الصعيد، وبعد هذه الهزائم التي لحقت بالدولة العبيدية وأصبحت الحرب قريبة من دار خلافتهم، حشد الحاكم بأمر الله العبيدي

---

[*]– هو أبو منصور نزار بن المستنصر معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز بن المعز العبيدي المهدوي المصري، كان ولي عهد أبيه فمنع عن تولي الخلافة فهرب إلى الاسكندرية ثم سجن ومات في سجنه، وإليه تنسب الدعوة النزارية، ومن دعاته الحسن الصباح صاحب قلعة الموت. المصدر السابق: ج١٥، ص١٩٦، ١٩٧، ج٢١، ص١٨٣.

[*٢]– هو أبو القاسم أحمد بن المستنصر معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز بن المعز العبيدي المهدوي المصري، تولى الخلافة بعد أبيه سنة (٤٨٧هـ – ١٠٩٤م) وله إحدى وعشرون سنة، وفي أيامه وهت الدولة العبيدية، واختلت قواعدها، وانقطعت الدعوة لهم من أكثر مدائن الشام، واستولى عليها الفرنجة، كما استولى الفرنجة في عهده على بيت المقدس، مات في سنة (٤٩٥هـ – ١١٠١م). المصدر السابق: ج١٥، ص١٩٦، ١٩٧.

[١]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٥٧، ١٥٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١١ – ١٣.

[٢]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٥٧، ١٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٩٧.

[٣]– النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١١٣.

[٤]– المصدر السابق: ج٢٨، ص١١٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٧٣.

[٥]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨، ٤٣؛ أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٤٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٧٣.

[٦]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨، ٤٣.

قواته حيث استجلب قوات إضافية من الشام، وأمر على هذا الجيش رجل يعرف بالفضل بن عبد الله[١]، فانهزم أبو ركوة وأسر وحمل إلى القاهرة وقتل وانتهى أمره[٢].

إن أعجب وأغرب فتنة حدثت كانت في عهد الحاكم بأمر الله العبيدي، حيث إنه هو من أشعل نارها وأججها، لسبب تافهٍ بسيط، فقد جسدت هذه الحادثة حالة الجنون التي تمتع بها الحاكم بأمر الله العبيدي، كما سوف نرى.

يعد هذا العمل من أقبح ما بدر من الحاكم بأمر الله فما أحدثه من دمار وخراب وحرق وقتل في أهل مصر سنة (٤١١هـ – ١٠٢٠م)، ما يفوق الوصف، وذلك حينما كتب له أهل مصر كتاباً جعلوه في يد تمثال امرأةٍ من قراطيس، حيث استعظم ما فيه من سب وشتم، فعاد إلى قصره جمع قادته وأمرهم بالمسير إلى مصر " القاهرة " وحرقها ونهبها وقتل كل من ظفروا به من أهلها، فتوجه إليها العبيد والروم والمغاربة وجميع العساكر، وعرف المصريون ذلك فقاتلوا عن نفوسهم قتالاً بلغوا فيه غاية وسعهم، واضرمت النار في أطراف البلد، واستمرت الحرب بين العبيد والعامة والرعية ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع اجتمع الأشراف والشيوخ إلى الجوامع ورفعوا المصاحف وضجوا بالبكاء وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء، فرحمهم الأتراك ورقوا لهم وانحازوا إليهم وقاتلوا معهم ضد العبيد، واستمرت الحرب حتى تدخل الحاكم بأمر الله وأمر عبيده بالكف عن القتال[٣].

جمع الحاكم بأمر الله جميع الأطراف المتحاربة وحلف لهم كذباً بأنه لا علم له بما حدث، وكتب لأهل مصر كتاباً بالأمان قرئ على المنابر، ففتحت الأسواق وأعاد الناس إلى بيوتهم، واحترق من مصر مقدار ثلثها ونهب نصفها، وتتبع المصريون من أخذ أزواجهم وبناتهم وأخواتهم وابتاعوهن من العبيد بعد أن فضحوهن وقتل بعضهن نفوسهن خوفاً من العار[٤].

ومن الفتن ما حدث في عهد الظاهر لإعزاز دين الله سنة (٤١٥هـ – ١٠٢٤م) من مجاعة وغلاء للأسعار، وكثر الخوف في ظواهر البلد، وكثر اضطراب الناس، وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة، وفشت الأمراض، وكثر الموت في الناس، واطرب الأمن، وقطع الطريق على الحجاج وأخذت أموالهم، وقتل بعضهم، وهاجمت العساكر مدينة الفرما ففر

---

[١]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٤٤.

[٢]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص٥٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٦؛ المصدر السابق: ج١، ص٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١١٥؛ أحمد، عبد الرازق أحمد: تاريخ وآثار مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. ص١٨٨.

[٣]– ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٣٩، ١٤٠؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨١، ١٨٢.

[٤]– ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٢.

أهلها إلى القاهرة، ونهبت الأرياف وكثر طمع العبيد ونهبهم، فنودي بأن من تعرّض له أحد من العبيد، فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد، فكثر النهب بالساحل، وحدث صدامات مع العبيد، حيث عمل الناس فيها خنادق، حول الدروب وعلى الأزقّة والشوارع، فخرج العسكر وقاتلوا العبيد وطردوهم وقبضوا على جماعة منهم ضربت أعناقهم[١].

تولى المستنصر بالله بعد والده الظاهر، وفي أيامه ثارت الفتن وطمع فيه، كما أسلفنا، وفي خلافته ظهر بمصر سنة (٤٣٤هـ – ١٠٤٢م) رجل يدعى سكين، والذي كان يشبه الحاكم، فادعى أنه هو، وقد خرج من الغيبة فتبعه خلق من الغوغاء ممن يعتقدون رجعة الحاكم، وقصدوا القصر فثارت الفتنة، ثم أسر وصلب هو وجماعة بالقاهرة [٢].

وفي سنة (٤٦٣هـ – ١٠٧٠م) وقعت الفتنة بين صفوف الجيش المصري فاقتتلوا مدة، فأصبحوا فرقتين، فرقة العبيد مع عرب الصعيد، والفرقة الأخرى تجمع كلاً من الترك والمغاربة بقيادة ابن حمدان، فالتقوا بكوم الريش فهزمهم ابن حمدان، وقُتل وغَرق نحو أربعين ألفاً، واستمرت الأحوال على هذا النحو حتى أرسل المستنصر إلى بدر الدين الجمالي لكي يحضر من عكا ليتولى الوزارة كما أسلفنا، فلما قدم مصر سار إلى دمياط فهذبها وقتل الذين تغلبوا عليها[٣]،

ثم سار إلى الإسكندرية وأصلح أمورهما[٤]، بعد أن حاصرها ودخلها بالسيف[٥]، وسار إلى الصعيد وقهر المفسدين[٦]، وقتل بالصعيد اثني عشر ألفاً، وأخذ عشرين ألف امرأةً، وخمسة عشر ألف فرس، فتجمعوا لحربه ثانياً فكانوا ستين ألفاً فهاجمهم في جوف الليل، فقتل خلق وغرق خلق ونُهبت أثقالهم، ثم دخل معهم في مواجهةٍ معهم وقهرهم، وعمر البلاد وأحسن إلى الرعية، وأعفى الناس من الخراج ثلاث سنين، حتى تماثلت البلاد بعد الخراب[٧].

يبدو مما سبق أن الدولة العبيدية كانت هي الأخرى منهكة مما لاقته من أحداث وفتن عصفت بها قبيل الغزو الصليبي للمنطقة، ولم تكن أحسن حالاً من الشام والعراق، غير أن مصر كانت موحدة تحت نظام واحد، ولم تكن مقسمة إلى دويلات كما هو حال الشام.

---

[١]– المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٩٢.

[٢]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٦٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٨٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٩.

[٣]– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣.

[٤]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٧٩.

[٥]– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٩٣.

[٦]– أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٧٩.

[٧]– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٩٣.

# الخاتمة

## من خلال هذه الدراسة خلص الباحث إلى عدد من النتائج المهمة

- لقد حدث تغيير كبير في التركيبة السكانية لبلاد المشرق الإسلامي قبيل الغزو الصليبي لها، وتحديداً في بلاد الشام والعراق ومصر، حيث توافد أعداد كبير من أجناس مختلفة مثل الترك والديلم والمغاربة إضافة للعرب أصحاب الأرض الأصليين، فشكلت بذلك مجتمعاً غير متجانس من حيث العادات والتقاليد واللغات غير أنه قد انصهر في بوتقة الإسلام العظيم فأصبحوا جزءاً أصيلاً من أهل هذه البلاد.
- إن المدن الإسلامية في بلاد المشرق الإسلامي قد شكلت معلماً حضارياً كان شاهداً على عظم هذه الأمة وحضارتها، لما أظهرته هذه المدن من رقي وتقدم في عمارتها، ليس هذا وحسب بل كانت المدن الإسلامية قبيل الغزو الصليبي حصينة ومنيعة، وتتمتع بمعظم مقومات الصمود العمرانية، المتمثلة في قوة ومناعة أسوارها وخنادقها، وهذه الخصائص كانت موجودة في معظم مدن المشرق الإسلامي، لذا فإن المدن الإسلامية التي سقطت في يد الغزاة الصليبيين لم يكن نتاج ضعف تحصينات المدن، بل نتاج ضعف المتحصنين داخلها والمدافعين عنها.
- مثلت بلاد المشرق الإسلامي في قرونها الأولى مركزاً حضارياً ومنارةً للعلم والعلماء فبرز في الآفاق اسم مدينة بغداد، حاضرة الخلافة العباسية، منارة العلم صاحبة أول مدرسة في الإسلام والتي بنيت في سنة (٤٥٩هـ – ١٠٦٦م) كما أسلفنا، ولم تكن القاهرة العبيدية بأقل شأناً من بغداد في هذا المجال فقد كانت محط ترحال العلماء من جميع الأقطار الإسلامية، إن الحياة العلمية في القرن الرابع الهجري ازدهرت ازدهاراً كبيراً ويعد القرن الرابع هو أوج الحضارة العربية، كما امتاز هذا العصر باحتشاد عدد كبير من العلماء قلما يحتشدون في عصر واحد.
- بدأنا نشهد في القرن الرابع الهجري انتشاراً واسعاً لأصحاب المذاهب الفقهية الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، بحيث صبغت معظم بلاد المشرق الإسلامي بهذه المذاهب وتحزب الناس لها وخاضوا في سبيلها صراعات وخصومات وفتن، كان لها أثارٌ سلبية على وحدة المجتمع.
- مثل القرن الرابع والخامس الهجريين نشاطاً غير مسبوق للطوائف الشيعية في المنطقة، بحيث استطاعت هذه الطوائف والحركات من تشكيل كيانات سياسية لها، تمثلت في الدولة العبيدية "الفاطمية" ودولة القرامطة والدولة البويهية، مما كان له بالغ الأثر في اضعاف وحدة الأمة ودخولها

في أتون الصراع الطائفي، الذي شجعته هذه الدول ونشط في عهدها فأغرقوا المجتمع الإسلامي في هذا الصراع الطائفي البغيض.

- كانت بلاد المشرق الإسلامي تتمتع بالكثير من الخيرات والثروات الزراعية نظراً لخصوبة أراضيها ولوفرة أنهارها ولغزارة أمطارها، فكانت بلادها غنية وخصبة يسيل لها لعاب الغزاة الطامعين.
- كما كانت التجارة والصناعة في بلاد المشرق الإسلامي جزءاً أصيلاً من مكونات هذه الأمة الحضارية لما تمتعت به هذه الصناعات من رقي وإتقان، مما ساعد على وفرة التجارة ورواجها وازدهارها، وهذا أدى إلى زيادة ثروات هذه المنطقة، في حقب مختلفة من التاريخ.
- أيضاً كان هناك العديد من العوامل التي أثرت في إهدار المقدرات المادية والبشرية لبلاد المشرق الإسلامي، مما كان له بالغ الأثر السلبي في إضعاف المنطقة قبيل الغزو الصليبي لها.
- إن حالة الضعف والتفكك السياسي لبلاد المشرق الإسلامي قبيل الغزو الصليبي كان نتاج تقاسم هذه البلاد بين العديد من القوى والدويلات الإسلامية المتناحرة، حيث ضعفت الدولة العباسية ولم تكن سلطتها تتعدى بغداد وأحياناً لا تتعدى قصر الخلافة، وفي مصر خصمها التقليدي الدولة العبيدية الطامعة في أن تحل محل الخلافة العباسية، ودولة بني بويه الشيعية في العراق المتسلطة على الخلافة العباسية، وفي الشام والعراق دولة السلاجقة والتي تشظت إلى دويلات متصارعة، كما لا ننسى الدويلات العربية الأخرى مثل الدولة الحمدانية والعقيلية والمرداسية، وكلها أنهكتها الحروب والصراعات فيما بينها، فباغتهم الغزاة الصليبيون وهم على هذا الحال.
- أما النجاحات التي حققها الغزاة الصليبيون في بسط سيطرتهم على بعض مدن الشام لم تكن وليدة الهزيمة التي تعرضت لها جيوش المسلمين في معاركها الأولى مع أولى الحملات الصليبية فحسب، بل كانت وليدة تلك التراكمات السياسية والدينية والاقتصادية وما حوته من خلافات واختلافات، فكلها مجتمعةً أخرجت صورةً واضحة المعالم لما كان يدور في تلك المنطقة من أحداث ووقائع قبيل الغزو الصليبي لها، مما يجعل أي باحث أو حتى قارئ يدرك تماماً النتيجة التي آلت إليها أحوال المسلمين بعد الغزو الصليبي لبلاد الشام، من هزائم وسقوط مدوي لتلك الدويلات والممالك الإسلامية.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولًا: القرآن الكريم**

**ثانيًا: التوراة: سفر التثنية، الإصحاح الثامن.**

**ثالثًا: المصادر**


- **ابن إبراهيم، عبد الرحمن بن إسماعيل: (المتوفى: ٦٦٥هـ - ١٢٦٦م).**

١- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ج١، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

- **الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين: (المتوفى: ٤٢١هـ - ١٠٣٠م).**

٢- نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، ج٧، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم: (المتوفى: ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م).**

٣- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني: (المتوفى: ٥٦٠هـ -١١٦٤م).**

٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، ج١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- **الأزدي، معمر بن راشد: (المتوفى: ١٥١هـ - ٧٦٨م).**

٥- الجامع، تحقيق: حبيب الأعظمي، ط٢، ج١٠، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- **ابن الأزرق: (المتوفى: ٨٩٦هـ - ١٤٩٠م).**

٦- بدائع السلك، تحقيق: علي سامي النشار، ط١، ج١، وزارة الإعلام، العراق.

- **الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: (المتوفى: ٣٧٠هـ - ٩٨٠م).**

٧- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، ج١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

- **الإسفراييني، أبو المظفر طاهر بن محمد: (المتوفى: ٤٧١هـ – ١٠٧٨م).**

٨- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١،ج١، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- **الأصبهاني، أبو عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفي أبي الفرج محمد بن نفيس الدين: (المتوفى: ٥٩٧هـ – ١٢٠٠م).**

٩- خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل خراسان وهراه، تحقيق: محمد عدنان آل طعمة، ط١، ج٢، مرآة التراث، طهران / إيران، ١٩٩٩م.

- **الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي: (المتوفى:٣٥٦هـ – ٩٦٧م).**

١٠- الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، ج٢٤، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

- **أمير بادشاه، محمد أمين: (المتوفى: ٩٧٢هـ – ١٥٦٤م ).**

١١- تيسير التحرير، دار الفكر، بيروت. ج٤، ص٢١٩.

- **ابن أمير، الحاج: (المتوفى: ٨٧٩هـ – ١٤٧٤م).**

١٢- التقرير والتحرير في علم الأصول،ج٣، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

- **الأنصاري، زكريا:(المتوفى: ٩٢٦هـ – ١٥١٩م).**

١٣- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، تحقيق: محمد محمد تامر، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٠م.

- **ابن أيبك، أحمد بن عبد الله الحسيني الدمياطي: (المتوفى: ٧٤٨هـ – ١٣٤٧م).**

١٤- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج١٩، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت.

- **الباقلاني، محمد بن الطيب: (المتوفى: ٤٠٣هـ – ١٠١٢م).**

١٥- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط١، ج١، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- **البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي: (المتوفى: ٩٩٩هـ – ١٥٩٠م).**

١٦- قواعد الفقه، ط١، ج١، الصدف ببلشرز– كراتشي، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م.

- **البزدوي، علي بن محمد الحنفي: (المتوفى: ٣٨٢هـ – ٩٩٢م).**

١٧- أصول البزدوي– كنز الوصول إلى معرفة الأصول، ج١، مطبعة جاوي دبريس، كراتشي.

- **ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي: (المتوفى: ٧٧٩هـ –١٣٧٧م).**

١٨- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، ط٤، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- **بنيامين، الرابي بن يونه التطيلي النباري الأندلسي: ( المتوفى: ٥٦٩هـ - ١١٧٣م).**

١٩- رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة وتعليق: عزرا حداد، تقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٩.

- **البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: (المتوفى: ٤٤٠هـ - ١٠٤٨م).**

٢٠- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مَرزُولة، ج١، حيدر أباد، ١٩٥٨م.

٢١- الجماهر في معرفة الجواهر، تحقيق سالم الكرنكوري، مكتبة المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، ج١. ١٩٠٠م.

- **ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي: (المتوفى: ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م).**

٢٢- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي: (المتوفى: ٢٧٩هـ – ٨٩٢م).**

٢٣- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ج٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأتابكي: (المتوفى: ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م).**

٢٤- مرد اللطافة في منولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

- **التميمي، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر الحنبلي: (المتوفى: ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م).**

٢٦- الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، ط١، ج٨، الناشر دار العاصمة.

- **التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف: (المتوفى: ٦٥١هـ - ١٢٥٣م).**

٢٧- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق: احسان عباس، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

- **ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم الحراني: (المتوفى: ٧٢٨هـ – ١٣٢٧م).**

٢٨- الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، ج١، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.

٢٩- شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: إبراهيم سعيد، ط١، ج١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥م.

٣٠- شرح العمدة في الفقه، تحقيق: سعود صالح العطيشان، ط١، ج٤، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣هـ.

٣١- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط٢، ج١٣، مكتبة ابن تيمية.

- **الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: (المتوفى: ٨٧٥هـ – ١٤٧٠م).**

٣٢- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج٦، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: (المتوفى:٤٢٩هـ – ١٠٣٧م).**

٣٣- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج١، دار المعارف، القاهرة.

- **الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: (المتوفى: ٤٢٧هـ – ١٠٣٥م).**

٣٤- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، ط١، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م.

- **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: (المتوفى: ٢٥٥هـ – ٨٦٨م).**

٣٥- الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٥، دار الجيل، لبنان –بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

- **ابن جبير، أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي: (المتوفى: ٦١٤هـ – ١٢١٧م).**

٣٦- رحلة ابن جبير، تحقيق – تقديم: محمد مصطفى زيادة، ج١، دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري، بيروت / القاهرة.

- **أبي جرادة، كمال الدين عمر بن أحمد: (المتوفى:٦٦٠هـ – ١٢٦١م).**

٣٧- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ج١، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، دار الفكر.

- **الجرجاني، علي بن محمد بن علي: (المتوفى: ٨١٦هـ – ١٤١٣م).**

٣٨- التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- **الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني: (المتوفى: ٦٣٠هـ – ١٢٣٢م).**

٣٩- اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: (المتوفى: ٥٩٧هـ –١٢٠٠م).**

٤٠- تلبيس إبليس، تحقيق: السيد الجميلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٤١- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط١، ج١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت– ١٩٩٧م.

٤٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، ج١٤، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ.

- **أبو حاتم البستي، محمد بن حبان بن أحمد التميمي: (المتوفى: ٣٥٤هـ – ٩٦٥م).**

٤٣- الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١،ج٦، دار الفكر، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م.

- **ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي: (المتوفى : ٧٣٧هـ – ١٣٣٦م).**

٤٤- المدخل، ج١، دار الفكر، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

- **ابن حبتة، أَبو يُوسُف يَعْقُوب بن إِبْرَاهِيم بن حبيب بن سعد الْأَنْصَارِيّ: (الْمُتَوفَّى: ١٨٢هـ – ٧٩٨م).**

٤٥- الخراج، تَحْقِيق: طبه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، ج١، المكتبة الأزهرية للتراث.

- **ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي: (المتوفى: ٨٥٢هـ – ١٤٤٨م).**

٤٦- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.

٤٧- تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، ج١، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ج٩، دار المعرفة، بيروت.

- **ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الطاهري: (المتوفى: ٥٤٨هـ – ١١٥٣م).**

٤٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- **الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: (المتوفى: ٤٥٣هـ – ١٠٦١م).**

٤٩- جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج١، دار الجليل للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

- **الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم: (المتوفى: بعد ٨٦٦هـ – ١٤٦١م).**

٥٠- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: لافي برو فنصال، ط٢، ج١، دار الجيل، بيروت / لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- **الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني: (المتوفى: ٥٧٣هـ – ١١٧٧م).**

٥١- الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م.

- **ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد الشيباني: (المتوفى: ٢٤١هـ – ٨٥٥م).**

٥٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، مؤسسة قرطبة، مصر.

٥٣- الورع، تحقيق: زينب إبراهيم القاروط، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- **الحنبلي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي: (المتوفى: ٧٤٤هـ –١٣٤٣م).**

٥٤- تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، تحقيق: أيمن صالح شعبان، ط١، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- **ابن حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي: (المتوفى: ٤١٤هـ – ١٠٢٣م).**

٥٥- البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ج١، ط٤، دار صادر، بيروت / لبنان، ١٤١٩هـ – ٩٩٩م.

- **ابن حيان، محمد بن خلف: (المتوفى: ٣٠٦هـ – ٩١٨م).**

٥٦- أخبار القضاة، ج٣، عالم الكتب، بيروت.

- **حيدر، علي: (المتوفى: ٩٩٩هـ – ١٥٩٠م).**

٥٧- درر الحكام شرح مجلة الأحكام، دار الكتب العلمية، تحقيق وتعريب: المحامي فهمي الحسيني، ج١، لبنان – بيروت.

- **الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: (المتوفى: ٧٢٥هـ – ١٣٢٤م).**

٥٨- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ج١، دار الفكر، بيروت / لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

- **الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمود بن سعود: (المتوفى: ٧٨٩هـ – ١٣٨٧م).**

٥٩- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف، تحقيق: إحسان عباس، ط١، ج١، دار الغرب الإسلامي – بيروت– ١٤٠٥هـ.

- **الخزرجي، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي: (المتوفى: ٦٦٨هـ – ١٢٦٩م).**

٦٠- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، ج١، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- **الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر: (المتوفى: ٤٦٣هـ – ١٠٧٠م).**

٦١- تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: (المتوفى: ٨٠٨هـ–١٤٠٥م).**

٦٢- تاريخ ابن خلدون، ط٥، ج١ – ٥، دار النشر، بيروت، ١٩٨٤م.

- **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: (المتوفى : ٦٨١هـ – ١٢٨٢م).**

٦٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج٥، دار الثقافة، لبنان.

- **ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي: (المتوفى: ٣٢١هـ – ٩٣٣م).**

٦٤- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، ج٢.

- **دعبل، بن علي الخزاعي: (المتوفى: ٢٤٦هـ – ٨٦٠م).**

٦٥- وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، تحقيق: نزار أباظة، ج١، دار البشائر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

- **الدمياطي، أبو بكر بن السيد محمد شطا: (المتوفى: ٩٩٩هـ – ١٥٩٠م).**

٦٦- حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين لمهمات الدين، ج٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- **الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى: (المتوفى: ٨٠٨هـ – ١٤٠٥م).**

٦٧- حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- **الدواداري، أبو بكر عبد الله أيبك: (المتوفى: ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م).**

٦٨- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: بير ندراتكه، ج٦، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٨٢م.

- **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: (المتوفى: ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م).**

٦٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، ط١، ج٣٣، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٠- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، ج١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٧١- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، ج١، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.

٧٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، ط١، ج١، دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علو، جدة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

- **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: (المتوفى: ٧٢١هـ - ١٣٢١م).**

٧٣- مختار الصحاح، ج١، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- **الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: (المتوفى: ١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م).**

٧٤- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ج١٤، دار الهداية.

- **الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله: (المتوفى: ٧٩٤هـ - ١٣٩١م).**

٧٥- البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد تامر، ط١، ج٤، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٦- المنثور في القواعد، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، ط٢، ج٣، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ.

- **الزركشي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله المصري الحنبلي: (المتوفى: ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م).**

٧٧- شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١، ج٣، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- **الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي: (المتوفى: ٥٣٨هـ - ١١٤٣م).**

٧٨- أساس البلاغة، ج١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- **ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني: (المتوفى: ٢٥١هـ - ٨٦٥م).**

٧٩- الأموال لابن زنجويه، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ط١، ج١، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- **الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري: (المتوفى: ٢٣٠هـ - ٨٤٤م).**

٨٠- الطبقات الكبرى، ج٦، دار صادر، بيروت.

- **الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد: (المتوفى: ٧٦٢هـ - ٧٦٢م).**

٨١- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، ج١، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

- **السبكي، أبو الحسن تاج الدين بن علي بن عبد الكافي: (المتوفى: ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م).**

٨٢- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، ج٥، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.

٨٣- فتاوى السبكي، ج١، دار المعرفة، لبنان – بيروت.

- **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: (المتوفى: ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م).**

٨٤- البلدانيات، تحقيق: حسام بن محمد القطان، ط١، ج١، دار العطاء، السعودية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٥- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، ط١، ج٣، لبنان، ١٤٠٣هـ.

- **السعدي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي: (المتوفى: ٦٤٣هـ - ١٢٤٥م).**

٨٦- فضائل الأعمال، ج١، دار الغد العربي، القاهرة.

- **السلمي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الشافعي: (المتوفى: ٦٦٠هـ – ١٢٦١م).**

٨٧- تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، ج٣،دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- **السلمي، أبو محمد عز الدين: (المتوفى: ٦٠٦هـ – ١٢٠٩م).**

٨٨- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي: (المتوفى: ٥٦٢هـ – ١١٦٦م).**

٨٩- الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١،ج٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

- **ابن سمعون، أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي: (المتوفى: ٣٨٧هـ – ٩٩٧م).**

٩٠- أمالي ابن سمعون، تحقيق: عامر حسن صبري، ط١، ج٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

- **ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي: (المتوفى: ٤٢٨هـ – ١٠٣٦م).**

٩١- القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

- **السيواسي: كمال الدين محمد بن عبد الواحد، (المتوفى: ٦٨١هـ – ١٢٨٢م).**

٩٢- شرح فتح القدير، ط٢، ج٦، دار الفكر، بيروت.

- **السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين: (المتوفى: ٩١١هـ–١٥٠٥م).**

٩٣- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ج١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

٩٤- حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

- **الشاشي، أبو بكر سيف الدين محمد بن أحمد القفال: (المتوفى: ٥٠٧هـ – ١١١٣م).**

٩٥- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق : ياسين أحمد إبراهيم درادكة، ط١، ج١، مؤسسة الرسالة، دار الأرقم، بيروت – عمان، ١٩٨٠م.

- **الشافعي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم: (المتوفى: ٣٥٤هـ – ٩٦٥م).**

٩٦- كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، ط١، ج٤، دار ابن الجوزي، الرياض / السعودية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- **أبي شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المقدسي: (المتوفى: ٦٦٥هـ - ١٢٦٦م).**

٩٧- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، ج١، ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٩٨- شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، تحقيق: جمال عزون، ط١، ج١، مكتبة العمرين العلمية، الشارقة/ الإمارات،١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م.

- **ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي: (المتوفى: ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م).**

٩٩- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، ج١، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٢م.

- **الشربيني، محمد الخطيب: (المتوفى: ٩٧٧هـ - ١٥٦٤م).**

١٠٠- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ج٤، دار الفكر، بيروت.

- **الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: (المتوفى: ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م).**

١٠١- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، ط١، ج١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٠٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت.

- **الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف: (المتوفى: ٤٧٦هـ - ١٠٨٣م).**

١٠٣- طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميس، ج١، دار القلم، بيروت.

- **الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشافعي: (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ - ١١٩٣م).**

١٠٤- نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، ج١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- **الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي: (المتوفى: ٣٤٦هـ - ٩٥٧م).**

١٠٥- المسالك والممالك، ج١، مطبعة أبريل، ليدن، ١٩٢٧م.

- **الصنعاني، محمد بن إسماعيل: (المتوفى: ١١٨٢هـ – ١٧٦٨م).**

١٠٦- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، ط١، ج١، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٥هـ.

- **الصنهاجي، أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي: (المتوفى: ٦٨٤هـ – ١٢٨٥م).**

١٠٧- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: خليل المنصور، ط١، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

- **الصوفي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري: (المتوفى: ٣٤٠هـ – ٩٥١م).**

١٠٨- معجم ابن الأعرابي، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ج٢، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

- **الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: (المتوفى: ٣٣٥هـ – ٩٤٦م).**

١٠٩- أخبار الراضي بالله والمتقي لله تاريخ الدولة العباسية من كتاب الأوراق، تحقيق: ج هيورث دن، ج١، مطبعة الصاوي، مصر، ١٩٣٥م.

- **الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس: (المتوفى: ٣٨٥هـ – ٩٩٥م).**

١١٠- المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، ج١٠، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

- **ابن طاهر، المطهر المقدسي: (المتوفى: ٥٠٧هـ – ١١١٣م).**

١١١- البدء والتاريخ، ج٤، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: (المتوفى: ٣١٠هـ-٩٢٢م).**

١١٢- تاريخ الطبري، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: (المتوفى: ٧٠٩هـ – ١٣٠٩م).**

١١٣- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط١، ج١، دار القلم العربي، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- **ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب: (المتوفى: ٢٨٠هـ – ٨٩٣م).**

١١٤- كتاب بغداد، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٣، ج١، مكتبة الخانجي – القاهرة– مصر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

- **ابن عابدين: (المتوفى: ١٢٥٢هـ –١٨٣٦م).**

١١٥- رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، ج١، ٧، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

- **عاشور، محمد الطاهر: (المتوفى: ١٢٨٤هـ–١٨٦٧م).**

١١٦- التحرير والتنوير، ج٢٠، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

- **عبد الغني، أبو بكر محمد بن البغدادي: (المتوفى: ٦٢٩هـ – ١٢٣١م).**

١١٧- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- **عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور: (المتوفى: ٤٢٩هـ – ١٠٣٧م).**

١١٨- الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرْقَة الناجية، ط٢، ج١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.

- **ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الملطي: (٦٨٥هـ – ١٢٨٦م).**

١١٩- تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٢، دار الرائد، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- **ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: (المتوفى:٣٢٨هـ – ٧٤٨م).**

١٢٠- العقد الفريد، ط٣، ج٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- **ابن عبد الواحد، إبراهيم بن علي بن أحمد ابن عبد المنعم نجم الدين الطرسوسي: (المتوفى: ٧٥٨هـ – ١٣٥٦م).**

١٢١- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط٢، ج١.

- **ابن العديم، المولى الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي: (المتوفى:٦٦٠هـ – ١٢٦١م).**

١٢٢- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط١،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

- **ابن عذاري، المراكشي محمد بن محمد: (المتوفى: نحو ٦٩٥هـ – ١٢٩٥م).**

١٢٣- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، ط١، ٢ج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- **ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي: (المتوفى: ٥٧١هـ – ١١٧٥م).**

١٢٤- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ج ١٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

- **العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد: (المتوفى: ١٠٨٩هـ – ١٦٧٨م).**

١٢٥- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة /مصر، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

- **العكبري، أبو البقاء: (المتوفى: ٦١٦هـ – ١٢١٩م).**

١٢٦- ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا / إبراهيم الأبياري / عبد الحفيظ شلبي، ج٣، دار المعرفة، بيروت.

- **العليمي، مجير الدين الحنبلي: (المتوفى: ٩٢٧هـ – ١٥٢٠م).**

١٢٧- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، ج٢، مكتبة دنديس، عمان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- **ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي: (المتوفى: ١٠٨٩هـ – ١٦٧٨م).**

١٢٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١، ج٣، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

- **ابن عمر، أبو عبد الله محمد بن الحسين الرازي: (المتوفى: ٦٠٦هـ – ١٢٠٩م).**

١٢٩- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

- **العيني، بدر الدين محمود بن أحمد العيني: (المتوفى: ٨٥٥هـ – ١٤٥١م).**

١٣٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا: (المتوفى: ٣٩٥هـ – ١٠٠٤م ).**

١٣١- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، ج٢، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي: (المتوفى: ٧٣٢هـ – ١٣٣١م).**

١٣٢- المختصر في أخبار البشر، ط١، ج١، المطبعة الحسينية، مصر.

١٣٣- اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق: محمد كمال وفالح البكور، ج١، دار القلب العربي، ١٩٨٩م.

- **الفراهيدي، الخليل بن أحمد: (المتوفى: ١٧٥هـ – ٧٩١م).**

١٣٤- كتاب العين ٨ مجلدات، تحقيق: مهدي المخزومي / إبراهيم السامرائي، ج٥، دار ومكتبة الهلال.

- **ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي: (المتوفى: ٧٩٩هـ –١٣٩٦م).**

١٣٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي: (المتوفى: ٧٢٣هـ – ١٣٢٣م).**

١٣٦- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

- **أبو القاسم، عبد الله بن عبد الرحمن الاصبهاني: (المتوفى: بعد ٣٨٠هـ – ٩٩٠م).**

١٣٧- الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٦٨م.

- **القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد: (المتوفى٧٧٥هـ – ١٣٧٣ م).**

١٣٨- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج٢، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

- **القرطبي، عبد الملك بن حبيب الإلبيري: (المتوفى: ٦٧١هـ – ١٢٧٢م).**

١٣٩- (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: (المتوفى: ٦٨٢هـ – ١٢٨٣م).**

١٤٠- آثار البلاد وأخبار العباد، ج١، دار صادر بيروت.

- **القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: (المتوفى: ٦٤٦هـ – ١٢٤٨م).**

١٤١- أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- **ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن اسد: (المتوفى: ٥٥٥هـ - ١١٦٠م).**

١٤٢- تاريخ دمشق لابن القلانسي، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط١، دمشق، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- **القلقشندي، أحمد بن عبد الله: (المتوفى: ٨٢١هـ - ١٤١٨م).**

١٤٣- صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق : عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م. ج٣، ص٣٩٧.

١٤٤- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الابياري، ج١، دار الكتب اللبنانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٤٥- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، ج١، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م.

- **القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري: (المتوفى: ٧٢٨هـ-١٣٢٧م).**

١٤٦- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- **القيرواني، أبو سعيد خلف بن أبي القاسم: (المتوفى: ٣٧٢هـ - ٩٨٢م ).**

١٤٧- تهذيب المدونة، محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط١، ج٢، دار البحوث للدراسات الإسلامية والتراث، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- **القيسي، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الدمشقي: (المتوفى: ٨٤٢هـ - ١٤٣٨م).**

١٤٨- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، ط١، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

- **الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد: (المتوفى: ٧٦٤هـ - ١٣٦٢م).**

١٤٩- فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن معوض/عادل أحمد عبد الموجود، ج١، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٠م.

- **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي: (المتوفى: ٧٧٤هـ – ١٣٧٢م).**

١٥٠- البداية والنهاية، ج٩، مكتبة المعارف، بيروت.

- **الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري: (المتوفى: بعد ٣٥٥هـ - ٩٦٥م).**

١٥١- فضائل مصر المحروسة، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، ج١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤١٧م - ١٩٩٧م.

- **الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: (المتوفى: ٢٣٥هـ-٨٤٩م).**

١٥٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، ج٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

- **ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر: (المتوفى: ٤٧٥هـ - ١٠٨٢م).**

١٥٣- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

- **المالكي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي: (المتوفى : ٥٢٠هـ - ١١٢٦م).**

١٥٤- سراج الملوك، ج١، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م.

- **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: (المتوفى: ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م).**

١٥٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- **المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد: (المتوفى: ٦٥٥هـ - ١٢٥٧م).**

١٥٦- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، ج١٢، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- **المرزوقي، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني: (المتوفى: ٤٢١هـ - ١٠٣٠م).**

١٥٧- الأزمنة والأمكنة، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

- **المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن: (المتوفى: ٧٤٢هـ -١٣٤١م).**

١٥٨- تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، ج٢٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

- **المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على: (المتوفى: ٣٤٦هـ - ٩٥٧م).**

١٥٩- التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، ج١، دار الصاوي، القاهرة.

١٦٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ٤ج، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٦١- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- **المصري، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي: (المتوفى: ٢٥٧هـ - ٨٧٠م).**

١٦٢- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، ج١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- **ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري: (المتوفى: ٧١١هـ -١٣١١م).**

١٦٣- لسان العرب، ط١، ج٣، دار صادر، بيروت.

١٦٤- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١، ٢٩ج، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م.

- **المُطَرِّزِيّ، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي: ( المتوفى: ٦١٠هـ - ١٢١٣م ).**

١٦٥- المغرب في ترتيب المعرب، ج١، دار الكتاب العربي.

- **المغربي، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد:(المتوفى: ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م).**

١٦٦- الجغرافيا، مكتبة الجامع الكبير.

- **ابن مفلح، الإمام أبو عبد الله محمد المقدسي: (المتوفى: ٧٦٣هـ - ١٣٦١م).**

١٦٧- الآداب الشرعية والمنح المرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام، ط٢، ج٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- **ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله أبو إسحاق: (المتوفى: ٨٨٤هـ - ١٤٧٩م).**

١٦٨- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، ج٢، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **المقدسي، محمد بن أحمد: (المتوفى: ٣٩٠هـ - ٩٩٩م).**

١٦٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: ج١، غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.

- **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد تقي الدين: (المتوفى: ٨٤٥هـ -١٤٤١م).**

١٧٠- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عبدين، ط١، ج١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م.

١٧١- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، ج١، وزارة الأوقاف، مصر، ١٩٩٦م.

١٧٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ج٣، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.

- **المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي: (المتوفى: ١١١١هـ - ١٦٩٩م).**

١٧٣- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- **الملطي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشافعي: (المتوفى: ٣٧٧هـ -٩٨٧م).**

١٧٤- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ج١، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- **المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد: (المتوفى: ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م).**

١٧٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

- **ناصر خسرو:(المتوفى:٤٤٤هـ-١٠٥٢م).**

١٧٦- سفرنامه، تحقيق: يحيى الخشاب، ط٣، ج١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

- **ابن النجار، أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي: (المتوفى: ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م).**

١٧٧- ذيل تاريخ بغداد، ج١٨، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت.

- **ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق: (المتوفى: ٣٨٥هـ-٩٩٥م).**

١٧٨- الفهرست، ج١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- **النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين: (المتوفى: ٦٧٦هـ-١٢٧٧م).**

١٧٩- التبيان في آداب حملة القرآن، ط١، ج١، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨٠- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط١، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٨١- تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ط١، ج١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

١٨٢- صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، ج٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٨٣- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: (المتوفى: ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م).**

١٨٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة، ط١، ج٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- **النيسابوري، محمود بن أبى الحسن بن الحسين أبو القاسم نجم الدين: (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ - ١١٥٥م).**

١٨٥- إيجاز البيان عن معاني القرآن المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط١، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥ هـ.

- **هبة الله، محمد بن نما بن علي بن حمدون الحلي: (المتوفى: لا يوجد).**

١٨٦- كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: صالح درادكة، محمد عبد القادر خريسات، ط١،ج١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان - الأردن، ١٩٨٤م.

- **ابن همام، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني: (المتوفى: ٢١١هـ - ٨٢٦م).**

١٨٧- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، ج١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- **الهمداني، أبو الفضل محمد بن عبد الملك بن إبراهيم: (المتوفى: ٥٢١هـ - ١١٢٧م).**

١٨٨- تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، ط١، ج١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

- **الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (المتوفى: ٩٧٥هـ - ١٥٦٧م).**

١٨٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط١، ج٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- **الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد:(المتوفى: ٢٠٧هـ - ٨٢٢م).**

١٩٠- كتاب المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، ج١،دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

- **ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر: (المتوفى: ٧٤٩هـ-١٣٤٨م).**

١٩١- تاريخ ابن الوردي، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- **الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي: (المتوفى: ٧١٨هـ - ١٣١٨م).**

١٩٢- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- **اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، (المتوفى: ٧٦٨هـ - ١٣٦٦م).**

١٩٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان،ج٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- **ياقوت، أبو عبد الله بن عبد الله الحموي: (المتوفى: ٦٢٦هـ-١٢٢٨م).**

١٩٤- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ط١، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

١٩٥- معجم البلدان، ج٢، ٣، دار الفكر، بيروت.

- **اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى الأندلسي: (المتوفى: ٥٤٤هـ - ١١٤٩م).**

١٩٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٩٧- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج١، المكتبة العتيقة ودار التراث.

- **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب: (المتوفى: ٢٩٢هـ - ٩٠٤م).**

١٩٨- البلدان، مدينة ليدن المحروسة، مطبعة بريل، ١٨٩٠م.

١٩٩- تاريخ اليعقوبي، ج١، ٢، دار صادر، بيروت.

- **اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد: (المتوفى: ٧٢٦هـ - ١٣٢٥م).**

٢٠٠- ذيل مرآة الزمان، تحقيق: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، ط٢، ج٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

## المراجع:


- **إبراهيم مصطفى وآخرون:**

١- المعجم الوسيط ،ج١، ج٢، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

- **الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي: (المتوفى: ١٢٧٠هـ – ١٨٥٣م).**

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **باشا، إسماعيل البغدادي: (المتوفى: ١٣٣٩هـ-١٩٢٠م).**

٣- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

- **آلباطين، محمد بن علي باخيل:**

٤- سنوات الحنابلة، ١٤٢٥هـ" المكتبة الشاملة".

- **بدران، العلامة عبد القادر: (المتوفى: ١٣٤٦هـ – ١٩٢٧م).**

٥- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، ط٢، ج١، دار النشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

- **البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم: (المتوفى: ١٣٣٥هـ – ١٩١٦م).**

٦- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، ط٢، ج١، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

- **تيمور، أحمد:**

٧- نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعة، تقديم، محمد أبو زهرة، ط١، دار القادري، بيروت، ١٩٩٠م.

- **الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة:**

٨- تسهيل العقيدة الإسلامية، ط٢، دار العصيمي للنشر والتوزيع.

- **الجندي، أنور:**

٩- موسوعة الإسلام والعالم المعاصر، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

- **أبوجيب، سعدي:**

١٠- القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، دار الفكر، دمشق- سورية، ط٢، ١٩٨٨م.

- **حوى، أحمد سعيد:**

١١- مدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ط١، دار الاندلس الخضراء، جدة، ٢٠٠٢م.

- **الحويري، محمود محمد:**

١٢- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، دار المعارف، جامعة أسيوط، ١٩٧٩م.

- **الخالدي، خالد يونس:**

١٣- الحرب الأهلية بين السنة والشيعة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، ص٢٠٥-٢٣٠، يونيو٢٠١٣م.

- **خان، الملك محمد صديق حسن: (المتوفى: ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م).**

١٤- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

- **الخطيب، محمد أحمد:**

١٥- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدهم وحكم الإسلام فيهم، ط٢، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، ١٩٨٦م.

- **دهيش، عبد اللطيف عبد الله:**

١٦- الكتاتيب في الحرمين الشرفين وما حولهما، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٨٦م.

- **الزرقاني، محمد عبد العظيم: (المتوفى: ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م).**

١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، ج١، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- **الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي: (المتوفى: ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).**

١٨- الأعلام، ط١٥، ج٥، دار العلم للملايين. ٢٠٠٢م.

- **زكار، سهيل:**

١٩- الجامع في أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن، ج٢، ط٣، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.

- **زيادة، نقولا:**

٢٠- عربيات حضارة ولغة، لندن، ط١، ١٩٩٤م. ص١٨٨.

- **السرجاني، راغب:**

٢١- قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، ط٢، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

- **سلطان، عبد المنعم عبد الحميد:**

٢٢- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، ١٩٩٩م. ص٦١.

- **شاكر، محمود:**

٢٣- التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، ج٦، ط٦، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- **الشرقاوي، حسن:**

٢٤- المسلمون علماء وحكماء، ط١، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

- **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: (المتوفى: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).**

٢٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات، ج٨، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

- **شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب: (المتوفى: ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م).**

٢٦- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ط٣، ج١، دار المشرق، بيروت.

- **الصلابي، علي محمد:**

٢٧- دولة السلاجقة، ط١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٨- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط١، دار التوزيع والنشر الاسلامية، بور سعيد، ٢٠٠١م.

- **طقوش، محمد سهيل:**

٢٩- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط٣، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٩م.

- **عبد الباقي، أحمد:**

٣٠- معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١م. ص١٠٥.

- **عبد الرزاق، محمد بن محمَّد كُرْدعَلي: (المتوفى: ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م).**

٣١- خطط الشام، ط٣، ج٤، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- **ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد: (المتوفى: ١٢٣٣هـ -١٨١٧م).**

٣٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ج١، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

- **عثمان، محمد عبد الستار:**

٣٣- المدينة الإسلامية، إشراف: أحمد مشاري العدواني، دار المعارف، الكويت، ١٩٧٨م.

- **عطا الله، خضر أحمد:**

٣٤- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة.

- **علي، جواد: (المتوفى: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).**

٣٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، ج٢، دار الساقي، **١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.**

- **علال، خالد كبير:**

٣٦- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي، دار المحتسب، الجزائر، ٢٠٠٨م.

- **علي، محمد كرد:**

٣٧- خطط الشام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ج١، ١٩٨٣م.

- **علي، وفاء محمد:**

٣٨- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

- **قاسم، عبدو قاسم:**

٣٩- ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م.

- **القباني، إبراهيم محمد:**

٤٠- دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ادارة النشاطات الثقافية المسابقات المفتوحة، السعودية، ١٩٩٤م.

- **القنوجي، صديق بن حسن: (المتوفى: ١٣٠٧هـ).**

٤١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

- **القواسمي، يوسف عمر:**

٤٢- المدخل إلى مذهب الامام الشافعي، تقديم: مصطفى سعيد الخن، ط١، دار النفائس، الاردن، ٢٠٠٣م.

- **الكاتب، عبد الحميد:**

٤٣- القدس التاريخ الاسلامي الغزوا الصليبي الهجمة الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٨.

- **الكتاني، الشيخ عبد الحي: (المتوفى: ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م).**

٤٤- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية، ج٢، دار الكتاب العربي، بيروت.

- **المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا: (المتوفى: ١٣٥٣هـ -١٩٣٤م).**

٤٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **الموسوي، مصطفى عباس:**

٤٦- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٢م.

- **الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد: (المتوفى: ١٣١٥هـ -١٨٩٧م).**

٤٧- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، ج١، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- **الناطور، شحاته: عودات، ، جميل:**

٤٨- مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية، دار الأمل للنشر، عمان، ١٩٨٩م.

- **النصر، عصر بن محمد:**

٤٩- الفلسفة التاريخية لنشأة المذاهب الفقهية، تقديم علي محمد العمري؛ أحمد بن راشد الرحيلي: موقع زاد الكتاب الالكتروني، ٢٠١٣م.

- **أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف:**

٥٠- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ترعة المريوطية شارع الهرم، ٢٠٠١.

- **مجلة البحوث الإسلامية:**

٥١- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، عدد الأجزاء: ٧٩ جزءا، ج٢، ص٥٠٥.

## المراجع الأجنبية المعربة


- **أبنهايم، ماكسفرايهير فون؛ أرش برونيلش؛ فرنركاسكل.**

١- البدو، تحقيق: ماجد شبر، ج١، الوراق للنشر.

- **دسيو، رنيه:**

٢- العرب في سوريا قبل الاسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

- **الصوري، وليم الصوري:**

٣- تاريخ الحروب الصليبية، ٢ج، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م.

- **الطهراني، الشيخ آغا بزرك: (المتوفى: ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).**

٤- طبقات أعلام الشيعة نوابغ الرواة في راوية الكتاب، تحقيق: علي تقي فنروي، ط١، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

٥- التحرير والتنوير،ج٢٥، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

- **عطية، عزيزسوريال:**

٦- الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فليب صابر سيف، مراجعة: أحمد خاكي، ط٢، دار الثقافة، القاهرة.

- **فنديك،أدورد:**

٧- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ج١، دار صادر، بيروت، ١٨٩٦م.

- **لويس، برنارد:**

٨- الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب: محمد العزب موسى، ط٢، مكتبة متبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م.

- **متز، أدم:**

٩- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٥، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت.

- **نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد:**

١٠- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق وتعريبب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- **وات، منتجومري:**

١١- فضل الإسلام على لحضارة الغربية، ترجمة: حسين أحمد أمين،ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٣م.

## الرسائل الجامعية

- **الأغا، حسام حلمي يوسف:**

١- الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠٠٧م.

- **أبو جهل، عبد الفتاح عبد الله عاشور:**

٢- جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١٠م.

- **الحارثي، عبد الله بن علي بن خضران:**

٣- الرحلة في طلب العلم عند بعض المربين المسلمين في العصر العباسي وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ.

- **حسين، رشا عبد الفتاح محمد:**

٤- الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية دراسة على مجتمعات بلاد الشام، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦م.

- **شاهين، رياض مصطفى أحمد:**

٥- الملك المعظم عيسى سياسته الداخلية والخارجية، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- **أبو شلوف، نسيم زريق جمعة:**

٦- الاوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية غزة، ٢٠٠٩م.

- **الكرد، عودة سعيد عودة:**

٧- فلسطين في عصر الدويلات الاسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠٠٧م.